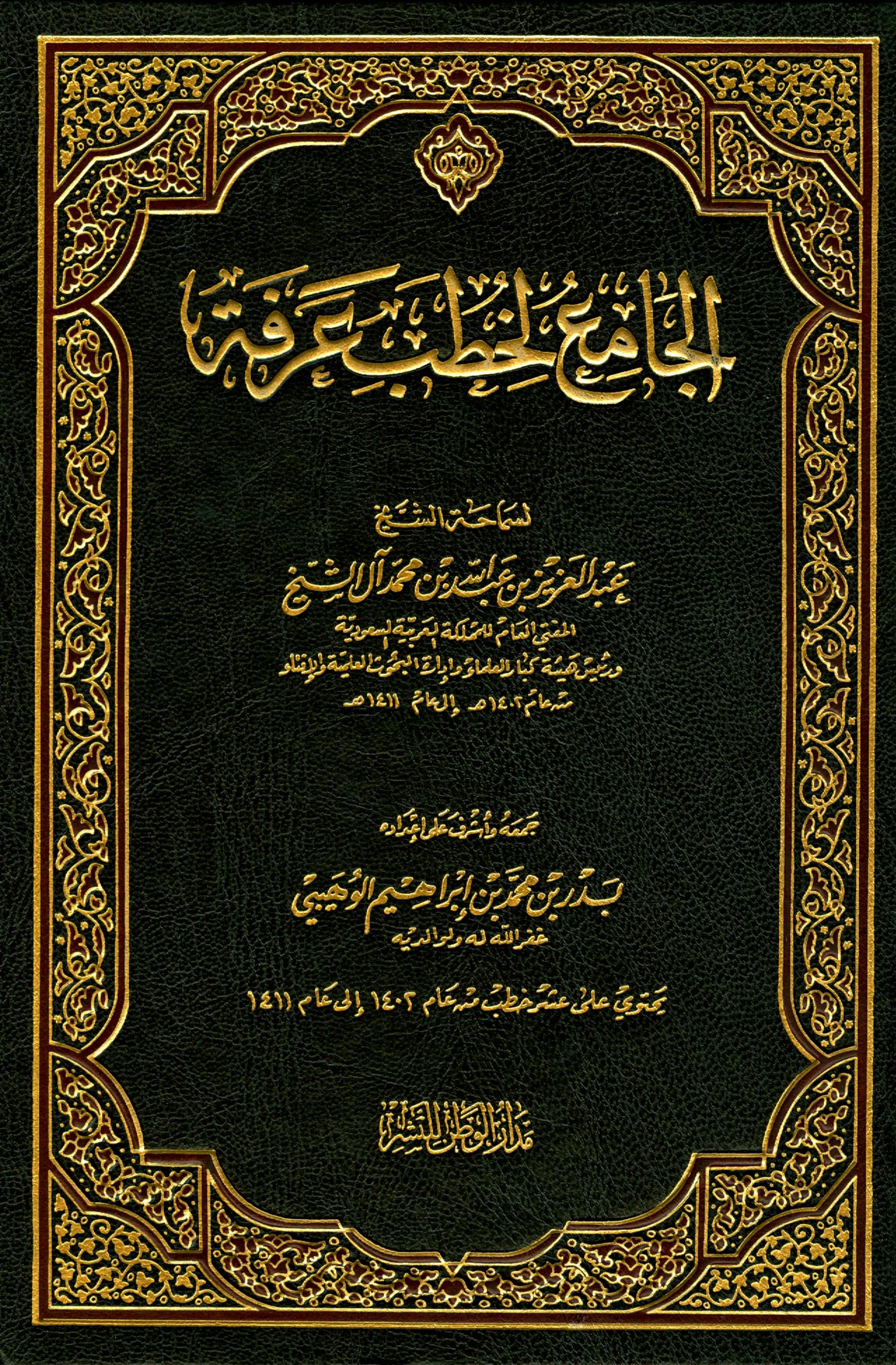

الجامع لخطب عرفة
لسماحة الشيخ
عبد العزيز بن عبد الله بن محمد آل الشيخ
المفتي العام للمملكة العربية السعودية
ورئيس هيئة كبار العلماء وإدارة البحوث العلمية والإفتاء
من عام ١٤٠٢هـ إلى العام ١٤١١هـ
جمعه وأشرف على إعداده
بدر بن محمد بن إبراهيم الوهيبي
غفر الله له ولوالديه
يحتوي على عشر خطب من عام ١٤٠٢ إلى عام ١٤١١
مدار الوطن للنشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الجامع لخطب عرفة

لسماحة الشيخ

عبد العزيز بن عبد الله بن محمد آل الشيخ

بسم الله الرحمن الرحيم

الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء
الرياض – المملكة العربية السعودية
وقد قام بطبعته هذه دار (مدار الوطن)
بإذن من الرئاسة رقم (١١/٢١٠) وتاريخ (١٤٢٨/٧/٤هـ).

ح الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، ١٤٢٧هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

آل الشيخ، عبد العزيز بن عبد الله بن محمد، بدر بن محمد بن إبراهيم الوهيبي – الرياض، ١٤٢٧هـ

٢٨٥ ص؛ ١٧× ٢٤ سم

ردمك : x – ٣٥٤ – ١١ – ٩٩٦٠

١- الخطب الدينية ٢- الوعظ والإرشاد أ- الوهيبي، بدر بن محمد بن إبراهيم (جامع) ب- العنوان

ديوي ٢١٣ ١٤٢٧/١١٥

رقم الإيداع : ١٤٢٧/١١٥
ردمك : x – ٣٥٤ – ١١ – ٩٩٦٠



هاتف : ٤٧٩٢٠٤٢ (٥ خطوط) فاكس : ٤٧٢٣٩٤١ - ص.ب : ٣٣١٠
فرع السويدي : هاتف : ٤٢٦٧١٧٧ - فاكس : ٤٢٦٧٣٧٧

- البريد الإلكتروني : Pop@dar-alwatan.com

- موقعنا على الإنترنت : www.madar-alwatan.com

كلمة سماحة المفتي

الحمد لله رب العالمين، وصل اللهم على عبدك ورسولك محمد أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحابته أجمعين، وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فإنَّ ليوم عرفة شرفاً عظيماً وفضلاً كبيراً، ذلكم اليومُ العظيمُ الذي نالت فيه الأمةُ المحمديةُ وِسامَ الرِّفعةِ والشَّرفِ على سائرِ الأمم، إذْ في ذلك اليوم أنزلَ اللهُ على نبيِّهِ محمدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا﴾ [المائدة:٣]، أنزلها على نبيِّهِ وهو واقفٌ يومَ عرفةَ في يومِ الجمعةِ.

ولقد انْتَبَهَ لهذا الفضلِ العظيمِ بعضُ أتباعِ المللِ الأخرى كاليهود، قال يهوديٌّ لعمرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: آيةٌ في كتابكمْ لوْ علينا معْشرَ اليهودِ نزلتْ لاتَّخَذْنا ذلك اليومَ عيداً، قال: وأيُّ آيةٍ؟ قال: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾، قال عمرُ: إنِّي أعلمُ اليومَ الذي نزلتْ فيهِ، والمكانَ الَّذي نزلتْ فيهِ، نزلتْ على النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو واقفٌ بعرفةَ يومَ الجمعةِ،

وكلاهما لنا عيدٌ.

أخي المسلمُ، خطبةُ يوم عرفةَ خطبةٌ تميّزتْ بأنها خطبةٌ تُلْقَى على مَسَامعِ الحَجيجِ، على اختلافِ بلادِهم ولغاتِهم، وزادتْ أهميةً في هذا العصرِ الّذي أصبحتْ تُبَثُّ فيه بواسطةِ الأقمارِ الصناعيةِ إلى أرجاءِ المعمورةِ، يَسْمَعُهَا العالَمُ كلُّه في آنٍ واحدٍ. إذاً فلهذه الخطبةِ شأنُها وفضلُها، وينبغي العنايةُ بها قدرَ الإمكانِ.

ومِنْ مِنَّةِ اللهِ علينا وتوفيقِه لنا أنْ هَيَّأَ لنا إلقاءَ الخطبةِ بمسجدِ نَمِرَةَ يومَ عرفةَ منذُ عام (١٤٠٢هـ)، فلقد تلَقَّيْتُ في خامسِ ذي القعدةِ عام (١٤٠٢هـ) خطاباً موجَّهاً لي مِنْ خادمِ الحرمينِ الشريفينِ الملكِ فهدِ بنِ عبدِ العزيزِ -رَحِمَه اللهُ تَعَالَى وأَسْكَنَهُ فَسِيحَ جَنَّاتِهِ-. تضمّنَ هذا الكتابُ العهدَ إليَّ بإلقاءِ خطبةِ يوم عرفةَ بِنَمِرَةَ نيابةً عن فضيلةِ الشيخِ عبدِ العزيزِ ابنِ عبدِ اللهِ بنِ حَسَنِ آلِ الشيخِ -الّذي طَالَمَا صَعِدَ هذا المنبرَ لعُقُودٍ عديدةٍ- وباشرتُ الخطبةَ في ذلكَ العام وفي العام التالي كذلكَ، ثُمَّ جاءَ التوجيهُ من خادمِ الحرمينِ الشريفين -رَحِمَه اللهُ- في عام (١٤٠٤هـ) بالخطابةِ في هذا المكانِ بصفةٍ مستمرّةٍ -أرجُو مِنَ اللهِ أَنْ نُوَفَّقَ فيها لكلِّ خيرٍ-.

أخي المسلمُ، إنَّ هذِهِ الخطبةَ خطبةٌ بحقٍ تهمُّ مَنْ يُلقيها ويتحدَّثُ

فيها؛ حيثُ إنَّ الواقعَ يقتضي ذلكَ. فأنتَ تخاطِبُ العالَمَ لتوضِّحَ فيها شريعةَ الإسلامِ: محاسنَ هذه الشريعةِ ومزاياها وخصائصَها، لتدعوَ العالَمَ إلى التدبّرِ والتعقّلِ والتأمّلِ، لتقولَ لهم: هذه شريعةُ اللهِ، هذا دينُ اللهِ، هذه أخلاقُ الإسلامِ، هذه مبادئُ الإسلامِ، تمسَّكوا بها أيُّها المسلمونَ، واقبَلُوا الإسلامَ يا مَنْ لم يعتنِقْهُ، فهو الدينُ الحقُّ الّذي لا يقبلُ اللهُ مِنْ أحدٍ ديناً سواهُ.

إنَّ محمّداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سيّدُ خُطَبَاءِ يوم عرفةَ على الإطلاقِ، إنّه خَطَبَ الناسَ في ذلكَ المجمعِ الكريمِ خطبةً كانتْ وجيزةً في لفظِها، كثيرةً في معانيها، ولا غَرْوَ فهو سيّدُ أهلِ البيانِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو أفصحُ الخلقِ بياناً، وأحسنُهم أداءً، وأقدرُهم على جَمْعِ المعاني في الكلمةِ الواحدةِ، حيثُ أعطاهُ اللهُ جَوامِعَ الْكَلِمِ، واختُصِرَ له اختصاراً.

ألقى تلكَ الخطبةَ العظيمةَ الّتي بيَّنَ فيها حرمةَ دماءِ المسلمينَ عليهم، وحرمةَ أموالِهم، وأنَّ تحريمَ الدماءِ والأموالِ حرامٌ كتحريمِ هذا اليومِ العظيمِ في بيتِ اللهِ الحرامِ وفي الشهرِ الحرامِ. بيَّنَ فيها ما للمرأةِ مِنْ حقوقٍ وما عليها من واجباتٍ. بيَّنَ للأمةِ أنَّ اللهَ ألْغَى به مآثرَ الجاهليةِ الّتي قبلَ الإسلامِ، سواءٌ في الأموالِ أو الدماءِ أو الأعراضِ، قالَ لهم: «إنّ كلَّ أمرٍ منْ أمورِ الجاهليّةِ تحتَ قدَمَيَّ موضوعٌ». وحقّاً إنّه قضَى على ظلمِ الجاهليةِ

وضلالتِها، وأقامَ المجتمعَ المسلمَ الوَسَطِيَّ القائمَ على العدلِ والخيرِ والهُدَى.

ألغَى فيها ما كانَ بينهم مِنْ معاملاتٍ ربويةٍ، وخصَّ عمَّه العبّاسَ؛ لأنّه كانَ ممّن يتعاملُ بالرّبا، ولِيَكُونَ أمرُ العبّاسِ أمراً شاملاً للجميعِ.

وألغَى فيها دعواتِ الجاهليّةِ وآثارَها السيّئةَ في الدّماءِ.

كلُّ ذلك يُبيِّنُ أنّ الإسلامَ جاءَ لينقلَ العالَمَ من حياةٍ إلى حياةٍ، من صورةٍ قاتمةٍ مُظْلِمَةٍ إلى صورةٍ بيضاءَ مُشْرِقَةٍ، لِيَسْتَقْبِلُوا عملاً جديداً، ولِيَنْسَوا الماضيَ اللّئيمَ، ولِيَدْفنوا آثارَه كلَّها، ولِيَسْتَقْبِلُوا عُمُراً جديداً وأياماً سعيدةً، حقاً إنّها أيامُ الخيرِ والبركةِ، لقد ذكّرَ اللهُ الأمّةَ بهذهِ النعمةِ فقال: ﴿فَإِذَآ أَفَضۡتُم مِّنۡ عَرَفَٰتٖ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلۡمَشۡعَرِ ٱلۡحَرَامِۖ وَٱذۡكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمۡ وَإِن كُنتُم مِّن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ١٩٨﴾ [البقرة:١٩٨].

إنّ الرَّعيلَ الأولَ مِنْ هذهِ الأمّةِ يتذكّرونَ تلكَ الضلالاتِ الّتي كانوا يعيشونَها، وتلكَ المصائبَ الّتي مرّتْ بهم، ويتذكّرونَ نعمةَ اللهِ عليهم بهذا الدّينِ الّذي جَمَعَ بينَ قلوبهم، ووحّدَ به صفوفَهم، وأخرجهم به من ظلماتِ الجهلِ إلى نورِ العلمِ والهُدَى، ﴿لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ

مُبِينٍ ﴿١٦٤﴾ [آل عمران: ١٦٤].

مَوْقِفُ يوم عرفةَ موقفٌ إسلاميٌّ غَيَّرَتْهُ الجاهليةُ وحَرَّفَتْهُ عن سبيلِه، فكانَ سُكَّانُ الحرمِ لا يَقِفُونَ بعرفةَ، ويقولونَ: نحنُ أهلُ الحرمِ نَقِفُ بالحرمِ، ويجعلون موقفَ عرفةَ للآفاقيّينَ، فجاءَ محمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأعادَ الحجَّ على قواعدِ إبراهيمَ، فوقفَ بعرفةَ، وقال: «الحجُّ عرَفَة»، وقال: «وَقفتُ هَهُنَا وعَرَفَةُ كُلُّهَا موقِفٌ».

أخي المسلمُ، دُونَكَ خُطَباً جَمَعْتُهَا لمدةِ عشرِ سنواتٍ، وهِيَ من عام (١٤٠٢هـ) إلى عام (١٤١١هـ) ألقيتُها بمسجدِ نَمِرَةَ.

هذه الخطبُ المتواضعةُ الّتي حَرِصْتُ فيها بتوفيقٍ مِنَ اللهِ أنْ تكونَ خُطَباً شاملةً جامعةً لأصولِ الدينِ، فتَحَدَّثْتُ عن العبادةِ، وعن الأخلاقِ، وعن مناسكِ الحجِّ، وما ذا يجب على المسلمينَ نحوَ دينِهم ونحوَ أنفسِهم، هي خُطَبٌ تُعَالِجُ تلكَ القَضَايَا -أسألُ اللهَ أنْ أكونَ موفَّقاً فيها للصَّوابِ-.

وَمَا وَجَدْتَهُ يا أخي فيها مِنْ أسلوبٍ قد لا يُعْجِبُكَ أحياناً، أو بعضَ الأخطاءِ الّتي ليستْ مقصودةً فإني أرجُو أنْ تُصَحِّحَ هذا الخطأَ، وأنْ تدعوَ لِمَنْ ألقاها بالمغفرةِ والرضوانِ، وأرجُو مِنَ اللهِ أنْ يَعُمَّ نفعُها، وأنْ يكونَ في إخراجِها خيرٌ للإسلامِ والمسلمينَ.

وَفي ختام كلمتي هذهِ أحبُّ أنْ أنوِّهَ بأمرٍ عظيمٍ مهمٍّ، ألا وهو ما مَنَّ اللهُ به على العالمِ الإسلاميّ في هذه المائة عام المتأخرةِ، حيثُ هيّأ اللهُ لهم زيارةَ البيتِ الحرام لأداءِ العمرةِ والحجِّ، للوقوفِ بتلكَ المشاعرِ العظيمةِ وزيارةِ مسجدِ محمدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لقد كانَ الحجُّ لبيتِ اللهِ الحرامِ أمنيةً تختلجُ في نفسِ كلِّ مؤمنٍ يتمنّى أن يزورَ البيتَ الحرامَ ولو في عمرهِ مرةً، ولقد مضى على العالمِ الإسلاميّ بعدَ القرونِ الثلاثةِ المفضَّلةِ سنونٌ عديدةٌ تمرُّ بهم ما يأتي البيتَ الحرامَ مِنْ أرجاءِ العالمِ الإسلاميّ أحدٌ إلّا النَّزْرَ مِنَ الناسِ، فيتعذّر من المشرقِ الإسلاميّ أو من مغربها الوصولُ إلى الحجِّ، لماذا؟ يتعذّر أولاً لصعوبةِ الوصولِ إلى البيتِ الحرامِ، ولاختلالِ الأمنِ في العالمِ الإسلاميّ، بعد ضَعْفِ الدولة الإسلامية ضَعُفَ الأمنُ وكثرَ الخوف وقطّاع الطرقِ الذين ينهبونَ الناسَ، ويسلبونَ أموالَهم، وربما قتلوهم، وربما استرقّوهم.

إنّ الحجَّ أصبحَ مشكلةً من أكبرِ المشاكلِ، ولقد مضى على بعضِ علماءِ الأمّة، ذوي المكانة والفضل، عُمُرُهم ما تمكَّنَ واحدٌ منهم من زيارةِ البيتِ الحرامِ، فسبحانَ الحكيمِ العليمِ.

ولكن في هذه العصورِ المتأخرةِ منذُ أيامِ الملك عبدِ العزيزِ -غفرَ اللهُ لَهُ-، فإنّ اللهَ جعلَ على يديهِ تسهيلَ أمرِ الحجيجِ، فأمَّنَ الوصولَ إلى البيتِ

الحرام.

ثمّ البيتُ الحرامُ -ولله الحمد- آمنٌ في هذه الأزمنة شرعاً وقَدَراً، آمنٌ شرعاً بما ألزمَ اللهُ المسلمَ من احترام أمنِه والتأدّبِ فيه، وآمنٌ قَدَراً بما هيّأ اللهُ له من أولئك القيادةِ الذين بذلوا كلّ غالٍ ونفيسٍ في سبيلِ تأمينِ راحةِ الحجيجِ.

إنَّ تأمينَ راحةِ الحجيجِ أمرٌ مهمٌّ، اعتنتْ به هذه الحكومةُ -وفَّقَهَا اللهُ-، اعتنتْ بالطرقِ الموصلةِ إلى البيتِ الحرامِ، ثم اعتنتْ بأمنِهِ، واعتنتْ بعمارتِهِ، واعتنتْ برخائِهِ، فأصبحَ البلدُ الأمينُ رخاءً سخاءً، يأتي الحاجُّ من أقصى الدنيا لا سلاحَ يحملُهُ، لا زادَ يصحبُه؛ ولهذا ترى العددَ الكثيرَ يأتونَ البيتَ الحرامَ من طريقَ الجوِّ، وهؤلاءِ الذين يأتونَ من طريقِ الجوِّ لا يحملونَ زاداً ولا سلاحاً؛ لأنهم يجدونَ أمناً ورخاءً واستقراراً وطمأنينةً.

إنّ من يُشَاهِدُ الحرمينِ الشريفينِ، وهذه التوسعةَ العظيمةَ والمتواليةَ والخدماتِ المستمرةَ، ليسألُ اللهَ لأولئكَ القادةِ أنْ يوفِّقَهم ويسدِّدَ خُطاهم، ويجزيَهم عمّا فعلوا خيراً.

لقد بذلَ الملكُ عبدُ العزيزِ -رَحِمَهُ اللهُ- جُهدَهُ العظيمَ في تأمين الحجيجِ، فيسّرَ الله عليه هذهِ النعمةَ، ثم تعاقبَ أبناؤه الكرامُ: سعودٌ،

وفيصلٌ، وخالدٌ، والملكُ فهدُ بن عبدِ العزيزِ -رحمَ اللهُ الجميعَ-، ثم دورُ خادمِ الحرمين الملكِ عبدِ الله -وفَّقَهُ اللهُ وأيَّدَهُ ونصَرَهُ- ومَا مِنْ أولئك إلّا وله لمَسَاتٌ في تيسيرِ أمرِ الحجيج وتذليلِ الصعابِ، كالتوسعةِ في بيتِ الله الحرامِ، وفي مسجدِ رسولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وماحصلَ أيضاً في المشاعرِ من تسهيل وتيسير: أنفاقٌ أقيمتْ، طرقٌ هُيِّئَتْ، مياهٌ كثيرةٌ، يُسِّرَ الوصولُ إليها، وهذهِ الخيامُ المتعدّدةُ، كلُّ ذلك من توفيق الله، فوفّقَ اللهُ خادمَ الحرمينِ، وشَدَّ أزرَهُ بصاحبِ السّموِّ وليِّ العهدِ الأميرِ سلطانِ بنِ عبدِ العزيزِ وليِّ عهدِهِ الأمينِ الذي ساعدَ وساهمَ في هذا الأمرِ العظيمِ، فجزى اللهُ الجميعَ خيراً، وَوَفَّقَهم لما يحبّه ويرضاه.

وإنما قلتُ ذلك حقيقةً، يشهدُها كلُّ مَنْ أتى إلى هذهِ البلادِ المقدّسةِ فرأى الأمنَ والاستقرارَ والطمأنينةَ والخدمةَ والرعايةَ، وبذلَ كلَّ الوسائلِ في سبيلِ راحةِ الحجيجِ.

فالدولةُ تستنفرُ كلَّ قواها وتبذلُ كلَّ جهودِها، وما من إدارةٍ حكوميةٍ إلا ولها تعلّقٌ في هذا المسجدِ الحرامِ، تؤدّي الواجبَ الذي عليها، وذلك بتوفيقِ اللهِ، ثم بتوجيهِ قادةِ هذا البلدِ، وَفَّقَهم اللهُ وسدّدَ خطاهم، ورزقهم الاستقامةَ والسيرَ على الخيرِ والهدى، ووفّقَ المسلمينَ جميعاً لشكرِ نعمةِ اللهِ وحُسْنِ عبادتِهِ.

وإني أشكرُ اللهَ قبلَ كلِّ شيءٍ، ثم أشكرُ أخانا الشيخ بدرَ بنَ محمَّدٍ الوهيبي الّذي انبرى لجمعِ هذهِ الخطبِ والإشرافِ عليها، فجزاهُ اللهُ خيراً، ووفّقنا وإيّاهُ لِمَا يُحِبُّ ويَرْضَى.

وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَى عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ.

المُفْتي العَام للمَمْلَكَةِ العَرَبيّةِ السُّعُوديَّة
ورئيس هَيْئَةِ كِبَارِ العُلَمَاءِ وإدارةِ البُحُوثِ العِلْميَّةِ والإفتاءِ

عبدُ العزيزِ بنُ عبدِ اللهِ بنِ محمدٍ آلُ الشّيخ

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، والحمد لله مستحق الحمد ومُوليه، الحمد لله الذي أعلى معالم العلم وأعلامه، وأظهر شعائر الشرع وأحكامه، وبعث رسله -صلوات الله عليهم- إلى سبيل الحق والهدى داعين، وأخلفهم علماء على سننهم ماضين، وجعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم، يدعون من ضلّ إلى الهدى، ويصبرون على الأذى، ويُحيُون بكتاب الله تعالى الموتى، ويبصّرون بنور الله أهل العمى، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه، وكم من ضالّ تائه قد هدوه، فما أحسن أثرهم على الناس، وما أقبح أثر الناس عليهم، ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، رفع الذين آمنوا والذين أوتوا العلم درجات، وجعلهم أهل خشية الله، واستشهدهم على توحيده، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أعلم الخلق بالله، وأخشاهم لله، وأتقاهم له، بُعِثَ بالدين الحنيف الخاتم، ورفع شأن العلم، وقَدَّمَ على العابدِ العالِمَ، فصلوات ربي وسلامه عليه، وعلى آله وخلفائه وسائر أصحابه، والتابعين لهم بإحسان، ومن سار على دربهم واقتفى أثرهم إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن نعم الله عزّ وجلّ عليّ لا تحصى -ولا أحصي ثناء عليه سبحانه- ومن النعم العظيمة، والهبات الجليلة، والمنح الكريمة، أن هيأ لي الاتصال بسماحة الوالد الشيخ عبد العزيز بن عبدالله بن محمد آل الشيخ والقرب منه، أعبُّ من معين علمه وكريم خلقه وأنهل، وهو على كثرة الوارد مبارك لا ينضب، فسبحان الملك الوهاب.

وكان من ثمرات هذا الاتصال والملازمة، أن كلّفني شيخي بل وشرّفني بجمع المواد العلمية لسماحته من خطب ودروس وفتاوى ومحاضرات ولقاءات، تمهيداً لنشرها، فاستعنتُ بالله عزّوجل، وسألته سبحانه المدد والعون، فوجدت من لطيف صنعه وعظيم إنعامه ما لا أحصي له شكراً، فاللهم غفراً غفراً، وكان اختيار سماحة شيخنا -غفر الله له ولوالديه- أن يكون البدء بإخراج خطب عرفة، بدءاً بعشر خطب منها تُطْبَعُ في الجزء الأول، ثم يتبعها ما يتمّمها -بإذن الله عزّوجل-.

بدأنا العمل على إخراج هذه الخطب، بعد أن تم جمعها وتفريغها مع جملة كبيرة من المواد العلمية لسماحة والدنا -حفظه الله- بلغت ما يربو على ثمانية آلاف صفحة.

استللتُ منها (الجامع لخطب عرفة) الذي بين يديك، بإشارة من سماحته -وفقه الله-، واستعنتُ بالله عزّوجل، في إعدادها للطباعة، وذلك بمراجعتها، وتدقيقها، وتخريج أحاديثها وآثارها، وقراءتها على سماحة شيخنا -حفظه الله-، وإعادة الصياغة لبعض عباراتها، وإقرارها من قبل سماحته -حفظه الله- إلى أن خَرَجَتْ بهذه الحلّة القشيبة -بحمد الله عزّوجلّ-، بعد جهد استمرّ عاماً كاملاً.

وكانت طريقتنا في التخريج هي عزو الأحاديث إلى مصادرها فإن وُجِدَ الحديثُ في (الصحيحين) أو أحدهما اكتفينا به، وإلا خرّجناه من كتب السنن الأربعة و(مسند الإمام أحمد)، وإن لم نجده خَرَّجْناه من مصدره في باقي كتب السنن أو المعاجم وغيرها، وربما خَرَّجْنا بعض الآثار من كتب التفسير المسندة، كـ(تفسير ابن جرير)؛ لأنه مظنتها القريبة، وكان عزونا لأحاديث البخاري بالإشارة إلى (فتح الباري)؛ لانضباطه بترقيم الأحاديث، فيكون أيسر للقارئ، وإذا تكرر الحديث اكتفينا بالإشارة إلى مصادره والإحالة إلى تخريجه كاملاً عند أول ورود له

في الكتاب.

ومما استحسناه في هذا الكتاب أن تكون خطبة كل عام مفردة عن خطبة العام الذي يليه، وتكون الخطبة الواحدة مسرودة بفقراتها المتنوعة، مع ترقيم ما يحتاج إلى عزو، أو تخريج، أو تعليق، بأرقام مسلسلة، وتكون الهوامش في آخر كل خطبة؛ ولا يخفى على فطنة القارئ الكريم أن هذه الطريقة أدعى لاستيعاب الخطبة بكامل فقراتها، وتسلسل أفكارها ومحتوياتها، إضافة إلى أن الفاصل بين الخطبة والهوامش يسير، يسهل الرجوع إليه لمن أراده.

هذا، وإنّ مما يُذْكَرُ فيُشْكَرُ ما قام به الأخوان الفاضلان: الشيخ عبدالنافع زُلال بن عبد الحي بن عبد الوهاب، وهو من طلاب سماحة شيخنا -حفظه الله- المميزين بالخلق الجمّ، والعقلية الناضجة، الذي كان خيرَ مُعِينٍ لي في مراحل كثيرة من هذا العمل، فجزاه الله خيرا الجزاء، وفضيلة الشيخ محمد بن ناصر القحطاني، الباحث الشرعي بالرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، الذي لم يألُ جهداً ولا نصحاً، وقد عمل معنا في مراجعة هذا الكتاب فجزاه الله عنّا خيرا الجزاء.

ولما كان الحديث عن عرفة؛ فإني أرى لزاماً عليّ أن أشيد بالجهود العظيمة والجبّارة من قبل حكومة هذه البلاد المباركة، المملكة العربية السعودية، التي بذلت الغالي والنفيس؛ جهداً، ومالاً، ووقتاً، وخبرةً، وكل ما يمكن للتسهيل على ضيوف الرحمن، من تهيئة للمشاعر على اختلافها، وعناية بالشعائر على تنوّعها، وما أن ينقضي الموسم إلا وتجد العمل على قدم وساق لاستقبال الموسم المقبل بتدارك ما سبق، وإنجازات جديدة لاتكاد تخطؤها عين المنصف، مما كان له أثر كبير بفضل الله عزّ وجلّ على تيسير أداء هذه الفريضة العظيمة، التي كانت وعلى مرّ التاريخ من أعظم

فـرائض الإسلام مشقةً وعناءً، بل وكان كثير من المسلمين من علماء كبار[١] وغيرهم لا يستطيع أداءها للمشقة، وبعد الشُّقة، وخوف الطريق، وما يحدث أيضاً في الحج بمنى أو غيرها من قتال ونحوه، مما تجده مسطوراً في كتب التواريخ، بل وتجد فيها أعواماً لم يحجّ فيها أحد من إقليم وربما أقاليم من بلاد المسلمين[٢].

والآن بحمد الله، ومزيد فضله وإنعامه، قد تيسّرت السبل، وأمن الحاجّ على نفسه وأهله ومالـه، وهيّأت له جميع الوسائل المعينة على أداء هذه الفريضة في راحةٍ وأمنٍ وطمأنينةٍ، فلله الحمد ظاهراً وباطناً، ثم الشكر واجب علينا لهذه الدولة المباركة، أدام الله عزها بـعزّ الإسلام، وأيّد الله حكّامَها، وجعلهم مباركين أينما كانوا، ممتعين بالصحة والسلامة، مسدّدين بالتوفيق والإعانة.

ولما كان من المروءة والوفاء نسبة الفضل لأهله، فإني أشكر شيخي سماحة المفتي العام للمملكة العربية السعودية الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن محمد آل الشيخ -حفظه الله ورعاه ووفّقه وأعانه- على ما وجدتُ منه، من كريـم الأخلاق، وسعة الصدر، وندىً في كفّه وعلمه، لم يألُني نصحاً وتعليماً وتوجيهاً، وما كان من جهدٍ لي فإن كان صواباً فمن الله عزّ وجلّ التوفيقُ له، وسماحتُه -حفظه الله- هو السببُ الموصِلُ إليه؛ فكان هذا الكتاب كلّه من صنعه -حفظه الله- والفضل بعد الله تعالى لـه، فشَكَرَ اللهُ

---

(١) مثل أبـي إسحاق الشيرازي الذي انـتهت إليه رياسة المـذهب في الدنيا، وابن الحداد شيخ المالكية.

انظر: (شذرات الذهب) ٣/ ٣٤٩، (سير أعلام النبلاء) ١٤/ ٢٠٧، وغيرهما.

(٢) انظر مثلاً: حـوادث عام (٤٢٦هـ) في (الكامل) لابن الأثير، وحوادث الأعوام (٣٨٤هـ ، ٣٨٥هـ ، ٣٩٢هـ ، ٤٠٨هـ ، ٤١٧هـ ، ٤٢٢هـ ، ٤٢٣هـ ، ٤٣٠هـ و٦٢٧هـ) وغيرها في (البداية والنهاية) لابن كثير.

له، وبَارَكَ في عمره وعمله، وأسبغَ عليه نعم ظاهرة وباطنة، ولا أخلاه من حمد يجدّده على نعم يستجدّها، وتابعَ عليه أفضاله، ورادفَ إليه آلاءه، ووصل له الطارف منها بالتليد، وأصلح له العقب والعاقبة، وختم لنا وله ولوالدينا وسائر قراباتنا بخاتمة السعادة، ورزقنا الحسنى وزيادة، إنه سبحانه سميع مجيب.

ولا يفوتني -وأنا في مقام الشكر- أن أشكر الإدارة العامّة لمراجعة المطبوعات الدينية، بالرئاسة العامّة للبحوث العلمية والإفتاء، ثم الشكر سلفاً لكل من واصلنا بتنبيه، أو استدراك، أو ملاحظة.

أسأل الله العظيم أن يجعلنا ممن إذا أُعطي شكَرَ، وإذا ابتُلي صَبَرَ، وإذا أذنبَ استغفرَ، ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾﴾ [الأحقاف: ١٥].

وصلّى الله وسلّم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، ومن سار على دربه واقتفى أثره إلى يوم الدين، اللهمّ احشرنا معهم وانظمنا في سلكهم يا كريم.

وكتبه راجياً عفو مولاه

بَدْرُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الوُهَيبِيّ

الباحث الشرعي بمكتب سماحة المفتي العام

غَفَرَ اللهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ

خطبة عام «١٤٠٢» الهجري

السَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ.

إنَّ الحَمْدَ للهِ نَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا فَمَن يَهْدِهِ اللهُ فَلا مُضِلَّ لَهُ وَمَن يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ(١).

أما بعد:

أيها الناس.. أيها المسلمون.. اتقوا الله تعالى حق التقوى، اتقوا ربكم، فهو أهلٌ أن يُتَّقى وأهلٌ أن يَغفِر، اتقوه تعالى بفعل أوامره واجتناب نواهيه، اجعلوا بينكم وبين عذابه وقاية بامتثال ما أمركم به واجتناب ما نهاكم عنه، اتقوه يا عباد الله تقوى عبدٍ يعلم أن الله مطلع على سرّه وعلانيته، عالم بكل أحواله، اتقوه سبحانه، فبتقواه تنالون عزّ الدنيا وسعادة الآخرة، اتقوا ربكم يا عباد الله في كل أحوالكم تقوى من يعلم أنه موقوفٌ بين يدي الله وأن الله محصٍ عليه جميع أعماله، اتقوه تعالى وراقبوا أمره واجتنبوا نهيه.

إن التقوى يا عباد الله وصيةٌ أوصى الله بها الأولين والآخرين ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١]، التقوى يا عباد الله بها تنال ولاية الله؛ فإن ولاية الله لاينالها إلا المتقون ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ

يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ﴾ [يونس: ٦٢-٦٤]، وبالتقوى يا عباد الله تتحقق المودة الثابتة التي لا تنفصم عـراها ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزخرف:٦٧].

عباد الله.. خلق الله الخلق لحكمة عظيمة؛ ليعبدوه وحده لا شريك له ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات:٥٦]، أرسل الله الرسل مبشرين ومنذرين ليردوا العباد إلى فطرة الله التي فطرهم عليها، بعد ما انحرف العباد عن فطرة الله، فالله عزوجل قد فطر الخلق على عبادته ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم: ٣٠]، فلما انحرف العباد عن هذه الفطرة أرسل الله الرسل ليردوا العباد إلى فطرة الله السليمة.

ذلكم يا عباد الله أن الخلق كانوا من لدن آدم عليه السلام إلى نوح يعبدون الله لا يشركون بـه شيئاً، باقون على الفطرة التي فطرهم الله عليها، فلما انحرفوا عن فطرة الله وعبدوا غير الله وأشـركوا مع الله غيره بعث الله نوحاً عليه السلام يدعو قومـه إلى أن يعبدوا الله ولا يعبدوا معه غيره قائلاً لهم: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعـراف:٥٩]، فكذبه قومه ولم يستجب له إلا القليل، فأغرق الله من كذبه ونجى نوحاً وأتباعه.

ثم تتابعت الرسل رسولاً بعد رسولـ، ليقيموا الحجة على العباد، ولتنقطع معذرة العباد ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥].

وإن دعوة جميع الرسل دعوة واحدة إلى عبادة الله وحده لا شريك له وترك عبادة ما سواه، هذه طريقة أنبياء الله ورسله من لدن نوح إلى سيدهم وأعظمهم وأكملهم وأفضلهم محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وهكذا دعوة الرسل جميعاً إلى هذا الأصل العظيم، إلى إفراد الله بالعبادة، وأن لا يكون مع الله في عبادته غيره.

وانتهت الرسالة إلى سيد الأولين والآخرين محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإن الله تعالى بعث محمداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالهدى ودين الحق، بعثه بما بعث به إخوانه الأنبياء والمرسلين، بعثه ليدعو الخلق إلى عبادة الله ويحذرهم من الإشراك بالله، بعثه الله وجعل رسالته شاملة عامةً لكل الخلق عربهم وعجمهم، إنسهم وجنهم، افترض على العباد جميعاً طاعته واتباع شريعته والانقياد لها، بعثه الله على حين فترة من الرسل واندراسٍ من العلم والهدى، بعثه وقد طبق الأرضَ جهلٌ عظيمٌ، وفسادٌ كبيرٌ اختفت أعلام الملة الحنيفية، وانحرف الناس عن فطرة الله، يقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب..**»[٢]، بعثه رب العالمين رحمةً للعالمين؛ ليستنقذهم به مما أصابهم من الضلال والفساد، فكان الناس أحوج ما يكونون إليه صلوات الله وسلامه عليه.

بعثه الله برسالة شاملة إلى كل الخلق، واختار لمبعثه أم القرى مكة

جميع الرسل دعوا إلى إفراد الله بالعبادة، وترك عبادة ما سواه

-شرفها الله وزادها تشريفاً وتعظيماً- استجابة لدعاء الخليل عليه السلام ﴿رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١٢٩﴾ [البقرة:١٢٩]، فمكة -شرفها الله- خير أرض الله ومختار الله من أرضه، كما أنه صَلَّى اللهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ خير خلق الله على الإطلاق صلوات الله وسلامه عليه أبداً دائماً إلى يوم الدين.

بدأ صَلَّى اللهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ قومه العرب بدعوته، وكان العرب آنذاك قد انحرفوا عن فطرة الله، كانوا متباهين في ضلالاتهم، متفرقين في عباداتهم، يعبدون آلهة متعددة، لكل فئةٍ منهم إله يعبدونه من دون الله، ويعظمونه من دون الله، منهم من يعبد المسيح، ومنهم من يعبد عزيراً، ومنهم من يعبد الملائكة، ومنهم من يعبد الشمس والقمر، ومنهم من يعبد الأشجار والأحجار، فدعا القوم جميعاً إلى توحيد الله دعاهم إلى إخلاص الدين لله دعاهم إلى أن يتوجهوا بقلوبهم إلى ربهم وفاطرهم ليعبدوه وحده لا يشركون به شيئاً.

وكان العرب كغيرهم من مشركي الأمم يزعمون أن تلك المعبودات التي يعبدونها من دون الله، تقربهم إلى الله زلفى، وأنها تشفع لهم عند الله، وأنها ترفع إلى الله حاجاتهم وطلباتهم، ما كانوا يعتقدون فيها أنها تخلق وترزق وتدبر أمر الكون، فذاك متفق عليه بين أهل الأرض كلهم أنه من خصائص الله، لكن شركهم أنهم اتخذوا بينهم وبين الله وسائط يزعمون أنها تقربهم إلى الله زلفى، وأنها تشفع لهم عند الله، فصرفوا لها العبادة من دون الله، عظموها بقلوبهم، تألهتها قلوبهم خوفاً وحباً ورجاءً، صرفوا لها أنواع العبادة التي هي حق لله ولا حق لأحدٍ

أرسل الله محمداً صلى الله عليه وسلم بالتوحيد الخالص بعد ما أطبق الأرض الجهل والضلال وعبادة الأوثان

فيها سوى الله، فجرّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نفسه، وقام بكل مستطاعه ليخلص العرب من هذه الجهالات، ويرتقي بهم إلى الحرية، حرية العبودية لله، ويستأصل منهم تلك الخرافات والضلالات، فدعاهم إلى كلمة واحدة، إلى أن يقولوا: لا إله إلا الله، إلى أن يقولوا هذه الكلمة، تنطق بها ألسنتهم، وتعمل بمقتضاها جوارحهم، وتعتقد معناها قلوبهم، وهو أن الله وحده هو المعبود لا أحداً سواه، وأن العبادة حقٌّ لله لا حق لأحدٍ فيها أبداً، لا نبياً ولا غيره، فلما عرف القوم مدلول هذه الكلمة وأن مدلولها إفراد الله بالعبادة، وأن لا يكون مع الله شريكٌ في أي نوع من أنواع العبادة- أبوا أن ينطقوا بها قائلين: ﴿أَجَعَلَ ٱلْأَلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝٥﴾ [ص: ٥].

عرف القوم مدلول هذه الكلمة ومقتضاها وما دلت عليه، وأنها تدعو إلى إفراد الله بالعبادة، وأن يكون الله وحده هو المعبود الذي يخاف ويرجى ويتقرب إليه، ولا يكون لغيره شركة في ذلك، فاستكبروا عن قولها كما حكى الله عنهم: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ۝٣٥ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ۝٣٦﴾ [الصافات: ٣٥، ٣٦].

إن محمداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يدعُ إبتداءً إلى الصلاة ولا إلى الزكاة ولا إلى الحج ولا إلى غيره، وإنما جعل أول أمره اهتمامه بتحقيق التوحيد، بتحقيق لا إله إلا الله، بإرسائها في النفوس، باستئصال الشركِ وعبادةِ غيرالله، فاهتم بهذا الأمر العظيم غاية الاهتمام لأن هذا الأصل، بتحقيقه وتصفيته وتنقيحه، تستنير القلوب، وتستضيء بوحي الله، وتنقاد الجوارح لأوامر الله، أما إذا كان القلب

دعا محمد صلى الله عليه وسلم إلى تحقيق التوحيد قبل كل شيء

منصرفاً لغير الله، آلهاً غيرَ الله، راجياً غيرَ الله، فإنه لن ينقاد للخير أبداً.

أقام الله عـز وجل الأدلة الواضحة والبراهين الصادقة على فساد الشرك وضلال المشركين وفساد معبوداتهم من دون الله، فبين لهم تعالى وتقدس أن كل عابدٍ لغير الله فإنه في ضلالٍ مبين ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [الأحقاف:٥]، وأن هؤلاء المدعوين غافلون عن دعاء من دعاهم، وأنهم يوم القيامة سيتبرؤون من كل من عبدهم من دون الله ويكفرون بعبادتهم، وأخبر تعالى أن هذه المعبودات لا تملك شيئاً في الكون، وليسوا أعواناً لله ولا شركاء لله، وأن الشفاعة التي يظنها المشركون أنها في يد من عبدوه وعظموه من دون الله أن ذلك ضلالٌ مبين، فإن الشفاعة ملكٌ لله، الله الذي يأذن للشافع بعد ما يرضى تعالى وتقدس عن المشفوع له[٣]، وهو لا يرضى إلا عمّن وَحّدَه وعَبَدَه ولم يجعل مع الله شريكاً في عبادته.

إن محمداً صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ مكث عشر سنين بعد البعثة مكرّساً وباذلاً قصارى جهده في تحقيق التوحيد وحماية هذا الأصل العظيم، وتثبيته في النفوس وإزالة الشرك والوثنية، ولم تفرض عليه الصلوات الخمس إلا قبل هجرته بسنين، وهاجر إلى المدينة بعد ذلك ففرضت بقية الفرائض، وشرعت الحدود، وما زال صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ يحمي هذا التوحيد، ويهتم بشأنه، ويدحض الشرك، ويزيل كل شبه المشبهين، ويحقق التوحيد حتى طهّر الله به جزيرة العرب من كل الأوثان، وعاد إلى مكة فاتحاً منتصراً، وأزال كل ما بها من شرك ووثنية، وأعادها

إلى حظيرة الإسلام صلوات الله وسلامه عليه.

دعاة الإسلام.. إن الواجب عليكم أن تجعلوا أمر التوحيد غاية همكم وأعظم مرادكم، كرّسوا جهودكم لذلك، اهتموا بهذا الأصل العظيم، ادعوا عباد الله إلى عبادة الله، خلصوا المسلمين من آثار الوثنية، خلصوهم من الجهالات والضلالات، عرّفوا عباد الله بواجب الله عليهم، عرّفوهم بأعظم حقٍ أوجبه الله عليهم، ألا وهو عبادة الله وحده لا شريك له. اجعلوا ذلك غاية أمركم؛ فإن أمة الإسلام دخل عليهم من الضلال والفساد ما هو معروف، فبعض من الناس -ردّنا الله وإياهم إلى صراطه المستقيم- التبس عليهم الحق بالباطل، والهدى بالضلال، فعبدوا غير الله، بنوا القباب والمساجد على القبور، طافوا بها من دون الله، طلبوا منها كشف الكربات، استغاثوا بأربابها من دون الله، جعلوها إلهاً مع الله، صرفوا لها حقوق الله، عظموها في قلوبهم أعظم من تعظيم الله، تألهت قلوبُهم غيرَ الله، وعظموا غير الله، ولاشك أن هذا منافٍ لما بعث الله تعالى به سيدَ الأولين والآخرين محمداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

اقتدوا يا دعاة الإسلام بنبي الهدى محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فاجعلوا أمر توحيد العبادة غاية أمركم، خلّصوه وصفّوه من كل شوائب الشرك، وطهروه من البدع والخرافات؛ لتستقيم لكم العقيدة الصحيحة الصافية.

إن محمداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اهتم بأمر التوحيد في أول دعوته وفي آخرها، فنراه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في آخر حياته -بل وهو يلفظ آخر نفس من حياته- يقول: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» لولا ذلك أبرز

على الدعاة الاهتمام بأمر التوحيد وجعله هو الغاية من دعوتهم، وأن يكرسوا جهودهم في سبيل تحقيقه

وجوب الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم بجعل توحيد العبادة هو الغاية من الدعوة

قبره غير أنه خَشِيَ أو خُشِيَ أن يُتّخَذَ مسجداً[٤].

علم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن من أعظم أسباب الشرك الغلو في الصالحين، الغلو في الأولياء، الغلو في الأنبياء، حتى ينزلوهم منزلة الله، ويصرفوا لهم حقوق الله، ويعظموهم من دون الله، فخاف على أمته أن يقعوا فيما وقع فيه من قبلهم، فحذرهم من وسائل الشرك وذرائعه، وحَمى حِمى التوحيد، فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبده، فقولوا: عبد الله ورسوله»**[٥].

حذّر صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمته من أن يغلوا فيه ويعظّموه من دون الله، إنما بعث ليدعو الخلق إلى عبادة الله، ما بعث ليعبد من دون الله، ولا ليعظم من دون الله ولا يؤلّه من دون الله ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَـٰكِن كُونُوا۟ رَبَّـٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [آل عمران: ٧٩، ٨٠]، فنبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعث ليُعرّف العباد كيف يعبدون الله، لم يُبعث ليُعظّمَ ويُعبَدَ من دون الله؛ ولهذا يقول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في دعائه: **«اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد، اشتدّ غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»**[٦].

أمة الإسلام.. إن محمداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جاهد في الله حق جهاده، ودعا إلى الله ليلاً ونهاراً سراً وجهاراً بمكة والمدينة حتى إذا أكمل الله به

الدين، وأتم به النعمة، ودخل الناس في دين الله أفواجاً. وانقادت كل الجزيرة إلى شرع الله ودينه، وطهرت من كل الوثنية. اختاره الله إلى جواره بعد ما أدى الأمانة، وبلغ الرسالة، وجاهد في الله حق جهاده، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه إلى يوم الدين.

قام أصحابه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعده فحملوا تلكم الأمانة العُظمى، خرجوا من جزيرة العرب بهذا الدين القيم ليهدوا البشرية، ويخلصوها من ظلمات الجهل والضلال، وينيروا القلوب، ويفتحوا البصائر، خرجوا بهذا الدين، لم يخرجوا ليستعبدوا الخلق، ولا لينهبوا خيراتهم، وإنما خرجوا ليُنيروا القلوب والبلاد، ليخرجوا العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ليخلصوهم من الظلم والجور، إلى العدل والهدى والإحسان، خرجوا بدين الله كما تلقوه عن الله بواسطة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، خرجوا بهذا الدين الناصع بغير غلو ولا جفاء، من غير إفراط ولا تفريط، عرضوا محاسن هذا الدين وعرضوا فضائله، وكانوا أسبق الناس للعمل بمقتضاه وما دل عليه، خرجوا بهذا الدين وقالوا لكل من واجههم: نحن كنا أمة نعبد الأصنام، وكنا في غاية الذل والضعف، وفي غاية الهوان حتى أنقذنا الله بهذا الإسلام، فنريد أن نحرركم، ونريد أن نهديكم كما هدانا الله، ونريد أن نرفع شأنكم كما رفعنا الله بهذا الدين، خرجوا بهذا الدين بتعاليمه السامية، ومبادئه القيمة، فعند ذلك قبلته البشرية، ومن عارض هذا الدين طلبوا منهم تسليم الجزية، ومن قاومهم قاوموه، حتى أوصلوا هذا الدين لعباد الله، وحتى أناروا قلوب العباد، وحتى هدوا البشرية. فلما رأت الخليقة هذا الدين ومبادئه وفضائله

قيام أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بعده بحمل أمانة الدعوة إلى التوحيد، وإنقاذ الناس من ظلمات الجهل والضلال

وتعاليمه السامية، انقادوا طوعاً واختياراً، لم يفرض عليهم هذا الدين بقوة الحديد والنار، ولا بمغريات الأموال، ولكن تعاليم هذا الدين ومبادئه السامية وأخلاقه القيمة تدعو إليه وتنادي إليه.

إن دعاة الإسلام إذا عرضوا هذا الدين عرضاً سليماً خالصاً، فلابد من أن تستجيب له البشرية، وإنما وقع النقص والبلاء من قِبَل أن هذا الدين لم يعرض عرضاً صحيحاً، بل عرض مشوهاً، وعرض وقد لفقت به الشبه والضلالات، إن دين الله دينٌ صالح يخاطب الفطر السليمة والعقول المستقيمة، لقد قبلته البشرية حين عرض بصورته الصحيحة، واستضاءوا بنوره، وأشرقت به الأرض بعد ظلماتها، ودخل الناس في دين الله أفواجاً، وتحقق وعد الله حيث يقول: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ [التوبة:٣٣].

عاشت البشرية في ظل عدالة الإسلام ومبادئه القيمة، وقادوا شعوبهم، ونظموا دولتهم على تعاليم الإسلام، فرأى الخلق فيه كل خير وصلاح، وكل هدىً وفلاح، ذلك دين الله وتشريعه ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك:١٤].

أمة الإسلام.. إن هذا الدين لما دخل الناس فيه، حقق الله لهم كل عز وكرامة، وكل أمنٍ واستقرار ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا

يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗا﴾ [النور: ٥٥]. فلما انحرف المسلمون عن دين الله، وزهدوا في هذا الدين، وابتغوا العزة والكرامة في غيره- عند ذلك تسلط عليهم الأعداء، وأصابهم من النقص ما أصابهم على حسب بعدهم عن دين الله، وما زال المسلمون ينأون عن دين الله، ويتخلون عن تعاليمه، وتفقد أحكامه بينهم، حتى سلط الله عليهم عدوهم جزاءً وفاقاً ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ٤٦﴾ [فصلت: ٤٦]، ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾ [الأنفال: ٥٣].

أمة الإسلام.. هل من رجوع إلى دين الله، هل من عودة إلى هذا الدين، هل من رجوعٍ صحيح إلى تعاليمه القيمة ومبادئه السامية؛ ليعود للأمة مجدها وعزها وكرامتها؟!

هل حاول المسلمون يوماً أن يراجعوا نظمهم، فيغيروا ما كان منها مخالفاً للشرع، ويجعلوا قوانينهم ونظمهم موافقةً لشرع الله؛ لتعيش شعوبهم في أمنٍ وطمأنينةٍ وسلام؟!

هل فكر المسلمون أن يغيروا مناهج تعليمهم فيجعلوها مناهج صالحة؛ حتى يتربى هذا الجيل تربية إسلامية صالحة، مؤمناً بالله ورسوله ودينه، محكماً لشرع الله، مقتنعاً أن هذا الدين هو الدين الصالح للبشرية لا سواه؟!

هل حاول المسلمون يوماً أن يخلصوا اقتصادهم من أن يكون مرتبطاً بأعداء الله، فيجعلوه اقتصاداً إسلامياً مبنياً على قواعد الشرع؛ حتى تكون نظمهم

الحث على الرجوع إلى تعاليم هذا الدين ومبادئه السامية؛ ليعود للأمة مجدها وكرامتها

الاقتصادية نظماً إسلامية صحيحة؟!

هل فكر المسلمون يوماً أن يسخروا أجهزة إعلامهم لتكون في خدمة قضايا الإسلام؛ حتى يزيلوا كل شبهة وكل ضلالة لفقت بهذا الدين، ويعرضوا قضايا الأمة الإسلامية عرضاً صحيحاً؛ ليكون عند المسلمين إلمام بمشاكل الشعوب الإسلامية وغيرة لله وتكاتف في دين الله؟!

أمة الإسلام.. هل فكر المسلمون أن يكون لهم صوت يهز الأسماع؛ حتى يحسب لهذه الأمة حسابها، وحتى تكون أمة تنافس قوى الكفر والضلال؟! فإن الله تعالى جعل في هذه الأمة مقومات الوحدة والاتفاق؛ لأن هذا الدين هو الذي يجمع القلوب ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]، ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾ [الأنفال: ٦٣].

بيان أن أعداء الإسلام يسعون دائماً في تفكيك الأمة، والقضاء على وحدتها

أمة الإسلام، إن أعداء الإسلام يسعون دائماً في أن يجعلوا هذه الأمة أمةً متفككة، أمة مختلفة، أمة متناحرة، أمة متعادية؛ لأنهم يرون أن اتحاد الأمة واجتماع كلمتها واتفاقها قوة لا تغلب وقوة لا تهزم، فإن خلافات الأمة أمرٌ مقصودٌ لأعداء الإسلام فالاجتماع يوحي بالقوة والعزة والكرامة.

فيا أمة الإسلام.. اجتمعوا على دين الله، ويا قادة المسلمين، شعوبكم أمانة في أعناقكم، احفظوهم بالإسلام، احفظوا لهم هذا الدين، وحكموا فيهم شرع الله؛ حتى ترتاحوا، وحتى تعيشوا أمناً وطمأنينة واستقراراً، وحتى تكون حياتكم حياة

سعيدة؛ فإن الحياة السعيدة إنما هي في الإيمان بالله ورسوله ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ [النحل:٩٧].

أمة الإسلام.. حجاج بيت الله الحرام، أنتم في هذه البلاد المقدسة تشاهدون ما أنعم الله به على هذه البلاد العزيزة من نعمة الأمن والاستقرار، وأن هذه البلاد -ولله الفضل والمنة- تعيش في أمن واستقرار عديم النظير، فأهلها آمنون مستقرون يعيشون نعمة الأمن العظيمة التي منحهم الله إياها؛ وذلك بفضل تحكيم شرع الله، وتنفيذ حدوده، وإقامة شريعة الله، وتحكيم هذا الشرع في أرجاء البلاد، فصارت هذه البلاد مضرب المثل في الأمن والاستقرار، فإن نعمة الأمن نعمةٌ عظيمةٌ، ليس بعد نعمة الإسلام نعمةٌ أفضلَ منها.

لقد حبا الله هذه البلاد بهذه النعمة العظيمة نعمة الأمن والاستقرار، وغدا الحجاج إلى هذه البلاد من أقطار الدنيا وهم يعيشون أياماً سعيدة في أمنٍ وراحةٍ واستقرار ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾﴾ [الحديد:٢١]، وإنما حصل هذا الأمن بتحكيم شرع الله وتنفيذ حدوده والتزام الشرع المستقيم، فهذا الأمن تحقق لنا بهذه النعمة العظيمة، فليقتدِ المسلمون بهذه البلاد؛ فإن هذه البلاد جرّبوا هذا الشرع وحكموه مقتنعين به؛ فصارت آثاره عليهم واضحة جلية، فالحمد لله رب العالمين.

أمة الإسلام.. إن هذه البلاد العزيزة وهي تستقبل كل عام وفود الحجيج من أقطار الدنيا، لتفتخر بذلك أن جعلها الله خادمة لهذا البلد الأمين وحامية لهذا البلد الأمين، فحكومة هذه البلاد تفضل الله عليهم، فجعلهم خُدّاماً لهذا

البلد الأمين، يبذلون كل غالٍ ونفيس في سبيل راحة الحجاج وأمنهم واستقرارهم، يضحون بكل أوقاتهم، يبتغون بذلك وجه الله، فجزاهم الله عن الإسلام والمسلمين خيراً، وإنه لفعلٌ عظيم وخلُق كريم فينبغي لأمة الإسلام أن يعرفوا لهذه البلاد قدرها ومكانتها، ويسأل الجميع رب العالمين أن يديم على قادتها نعمة الإسلام والاستقرار، وأن يجعلهم دعاةً مصلحين، وهداةً مهديين، وأن يوفقهم للتمسك بشرع الله، ويرزقهم الاستقامة والثبات.

إن هذه البلاد العزيزة وهي تهتم دائماً بقضايا المسلمين، وتحرص كل الحرص على جمع كلمة المسلمين وتأليف قلوبهم ورأب الصدع فيما بينهم، وتتطلع دائماً إلى أن يكون المسلمون أمة واحدة مستمسكين بهذا الدين، يسعون جهدهم ليجمعوا كلمة الأمة، ويوحدوا شملها، ويزيلوا كل شقاقٍ وخلافٍ حصل بينها؛ ذلك أنهم مقتنعون بأن هذا واجبٌ عليهم؛ فهم يرونها نعمة عظيمة أن يسعوا دائماً في لمّ شمل الأمة، وتوحيد كلمتها؛ انطلاقاً من قول الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ [المائدة: ٢].

أمة الإسلام.. إن أعداء الإسلام كادوا لهذا الدين المكائد، وسعوا في إفساد هذا الدين، وسعوا في إطفاء نور الله، وسعوا في القضاء على هذا الدين بكل مستطاع، ولكن الله تعالى تكفل بحفظ هذا الدين ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: ٩].

انظروا عباد الله، بعد موت محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كاد الإسلام أن يذهب، وكادت العرب أن تنحرف عن الإسلام، وارتد كثيرٌ منهم عن دين الله

وانحرفوا عن شرع الله، فقام الصديق رضي الله عنه لما ثبّت الله قلبه وقوّى إيمانه، حتى أرجع الناس إلى ما خرجوا منه، وأعادهم إلى ملة الإسلام، وهكذا كل بدعة وضلالة تنشأ فإن الله يهيء لها من هذه الأمة من علمائها من يزيلها ويدحضها ويبين فسادها وضلالها، فما خلا قومٌ ولا إقليمٌ من أقاليم الأمة الإسلامية إلا وفيه دعاةٌ مخلصون يناضلون عن هذا الدين، ويزيلون كل الشبه التي علقت بهذا الدين، ويدحضون كل باطل.

ولكن الدعاة إلى الله منهم من يوفق ويطرح القبول لِدعوته، ويُهيأ له من الأنصار والأعوان من يحمون دعوته ويذودون عن كيانها، ومنهم من لا يتهيأ له ذلك، ولهم في أنبياء الله عليهم السلام خير أسوة؛ فإن من أنبياء الله من يلقى الله وحده لم يستجب له من قومه أحدٌ، وهكذا علماء هذه الأمة والدعاة إلى الله، منهم من يهيأ له أنصار يحمون دعوته ويذودون عنها ويثبتون أقدامها، ومنهم من ليس كذلك.

لكن الله تعالى ضمن لهذه الأمة أن لا تجتمع على ضلال، يقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك»** (٧).

ومن أولئك الدعاة الذين دعوا إلى الله دعوا إلى كتاب الله، ودعوا إلى سنة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، دعوا إلى تحكيم الكتاب والسنة لا غير، شيخُ الإسلام محمد بن عبد الوهاب غفر الله له. فإن في منتصف القرن الثاني عشر خرج هذا الرجل بعد ما بصره الله وهداه وأراه الحق من الباطل، وهداه إلى طريق الله المستقيم - خرج في هذه الجزيرة؛ غيرةً على أبنائها، ورحمةً بها، بعد ما

وقع فيها من الشرك والجهل مثل ما عمّ كثيراً من دول الإسلام، فدعا إلى الله إلى توحيد الله وعبادته، وكادت دعوته ألا تتمّ، وكاد أن ييأس، ولكن الله هيأ من نصر هذه الدعوة وحمى حماها وذاد عنها بكل جهده، ذلك لما اتفق هو والإمام محمد ابن سعود رحمهم الله على الدعوة إلى الله، وتخليص الأمة الإسلامية من أدران الشرك العظيم، والعودة بهم إلى الدين المستقيم، فكان سلطان العلم وسلطان القوة متواكبين جميعاً، هذا بعلمه وبيانه، وذا بقوته وسلطانه، فحمى هذه الدعوة حتى مكن الله لها في الأرض، إن هذه الدعوة المباركة لم تكن بدعاً من القول، لكنها ولله الحمد على منهج كتاب الله، وسنة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

لقد شوهت هذه الدعوة ولُفق بها من التهم ما الله أعلم ببراءتها منه، قيل عنها: إنها مذهب خامس، وقيل عنها: إنها مذهب الخوارج، قيل عنها: إنهم يكفرون الناس، قيل عنهم: إنهم يعادون الأولياء، قيل عنهم: إنهم يبغضون الرسول، قيل وقيل، ولكن من تأملها ونظر فيها ببصيرة، رآها حقاً لاشك فيه، وهدىً لاضلال فيه، ورآها ولله الحمد امتداداً لدعوة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هيأ الله لها من نصرها وحماها فلم يستطع أي مغرضٍ أن يتعرض لها بسوء؛ لأن الله جعل لها أنصاراً اقتنعوا بها، وعلموا أنها الحق الذي لاشك فيه، فقامت هذه الدولة ولله الحمد على أساس ثابت وقاعدة ثابتة، على هذا الدين، ولم يزل قادتها الواحد تلو الآخر يحافظون على هذه الشريعة، ويحمون هذه الدعوة الصالحة، ويذودون عنها، ويحاولون بكل جهد أن يبصروا الأمة في دين الله، ويخلصوها من الشبه والضلالات.

حجاج بيت الله الحرام.. إن الله تعالى افترض الحج، وجعله خامس أركان الإسلام قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٩٧﴾ [آل عمران:٩٧]، جعل الله الحج فريضة العمر، من أداه في عمره مرة فقد خرج من التبعة؛ ولهذا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما قال: «أيّها النّاس، قد فرض الله عليكم الحجّ فحجّوا» فقال رجل: أكلّ عام يا رسول الله؟ فسكت حتّى قالها ثلاثاً. فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «لو قلت: نعم، لوجبت، ولما استطعتم»، ثمّ قال: «ذروني ما تركتكم، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه»(٨). فلم يجعل الله الحج في العمر إلا مرة، من أداه فقد أدى الواجب، وما زاد على ذلك فهو تطوع، أما الواجب فهو مرة واحدة في العمر، رحمةٌ من الله وفضلٌ وإحسان.

أمة الإسلام.. في مناسك الحج عبر وعظات، ينبغي أن نأخذ من هذه المناسك العظات والعبر؛ فإن التقاء المسلمين واجتماعهم في صعيد واحد، غاية واحدة، لرب واحد يعبدون، وبكتابه يأتمون، ولرسول واحد يتبعون، شعارهم واحد، هدفهم واحد، هيئتهم واحدة. حقاً إنها تمثل أخوة الإسلام في أسمى وأرفع معانيها.

أمة الإسلام.. إن الحج يجب أن يكون خالصاً لله، يجب على الحاج أن يكون هدفه عبادة الله وحده لا شريك له، وأن يجرد هذا الحج من كل أمر

يخالف شرع الله، لقد كان أهل الجاهلية قبل الإسلام يتخذون من مواقف الحج منابر للفخر بالأحساب والأنساب وطعن بعضهم في بعض، ويتخذونها مفخرةً لأحسابهم وأنسابهم، وتقديس شخصياتهم فأنزل الله: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَـٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ [البقرة: ٢٠٠]، أي: لا تجعلوا الحج إلا لله، لا تجعلوا فيه ذكراً للأسلاف والآباء، وإنما أخلصوا الحج لله، فهو عبادة لله، لا يليق أن يشوه هذا الحج، وأن يجعل فيه ما ليس منه.

أمة الإسلام.. فرض الله الحج على أمة الإسلام، فحج نبيكم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حجة واحدة في العام العاشر من هجرته، هذه الحجة هي حجة الوداع التي ودع فيها الناس، وأمرهم أن يتلقوا عنه مناسكهم قائلاً لهم: «لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا»[٩]، فاقتدى به الصحابة بأقواله وأعماله، فإنه ما قال قولاً ولا عمل عملاً إلا قال: «خذوا عني مناسككم»[١٠].

حَجَّ حجة واحدة، خرج إلى عرفة في مثل هذا اليوم، فنزل بنمرة فلما زالت الشمس خطب بعرفة خطبة عظيمة جامعة[١١]، حرم فيها الدماء والأموال، حرم دماء المسلمين وأموالهم، وأخبرهم أن كل مآثر الجاهلية ودماءها قد ألغاها فلا يطالب بها بعد الإسلام، وأن ربا الجاهلية أبطله الإسلام وحرم الربا، وأوصاهم بالنساء خيراً، وبين ما لهن من الحقوق وما عليهن من الواجبات، ثم قال لهم: «وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به: كتاب الله»[١٢]، فأخبر أن اعتصام الأمة بكتاب الله سببٌ لهدايتها، وسببٌ لعزها، وسببٌ

لكرامتها، ثم قال لهم: «وأنتم مسؤولون عني، فما أنتم قائلون؟» فقالوا: نشهد أنك بلغت ونصحت وأديت، فقال بأصبعه إلى السماء وينكتها إلى الناس: «اللهم اشهد، اللهم اشهد، اللهم اشهد»[١٣]، وإن كل مسلم ليشهد حقاً لهذا النبي الكريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأنه بلغ الأمانة، وأدى الرسالة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده، يشهد له بكمال البلاغ، وكمال البيان، لا خير إلا دلنا عليه، ولا شر إلا حذرنا عنه، تركنا على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك، ما من سبيل يقربنا إلى الله إلا دلنا عليه وأمرنا به، وما من سبيل يبعد عن الله إلا حذرنا منه.

صلّى الظهر والعصر في هذا اليوم جمعاً وقصراً، ثم وقف بعرفة حتى غربت الشمس عليه، ثم انصرف من مزدلفة وصلى بها المغرب والعشاء جمع تأخير مع القصر، وبات بها، ثم صلى بها الفجر، ثم وقف عند المشعر الحرام، ثم دفع إلى منى.

تحذير المفتين في المناسك من الإفتاء بما يخالف سنة الرسول صلى الله عليه وسلم

معشر المفتين.. أيها المفتون في المناسك، إن الكثير من المفتين يغلطون في أمر المناسك، وربما أفتى بعضهم بفتيا مخالفة لسنة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فاتقوا الله أيها المفتون فيما تفتون به، وتحروا الصواب، تحروا سنة رسول الله، وأفتوا الناس بمقتضاها، ولا تضلوا الناس عن سواء السبيل.

إن الوقوف بعرفة حتى تغرب الشمس واجب، هذا هدي نبيكم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لم يزل واقفاً حتى غربت الشمس، فلما غربت وغاب القرص

وذهبت الصفرة انصرف من عرفة إلى مزدلفة، وبقي بمزدلفة حتى صلى بها الفجر، وأَذِنَ للضعفة بالدفع بعد نصف الليل، وأما هو فبقي بها حتى صلى الفجر، وذكر الله عند المشعر الحرام(١٤).

أمة الإسلام.. يوم عرفة من أفضل أيام الله، هذا اليوم من أفضل أيام الله، يوم عظيم مبارك، وموسم كريم، يوم يستجاب فيه الدعوات، وتقال فيه العثرات، يوم يباهي الله بأهل الأرض أهل السماء، قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إذا كان يوم عرفة إن الله ينزل إلى السماء فيباهي بهم الملائكة فيقول: انظروا إلى عبادي أتوني شعثاً غبراً ضاحين من كل فج عميق أشهدكم أني قد غفرت لهم»**(١٥).

يا معشر المسلمين.. تعرضوا لنفحات ربكم، أخلصوا لله أعمالكم، وحّدوا الله وأطيعوه، تضرّعوا بين يدي ربكم، واسألوه من فضله وكرمه، فهو الكريم الجواد، **«ما رئي الشيطان يوماً هو فيه أصغر ولا أدحر ولا أحقر ولا أغيظ منه في يوم عرفة، وما ذاك إلا لما رأى من تنزّل الرحمة وتجاوز الله عن الذنوب العظام»**(١٦).

أيها المسلمون.. يغلط البعض من المسلمين فيظن أنه إذا أدى الحج فقد سقطت عنه كل الواجبات، وأنه بأداء الحج لا يصوم ولا يصلي ولا يزكي ويرتكب ما شاء من معاصي الله، وهذا كله من سوء التصور وسوء الفهم، فإن الحج يهدم ما قبله بالتوبة النصوح، والحج ليس مسقطاً للواجبات، فمن أراد أن يكون حجه مقبولاً فليستقم على طاعة الله، وليحافظ على فرائض الإسلام، فإن الله جعل للدين خمسة أركان: أولها التوحيد، ثم الصلاة، ثم الزكاة، ثم الصوم، ثم الحج، من جحد شيئاً منها فقد كفر، ومن ترك الصلاة كفر، ومن ترك

الزكاة أو الصوم أو الحج وهو قادر فهو على أعظم خطر.

بيان أعمال الحاج في يوم النحر وما بعده

يا معشر المسلمين.. في يوم النحر لكم عبادات: أولها: رمي جمرة العقبة بعد انصرافكم من مزدلفة، فابدأوا بجمرة العقبة، فهي تحية منى، ثم انحروا هديكم إن كنتم قارنين أو متمتعين، أو احلقوا أو قصّروا، ثم قد حلّ لكم بالرمي والحلق أو التقصير كل شيء ما عدا النساء، فيحل الطيب ولبس المخيط، وإذا رميتم وحلقتم وطفتم وسعيتم بالبيت فقد حل لكم كل شيء حرم عليكم بالإحرام.

وأعمال يوم النحر كما يلي: الرمي ثم النحر ثم الحلق ثم الطواف، ومن قدم بعضاً على بعض فلا حرج عليه.

ارموا الجمار في أيام التشريق في اليوم الحادي عشر: الأولى ثم الوسطى ثم العقبة، وكذلك في اليوم الثاني عشر إن تعجلتم، وإن تأخرتم فارموا اليوم الثالث عشر كسابقه، ومن شقّ عليه الرمي اليوم الحادي عشر، وأراد أن يجمع رمي الحادي عشر والثاني عشر في يوم واحد فإنه لا حرج عليه، لكن يقدم رمي اليوم الأول ثم يرمي جمار اليوم الثاني.

نصائح وإرشادات وتوجيهات للحجاج

أيها الحجاج.. التزموا بآداب الإسلام، وكونوا إخواناً متحابين، وليرحم بعضكم بعضاً، وليشفق بعضكم على بعض، واحذروا أن تكونوا فيما بينكم مُتَعَادِين أو متنافرين، لتكن الرحمة والمحبة والمودة سائدة بينكم، فأنتم إخوان في ذات الله، التقيتم على محبة الله في أرض الله المباركة؛ لتعرفوا لآداب الإسلام حقها، ليكن بعضكم محسناً لبعض، وراحماً بعضكم بعضاً، فأخلاق الإسلام تحرم على المسلم أن يؤذي المسلمين بلسانه ويده، يقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «المسلم من سلم

المسلمون من لسانه ويده»[١٧].

أمة الإسلام.. تذكروا بموقفكم هذا، ثم انصرافكم، وقوفكم بين يدي الله يوم القيامة، تقفون بين يدي الله حافية أقدامكم، عارية أجسادكم، شاخصة أبصاركم، تذكروا بمنصرفكم منصرفكم من ذلك الموقف في مثل قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ۝ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ۝ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآئِ ٱلْءَاخِرَةِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ۝﴾ [الروم: ١٤-١٦].

الإكثار من الذكر والدعاء يوم عرفة

أكثروا من قول: لا إله إلا الله في هذا اليوم المبارك؛ فإنها عامة دعاء نبيكم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يقول: **«خير الدعاء دعاء يوم عرفة، وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي يوم عرفة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير»**[١٨].

احفظوا جوارحكم عن محارم الله، يقول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«هذا يوم من ملك فيه سمعه وبصره ولسانه غفر له»**[١٩]، غضوا أبصاركم، واحفظوا فروجكم، وصححوا إيمانكم، يقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن»**[٢٠]، وأكثروا من قول: ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، فإن الله تعالى أثنى على أولئك فقال: ﴿فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۝ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ۝

أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُواْۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾ [البقرة: ٢٠٠-٢٠٢].

أدوا الفرائض في يوم النحر وأيام التشريق، قصراً بدون جمع، أدوا الظهر في وقتها قصراً ركعتين، والعصر في وقتها ركعتين، والمغرب في وقتها، والعشاء في وقتها ركعتين، وهكذا بقية أيام التشريق، إنما الجمع في الحج في موضعين هذا اليوم في عرفة، والليلة في مزدلفة.

نسأل الله أن يتقبل منا ومنكم أعمالنا وأعمالكم.

اللهم وفق المسلمين لما تحبه وترضاه، اللهم ألف بين قلوبهم، وأصلح ذات بينهم، وانصرهم على عدوك وعدوهم، واهدهم سبل السلام، وأخرجهم من الظلمات إلى النور، اللهم اجعلهم أمة متحدة متمسكة بدين الله عاملة بشرعه، اللهم وفق قادة المسلمين لما تحبه وترضاه، اللهم وفق إمام المسلمين وولي عهده لما تحبه وترضاه، وأمده بعفوك وتوفيقك، واجزهم عما سعوا وقدموا للحجيج كل خير.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولعموم المسلمين من كل ذنب فاستغفروه وتوبوا إليه.

الهوامش

(١) هذه هي خطبة الحاجة وقد أخرجها مسلمٌ في صحيحه ٢/ ٥٩٢، كتاب: الجمعة، باب: تخفيف الصلاة، ح(٨٦٨)، والترمذي في سننه ٣/ ٤١٣، كتاب: النكاح، بـاب: ما جاء في خطـبة النكاح، ح(١١٠٥)، وأبو داود في سنـنه ١/ ٢٨٧، كتاب: الـصلاة، باب: الـرجل يخطب علىٰ قوس، ح(١٠٩٧)، والنسائي فـي سننه ٣/ ١٠٤، كتاب: الجمعـة، باب: كيفية الخطبة، ح(١٤٠٤)، واللفظ للترمذي.

(٢) جزء مـن حديث أخـرجه مسلـم في صحيحـه ٤/ ٢١٩٧، كتاب: الـجنة وصفة نعـيمها وأهلهـا، باب: الصفـات التي يعـرف بها في الـدنيا أهل الجنة، ح(٢٨٦٥).

(٣) كما قال تعالىٰ في سورة البقرة، الآية ١٥٥: ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾، وقال تعالىٰ في سورة الأنبياء، الآية ٢٨: ﴿وَلاَ يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾، وأخرج البخاري في صحيحه، كـتاب: العلم، باب: الحرص علىٰ الحديث، (فتح الباري ١/ ٢٥٧، ح ٩٩)، عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قيل: يا رسول الله، من أسعـد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: **«لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسـألني عن هـذا الحـديث أحـد أول منك؛ لمـا رأيـت من حـرصك علـى الحديث، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: لا إله إلا الله خالصاً من قلبه أو نفسه»**.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الجنائز، باب: ما جاء في قبر النبي صلىٰ الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما، (فتح الباري ٣/

٣٢٦، ح ١٣٩٠)، ومسلم في صحيحه ١/ ٣٧٦، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: النهي عن بناء المساجد على القبور واتخاذ الصور فيها والنهي عن اتخاذ القبور مساجد، ح(٥٢٩)، واللفظ للبخاري.

وأخرج مسلم في صحيحه ١/ ٣٧٧، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: النهي عن بناء المساجد على القبور واتخاذ الصور فيها والنهي عن اتخاذ القبور مساجد، ح(٥٣٢) عن جندب رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يموت بخمس وهو يقول: **«إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل، فإن الله تعالى قد اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً، ولو كنت متخذاً من أمتي خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، إني أنهاكم عن ذلك»**.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: قول الله: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا﴾، (فتح الباري ٦/ ٥٩١، ح ٣٤٤٥).

(٦) أخرجه مالك مرسلاً في الموطأ ١/ ٧٢، كتاب: النداء للصلاة، باب: جامع الصلاة، ح(٤١٤).

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: المناقب، (فتح الباري ٦/ ٧٨٤، ح ٣٦٤١)، ومسلم في صحيحه ٣/ ١٥٢٣، كتاب: الإمارة، باب: قوله صلى الله عليه وسلم: **«لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم»**، ح(١٩٢٠)، واللفظ لمسلم.

(٨) أخرجه مسلم في صحيحه ٢/ ٩٧٥، كتاب: الحج، باب: فرض الحج

مرة في العمر، ح(١٣٣٧).

(٩) أخرجه النسائي في السنن الكبرىٰ ٢/ ٤٢٥، كتاب: الحج، باب: الأمر بالسكينة في الإفاضة من عرفة، ح(٤٠١٦)، والبيهقي في السنن الكبرىٰ ٥/ ١٥١، كتاب: الحج، باب: خطبة الإمام بمنىٰ أوسط أيام التشريق، ح(٩٤٦٣)، واللفظ للنسائي.

وأصله عند مسلم في صحيحه ٢/ ٩٤٣، كتاب: الحج، باب: استحباب رمي جمرة العقبة يوم النحر راكباً وبيان قوله صلىٰ الله عليه وسلم: «لتأخذوا مناسككم»، ح(١٢٩٧) بلفظ: **«لتأخذوا مناسككم؛ فإني لا أدري لعلي لا أحج بعد حجتي هذه»**.

(١٠) انظر تخريج الحديث السابق.

(١١) أخرج طرفاً منها البخاري في صحيحه، كتاب: الحج، باب: الخطبة أيام منىٰ، (فتح الباري ٣/ ٧٣١-٧٣٢، ح ١٧٣٩-١٧٤٢)، ومسلم في صحيحه ٢/ ٨٩٠، كتاب: الحج، باب: حجة النبي صلىٰ الله عليه وسلم، ح(١٢١٨).

(١٢) أخرجه مسلم في صحيحه ٢/ ٨٩٠، كتاب: الحج، باب: حجة النبي صلىٰ الله عليه وسلم، ح(٢١٣٧).

(١٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: المغازي، باب: حجة الوداع، (فتح الباري ٣/ ٧٣١، ح ٤٤٠٣)، ومسلم في صحيحه ٢/ ٨٩٠، كتاب: الحج، باب: حجة النبي صلىٰ الله عليه وسلم، ح(٢١٣٧)، وتكرار لفظ **«اللهم اشهد»** عند مسلم.

(١٤) أخرج صفة حجة النبي صلىٰ الله عليه وسلم البخاري في صحيحه مختصراً عن ابن عمر، كتاب: الحج، باب: من ساق البدن معه،

ح(١٦٩١)، وأخرجها مسلم مطولاً من حديث جابر في صحيحه ٢/ ٨٩٠، كتاب: الحج، باب: حجة النبي صلى الله عليه وسلم، (فتح الباري ٣/ ٦٨٧-٦٨٨، ح ١٢١٨).

(١٥) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه ٤/ ٢٦٣، كتاب: الحج، باب: تباهي الله أهل السماء بأهل عرفات، ح(٢٨٤٠)، وابن حبان في صحيحه ٩/ ١٦٤، كتاب: الحج، باب: ذكر رجاء العتق من النار لمن شهد عرفات يوم عرفة، ح(٣٨٥٣).

وأخرج بنحوه مسلم في صحيحه ٢/ ٩٨٢، كتاب: الحج، باب: في فضل الحج والعمرة ويوم عرفة، ح(١٣٤٨)، ولفظه: **«ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبداً من النار من يوم عرفة، وإنه ليدنو ثم يباهي بهم الملائكة فيقول: ما أراد هؤلاء»**.

(١٦) أخرجه مالك في الموطأ ١/ ٤٢٢، كتاب: الحج، باب: جامع الحج، ح(٩٤٤)، وعبد الرزاق في مصنفه ٤/ ٣٧٨، قال ابن عبد البر في التمهيد ١/ ١١٦: (ومعنى هذا الحديث محفوظ من وجوه كثيرة).

(١٧) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: من سلم المسلمون من لسانه ويده، (فتح الباري ١/ ٧٣، ح ١٠)، ومسلم في صحيحه ١/ ٦٥، كتاب: الإيمان، باب: بيان تفاضل الإسلام، وأي أموره أفضل، ح(٤١).

(١٨) أخرجه الترمذي في سننه ٥/ ٥٧٢، كتاب: الدعوات، باب: في دعاء يوم عرفة، ح(٣٥٨٥)، ومالك في الموطأ ١/ ٢١٤، كتاب: القرآن، باب: ما جاء في الدعاء، ح(٥٠٠)، والبيهقي في السنن الكبرى ٤/ ٢٨٤، كتاب: الحج، باب: الاختيار للحاج في ترك صوم يوم عرفة، ح(٨١٨٤).

(١٩) أخرجه أحمد في مسنده ١/ ٣٢٩، ٣٥٦، وابن خزيمة في صحيحه ٤/ ٢٦٠، كتاب: الحج، باب: فضل حفظ البصر والسمع واللسان يوم عرفة، ح(٢٨٣٢)، والطبراني في المعجم الكبير ١٢/ ٢٣٢، ح(١٢٩٧٤).

(٢٠) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الأشربة، باب: قول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾، (فتح الباري ١٠/ ٣٦، ح ٥٥٧٨)، ومسلم في صحيحه ١/ ٧٦، كتاب: الإيمان، باب: نقصان الإيمان بالمعاصي ونفيه عن المتلبس بالمعصية علىٰ إرادة نفي كماله، ح(٥٧).

خطبة عام «١٤٠٣» الهجري

السَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ.

إِنَّ الْحَمْدَ للهِ نَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ(١).

أما بعد:

أيها المسلمون.. اتقوا الله تعالى حق التقوى، اتقوا ربكم بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، فهو تعالى أهلٌ أن يتقى.... اتقوه لتنالوا بتقواه سعادة الدنيا والآخرة.

معشر المسلمين.. إن الله تعالى خلق آدم أبا البشر وفضله وذريته على كثير ممن خلق تفضيلاً، خلقه بيده، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، فامتثلوا أمر ربهم، وخروا لآدم سجداً إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين، فأبى عن السجود لآدم ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ۝١٢﴾ [الأعراف:١٢]، فعند ذلك أهبط الله إبليس إلى الأرض، وأخرجه من ملكوت السماء، وجعله مخلداً في النار إلى يوم القيامة.

فلما أيس عدو الله من رحمة الله وأيقن أن النار مقره وذريته، فعند ذلك سعى في إضلال بني آدم وإغوائهم وصدهم عن طريق الله المستقيم، سأل ربه أن

ينظره إلى يوم يبعثون فقال الله له: ﴿فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾﴾ [الحجر:٣٧، ٣٨]. أقسم بعزة الله ليغوين بني آدم، وليضلنهم عن الطريق المستقيم ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الأعراف:١٦، ١٧]، ولكن الله حمى منه عباده المخلصين الذين أخلصوا لله قولهم وعملهم ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الحجر: ٤٠].

ولما علم تعالى ضعف ابن آدم أمام هذا العدو المتسلط عليه الذي يجري منهُ مجرى الدم[٢]، والذي يتربص به الدوائر، ويغتنم كل غفلة ليوسوس عليه ويصده عن دين الله- جعل الله للعباد أسباباً تقيهم مكائده ووساوسه، فأخبرهم الله بعداوته لهم وأن عداوته قديمة من القدم، هو عدو لهم وعدو لأبيهم ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾﴾ [فاطر:٦]، وأمرهم أن يستعيذوا بالله من شره، وأن يدفعوا وساوسه بذكر الله والالتجاء إليه، ففي ذكر الله تخليص للعبد من وساوس عدو الله وإبعاد للشيطان من الضلالة والوساوس، ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾﴾ [فصلت:٣٦]، وأرشد تعالى عباده أيضاً أن يتوبوا إليه وينيبوا إليه، كلما تسلط عليهم عدو الله وزين لهم الشر والباطل أن يلجأوا إلى التوبة والإنابة إلى ربهم، فهو تعالى فتح لعباده باب التوبة والإنابة، وأمرهم أن يتوبوا إليه من كل ذنوبٍ اقترفوها، ومن كل سيئات عملوها،

مهما عظمت الذنوب وتضاعفت الخطايا ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ [التحريم:٨].

بيان معنى التوبة النصوح

التوبة النصوح يا عباد الله هي التوبة الخالصة لله التي مقتضاها الإقلاع عن الذنب والندم على ما مضى، والعزيمة الصادقة على أن لا تعود إلى ما عملتَ من خطايا وسيئات. فربُّك تعالى لكمال كرمه وكمال جوده وكمال إحسانه وفضله فتح باب التوبة لعباده؛ ليتوبوا إليه من ذنوبهم وخطاياهم، يقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل»[٣]. ذلكم لكمال كرم ربكم وكمال إحسانه فهو يحب من عباده أن يتوبوا إليه، سبقت رحمتُه غضبَه[٤].

فيا عبد الله.. تُبْ إلى الله في هذه الدنيا من سيئاتك وخطاياك، ولا سيما في هذا اليوم المبارك، والموقف العظيم، فحاسب نفسك، وتب إلى الله من كل ما عملت من سوء.

أعمال العبد محصاة عليه قليلها وكثيرها، ويحاسب عليها يوم القيامة

واعلم أن أعمالك محصاة عليك قليلها وكثيرها، وسوف تعطى كتاباً يوم القيامة مسجلاً به كل ما عملتَ من خيرٍ أو شر ﴿ٱقْرَأْ كِتَـٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾ [الإسراء:١٤]، ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَـٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَـٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَـٰذَا ٱلْكِتَـٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾ [الكهف:٤٩]، لن تستطيع أن تجحد سيئات أعمالك، سينطق الله جوارحك فتشهد عليك بما عملتَ ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا

كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [يس: ٦٥]، فتب إلى الله في هذه الدنيا قبل أن يحال بينك وبين التوبة، حاسب نفسك، وانظر لسيئات أقوالك وأعمالك.

فإن كنت يا عبد الله ممن استحوذ عليك الشيطان وزين لك عبادة غير الله، ورجاء غير الله، والتقرب والتزلف لغير الله من الأموات والغائبين، فتب إلى الله من هذا الذنب العظيم، واحذر أن تلقى الله مشركاً به؛ فإن الله لا يغفر لمن لقيه عابداً غيرَه، ملتجئاً إلى غيره، معظماً غيرَه، فذلك الشرك الأكبر الذي حكم الله على فاعله بالخلود في النار ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ ﴾ [المائدة: ٧٢].

أيها المسلم.. انظر لنفسك، فإن كنت ممن فرَّط في أركان دينك، فرّطتَ في الصلوات الخمس، أو في صيام رمضان، أو في بقية واجبات دينك، فتب إلى الله منها، واندم على ما مضى، واعزم على ألا تعود إلى أي مخالفة.

تذكَّرْ أيها العبد أنّ انتقالك من هذه الدنيا، ومفارقتك إياها، وبقاءك في لحدك، مرتهَن بأعمالك، إن خيراً ازددتَ به أنساً وسروراً، وإن شراً ازددتَ به حزناً وبؤساً، فتب إلى الله في هذه الدنيا قبل لقاء ربك، وجدد توبة نصوحاً، وتب إلى الله وتضرع إليه؛ عسى أن يقبل توبتك ويمحو خطيئتك، فهو تعالى يفرح بتوبة عبده إذا تاب إليه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَـٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ ﴾ [آل عمران: ١٣٥].

أمة الإسلام.. إن الله تعالى فضل هذه الأمة المحمدية وجعلها خير أمة

أخرجت للناس، وأثنى عليها في كتابه العزيز ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

أجل أيها المسلمون.. بهذه الصفات الحميدة، بالإيمان بالله، بالأمر بالمعروف، بالدعوة إلى كل خير وهدى، بالتحذير من كل شر وفساد، صارت هذه الأمة المحمدية خير الأمم وأكرمها على الله، اختار الله لها سيد ولد آدم[٥] أفضل الأنبياء والمرسلين على الإطلاق، واختار لها أكمل الدين وأفضل الشرائع وأزكى الأخلاق وأتمها.

هذه الأمة المحمدية ظهر أثر فضلها وكرامتها حينما قام أوائلها بهذا الدين الحنيف، فدعوا الخلق إلى الله، فهدى الله بهم من الضلال، وبصر بهم من العمى، أقاموا دولة الإسلام على منهج الله الحق، على دين الله ورسوله، فدخل الناس في دين الله أفواجاً، فانقادوا لهذا الدين لما رأوا أهله القائمين به وأعمالهم الصادقة وأخلاقهم الكريمة وعدلهم وإنصافهم، فإنهم آمنوا بهذا الدين وطبقوه على أنفسهم، ثم دعوا الخلق إلى ذلك، فاستجاب الخلق لله ورسوله، وعمّ الإسلام أرجاء المعمورة، وعاش الناس في ظل عدالة الإسلام، وحقق الله على أيديهم ما وعد به نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حيث يقول: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [التوبة:٣٣].

ظهر دين الله وعلت كلمة الله، وعمّ الأرضَ الخيرُ والصلاحُ والهدى بهذا الدين وحده، بهذه الشريعة الخالدة، بهذه الأحكام العادلة، حتى كانت الأمم خاضعة لهم، تلتمس ودهم ورضاهم، ولقد كانت لغة قرآنهم اللغة المهيمنة؛ لأن أهل

هذا الدين قاموا به حق القيام، فوجد الناس أنفسهم بحاجة إليهم، وإلى مصافاتهم، وإلى جلب مودتهم ومحبتهم.

أمة الإسلام.. بهذا الدين تبوأت الأمة المحمدية المكان الأسمى والشرف الرفيع.

أمة الإسلام، لقد عرف أعداؤكم قوتكم وشرفكم، وعرفوا مكانتكم، وتذكروا مجدكم الماضي وتاريخكم العظيم. وأن أوائلكم لما تمسكوا بهذا الدين واجتمعوا عليه، وتآلفوا عليه، وتوحّدتْ صفوفُهم على هذا المنهج القويم، سادوا الناس وحكموا البلاد، وصارت لهم المكانة، وصار الناس تابعين لهم منقادين لأحكامهم.

عرف أعداؤنا تلك الفضائل، وتلك المكانة، وعرفوا ذلك السبب، فجدّ أعداء الإسلام واجتهدوا حتى يبعدوا الأمة الإسلامية عن منهج الله، ويقصوها عن دين الله، ويفصلوا بينها وبين دينها ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾ [البقرة:١٠٩]، ﴿وَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا۟ فَتَكُونُونَ سَوَآءً﴾ [النساء:٨٩]، يريدون أن يفصلوكم عن دينكم ويبعدوكم عن إسلامكم؛ لتكونوا أمة تابعة لغيركم، وأمة محكومة بعد ما كنتم أمة حاكمة، وأمة ينفذ عليكم أعداؤكم ما يريدون وما يهوون وما يختارون، ولكن الله سيحفظ دينه ويعلي كلمته، فواجب الأمة أن تعود إلى إسلامها، وأن تعود إلى دينها، وأن تتبصر في واقعها.

أمة الإسلام.. إن كل بلاء أصاب الأمة، وكل مصاب حلّ بالأمة الإسلامية، فإنما سببه البعد عن تعاليم الإسلام ومبادئه السامية.

فيا معشر المسلمين، عوداً إلى الإسلام الصحيح؛ ليعود لكم عزكم ومجدكم

وكرامتكم.

أيها الأمـة الإسلامية.. إن كل نقص في الأمـة، اهتزازٍ في اقتصادها، أو اضطرابٍ في أمرها، أو اختلافٍ في كلمتها، فإنما سببه الذنوب والإعراض عن دين الله، خرج صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على جملة من المهاجرين فقال: «يا معشر المهاجرين، خمس إذا ابتليتم بهن -وأعوذ بالله أن تدركوهن- : لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المئونة وجور السلطان عليهم، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يمطروا، ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط الله عليهم عدواً من غيرهم فأخذوا بعض ما في أيديهم، وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله ويتخيروا مما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم»(٦).

فيا أمـة الإسلام.. إن التمسك بهذا الدين والعمل به يجمع القلوب ويوحّد الشملَ ويعيد للأمة عزّها ومكانتها.

نسأل الله أن يجمع الأمة الإسلامية على الخيروالهدى، وأن يعيذها من الفرقة والاختلاف، وأن يبصّرها في واقعها؛ لتتدارك أخطاءها، فتسعى في حلّ مشاكلها في محيط إسلامها، فإن الأمـة الإسلامية مطلوب منها أن يكون حلّ كل مشكلة من مشاكلها في إطارالإسلام، في محيط الأمة الإسلامية، حتى لا يكون للعدو نفوذ على الأمـة، فالعدو لا يُكِنّ لنا حباً ولا وداً، وإنما أمـة الإسلام إذا حلّت مشاكلها في إطارها، وصارت مشاكلها تُحلّ بتعاليم دينها، عند ذلك ترى دينها كفيلاً لحلّ أيّ مشكلة، وإنهاء أيّ فتنة مهما عظمت ومهما كبرت.

كل ما أصاب الأمة من بلاء ومصيبة فإنما بسبب الذنوب والإعراض عن دين الله

على الأمة الإسلامية أن تحلوا مشاكلها في ضوء تعاليم دينها وفي محيط كيانها

حجاج بيت الله الحرام.. اشكروا الله الذي بلغكم الوصول إلى بيت الله الحرام، ومكّنكم من الوقوف بتلكم المشاعر المقدسة المشرفة.

إن هذا البلد الأمين كان طريق الوصول إليه شاقاً ومتعباً، ولكن الله بفضله وكرمه هيأ الوصول إليه، وجعله سهلاً ميسّراً على يد من اختارهم لحماية هذا البلد الأمين، والقيام بحقه؛ امتثالاً لأمر الله وطلباً لمرضاته وتقرّباً إليه، فكل أعمالهم التي عملوها إنما هي أعمال يريدون بها وجه الله، نرجو الله أن يثبّتهم وأن يجزيهم عما فعلوا خيراً.

روى البخاري عن عدي بن حاتم أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال له: **«هل رأيت الحيرة؟»** قال: قلت: لم أرها، وقد أُنبئتُ عنها، قال: **«فإن طالتْ بك حياة لترينّ الظعينة[٧] ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحداً إلا الله»**[٨]، لقد تحقق ذلك في العهود الأولى، ثم طرأ على الأمة الإسلامية ما طرأ عليها من اختلاف واضطراب حتى صار الوصول إلى البيت متعسراً في كثير من الأحيان، وشاقاً على النفوس، ولكنه ولله الفضل والمنة في هذه الأيام أصبح ميسراً سهلاً، يؤم المسلمون بيت الله من أقطار الدنيا، فلا طعام يحملونه، ولا سلاح يصحبونه، يرون البلد الأمين آمناً مطمئناً، قد وفر الله فيه أسباب الرغد، وهيأ للحجاج من يقوم بخدمتهم، ويهيئ لهم الراحة والأمان، فالحمد لله على نعمة الإسلام.

ولا شك أن هذه أعمال مباركة لا ينبغي للمسلمين أن ينسوها، بل الواجب شكر قادة هذه البلاد وأن ندعو الله لهم أن يوفقهم لما يحبه ويرضاه، وأن يجعلهم

أئمة هداة مهتدين غير ضالين ولا مضلين، وأن يزيدهم من التوفيق والسداد، إنه على كل شيء قدير.

حجاج بيت الله الحرام.. إن مجتمعكم هذا مجتمع عظيم، مجتمع يدعو إلى التآلف والتآخي والمحبة والاجتماع في ذات الله، فاستفيدوا من هذه اللقاءات المباركة الخير الكثير، ليكنْ ذلك اللقاء سبباً تقوى به أواصر المودة والمحبة والإخاء بينكم، تذكروا أنكم من بلاد متباعدة، تقفون في موقف واحد رغم اختلاف اللغات والألوان والأجناس، ولكن عقيدة الإيمان وأخوة الإسلام جمعتكم على الخير والتقوى ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠].

وإن على المسلم واجباً نحو إخوته المسلمين أن يعاملهم بالصفح والحلم والإعراض، وتحمّل كل الأذى، ويتذكّر قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يُسلِمه»[٩]. وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده»[١٠]. المسلم يُكِنّ لأخيه الحب والوئام، يحب له كل خير، ويعامله بالإحسان، هكذا أخلاق المسلمين ولا سيما الحجاج منهم، فواجبكم أن تتخلقوا بالحلم والصفح والأناة وتحمل الأذى، وأن يعامل كل منكم أخاه بما يليق به من المحبة والإكرام، وأن تجتنبوا كل أذى، فمن ضارَّ ضارَّ الله به، ولا سيما في هذه المشاعر المقدسة والأماكن الفاضلة.

حجاج بيت الله الحرام.. أيها الحجاج الكرام، اشكروا الله وتذكروا في هذا الموقف العظيم موقفكم بين يدي الله، يوم القيامة تقفون بين يدي الله حافية أقدامكم، عارية أجسامكم، شاخصة أبصاركم، تذكروا هذا الموقف العظيم،

تزدادوا خوفاً من الله ورجاءً فيما عند الله.

أيها المفتون في الحج، اتقوا الله فيما تفتون ولا تفتوا الناس إلا بعلم وبصيرة، واحذروا أن تفتوهم بخلاف الشرع فتكونوا من الآثمين.

افترض الله الحج على المسلمين مرة في العمر

معشر المسلمين، إن الله افترض الحج على أمة الإسلام وجعله فريضة العمر، من أداه في عمره مرة فقد برئت ذمته وأدى الواجب ولا حرج عليه، فيا ليت المسلمين يفقهون ذلك ويعلمون أن من أدى فريضته فقد أدى الواجب الذي عليه، ولم يكلف العبد نفسه فيما سوى ذلك؛ فيسعى في إفساح الطريق، وتهيئة الجو لغيره من إخوانه المسلمين، ذلك من باب التعاون على البر والتقوى.

بيان صفة حج النبي صلى الله عليه وسلم

أمة الإسلام.. حجَّ نبيُّكم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حجة واحدة هي حجة الوداع، أعلمهم فيها مناسك حجهم بأقواله وأفعاله، فما قال قولاً إلا قال لهم: «خذوا عني مناسككم»[١١]، ووقف بعرفة وقال: «الحج عرفة»[١٢]، وأخبر الناس بفضل ذلك اليوم، وأنه يوم عظيم يباهي الله فيه ملائكته بأهل الأرض يقول: **«انظروا إلى عبادي أتوني شعثاً غبراً ضاحين من كل فج عميق، يرجون رحمتي ولم يروا عذابي، أشهدكم أني قد غفرت لهم»**[١٣]، وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبداً من النار من يوم عرفة»**[١٤]، وقال: **«ما رئي الشيطان يوماً هو فيه أصغر ولا أدحر ولا أحقر ولا أغيظ منه في يوم عرفة، وما ذاك إلا لما رأى من تنزل الرحمة وتجاوز الله عن الذنوب العظام إلا ما رأى يوم بدر»**[١٥].

فضل يوم عرفة

هذا يوم عظيم من أيام الله، وهو يوم عرفــة، ويوم الجمعة، وكلاهما يومان فاضلان وعيدان من أعياد أهل الإسلام، وفي هذا اليوم ساعة محققة الإجابـة ولاسيما في آخر هذا اليوم. فالجأوا إلى الله وتوبوا إليه، واسألوه التوفيق والهدايـة، وقبول حجكم، وأن ترجعوا سالمين آمنين مطمئنين، إنه على كل شيء قدير.

أعمال الحج في عرفة ومزدلفة ومنى

قفوا بعرفة إلى غروب الشمس، وانصرفوا منها بعد الغروب، وبيتوا بمزدلفة، وصلوا بمزدلفة المغرب والعشاء جمعاً وقصراً، ثم بيتوا بـها وانصرفوا إلى منى، وارموا جمرة العقبة يوم النحر، وانحروا هديكم، واحلقوا رؤوسكم، ثم قد حل لكم كل شيء حرم عليكم بالإحرام إلا النساء، ثم طوفوا بالبيت طواف الإفاضة، واسعوا بين الصفا والمروة، وفي أيام التشريق ارموا الجمار في اليوم الحادي عشر بعد الزوال: الأولى ثم الوسطى ثم العقبة، وهكذا في اليوم الثاني عشر، ثم ودعوا بيت الله.

أسأل الله لي ولكم حجاً مبروراً، وسعياً مشكوراً، وذنباً مغفوراً، ربّنا آتنا في الدّنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النّار، أعاده الله علينا وعليكم وعلى جماعة المسلمين باليمن والبركة، ونسأله تعالى أن يوفق إمام المسلمين وولي عهده والنائب الثاني لما يحبه ويرضاه، وأن يجزي مساعيهم خيراً، وأن يكلل مساعيهم بالتوفيق، وأن يمدهم بالعون والتوفيق على ما بذلوا في خدمة الحجيج والقيام بواجبهم إنه على كل شيء قدير، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

الهوامش

(١) سبق تخريج خطبة الحاجة في خطبة عام (١٤٠٢هـ)، الهامش (١).

(٢) جاء ذلك في حديث صفية بنت حييّ الذي أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الاعتكاف، زيارة المرأة زوجها في اعتكافه، (فتح الباري ٤/ ٣٥٤، ح ٢٠٣٨)، ومسلم في صحيحه ٤/ ١٧١٢، كتاب: السلام، باب: بيان أنه يستحب لمن رئي خالياً بامرأة وكانت زوجة أو محرماً أن يقول: هذه فلانة ليدفع سوء الظن به، ح(٢١٧٤)، ولفظهما: **«إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم»**.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢١١٣، كتاب: التوبة، باب: قبول التوبة من الذنوب وإن تكررت التوبة والذنوب، ح(٢٧٥٩).

(٤) جاء ذلك في حديث أبي هريرة الذي أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: التوحيد، باب: قول الله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ۞ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾...، (فتح الباري ١٣/ ٦٣٩، ح ٧٥٥٣)، ومسلم في صحيحه ٤/ ٢١٠٨، كتاب: التوبة، باب: في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه، ح(٢٧٥١)، بلفظ: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **«لما قضى الله الخلق كتب كتاباً عنده: غلبت -أو قال:- سبقت رحمتي غضبي فهو عنده فوق العرش»**.

(٥) جاء وصف النبي صلى الله عليه وسلم بالسيد في حديث أبي هريرة الذي أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ١٧٨٢، كتاب: الفضائل، باب: تفضيل نبينا صلى الله عليه وسلم على جميع الخلائق، ح(٢٢٧٨)، ولفظه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«أنا سيد ولد آدم يوم**

القيامة وأول من ينشق عنه القبر وأول شافع وأول مشفع».

(٦) أخرجه ابن ماجه في سننه ٢/ ١٣٣٢، كتاب: الفتن، باب: العقوبات، ح(٤٠١٩)، والطبراني في المعجم الأوسط ٥/ ٦١، ح(٤٦٧١).

(٧) قال في مختار الصحاح ١/ ١٧٠: (والظعينة: الهودج كانت فيه امرأة أو لم تكن... قال أبو زيد: لا يقال حمول ولا ظعن إلا للإبل التى عليها الهوادج، كان فيها نساء أو لم يكن، والظعينة أيضاً: المرأة ما دامت فى الهودج، فإن لم تكن فيه فليست بظعينة).

(٨) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: المناقب، باب: علامات النبوة في الإسلام، (فتح الباري ٦/ ٧٥٧، ح ٣٥٩٥).

(٩) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: المظالم والغصب، باب: لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه، (فتح الباري ٥/ ١٢٢، ح ٢٤٤٢)، ومسلم في صحيحه ٤/ ١٩٨٦، كتاب: البر والصلة، باب: تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله، ح(٢٥٦٤)، واللفظ للبخاري.

(١٠) أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما، وسبق تخريجه في خطبة عام (١٤٠٢هـ)، الهامش (١٧).

(١١) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، وسبق تخريجه في خطبة عام (١٤٠٢هـ)، الهامش (١٠).

(١٢) أخرجه الترمذي في سننه ٣/ ٢٣٧، كتاب: الحج، باب: ما جاء فيمن أدرك الإمام بجمع فقد أدرك الحج، ح(٨٨٩)، والنسائي في سننه ٥/ ٢٥٦، كتاب: مناسك الحج، باب: فرض الوقوف بعرفة، ح(٣٠١٦)، وابن ماجه في سننه ٢/ ١٠٠٣، كتاب: المناسك، باب: من أتى عرفة قبل الفجر ليلة جمع، ح(٣٠١٥)، وأحمد في مسنده ٤/ ٣٠٩.

(١٣) أخـرجه ابن خزيـمة، وابن حبـان في صحيحيـهما، وسبـق تخريجه في خطبة عام (١٤٠٢هـ)، الهامش (١٥).

(١٤) أخـرجه مسـلم في صحـيحه ٢/ ٩٨٢، كتـاب: الحـج، باب: فـي فضل الحج والعمرة ويوم عرفة، ح(١٣٤٨).

(١٥) أخرجه مـالك في المـوطأ، وسبق تخـريجه في خطـبة عام (١٤٠٢هـ)، الهامش (١٦).

خطبة عام «١٤٠٤» الهجري

السَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ.

إِنَّ الْحَمْدَ للهِ نَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا فَمَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ(١).

أما بعد:

الوصية بتقوى الله عز وجل، وبيان آثارها وفوائدها

أيها المسلمون اتقوا الله حق التقوى، اتقوا معشرَ المسلمين ربَّكم بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، اتقوه تعالى فهو أهل أن يُتَّقَى وأهلٌ أن يَغْفِر؛ بتقوى الله تنالون عز الدنيا والآخرة؛ بالتقوى يا عباد الله يجعل الله لكم من كل همٍّ فرجاً ومن كل ضيقٍ مخرجاً ومن كل بلاءٍ عافية، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق:٢، ٣].

بالتقوى يا عباد الله تكفَّر السيئات وتضاعف الأجور، يقول الله عز وجل: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ۝﴾ [الطلاق:٥].

بالتقوى يا عباد الله ييسر الله لكم كل أمر عسير، يقول سبحانه: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ۝﴾ [الطلاق:٤].

بالتقوى يا عباد الله ينال العبد ولاية الله فإن ولاية الله لا تنال إلا بطاعته، لاينالها إلا المتقون الذين اتقوه في السرّ والعلانية، يقول الله عز وجل: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۝ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ [يونس:٦٣، ٦٤].

بالتقوى يا عباد الله تحصل المحبة الدائمة الصادقة التي لا انفصام لعراها، يقول الله عز وجل: ﴿ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۢ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ ۝﴾ [الزخرف:٦٧].

تنوع مفهوم السعادة لدى الناس

أمة الإسلام.. ما من فرد من الناس إلا وهو يتمنى أن يكون سعيداً في حياته، فغاية أمنيته أن يحقق لنفسه السعادة في هذه الدنيا، هذه غاية كل فرد من الناس، ولكن كيف ينال الإنسان هذه السعادة، إن ذلك مما تنوعت مفاهيم الناس فيه، فمن عباد الله من يعدّ سعادته في الدنيا أن يكون ذا مال كثير وأن ينال من حطام هذه الدنيا ما يريد، فإذا توفر له ذلك عدّ نفسه سعيداً، فهو متعِبٌ قلبه وبدنه في البحث عن هذه الدنيا، وهو وراءها في كل آنٍ وحين، بأي طريق كان من حلال أو من حرام، المهم الحصول على هذه المادة؛ لأنه يراها غاية سعادته.

ومن عباد الله من يرى سعادته في الدنيا أن يعطي نفسه مناها وأن يحقق لها مرادها ويوفر لها متع الحياة، ولو كان في ذلك فساد دينه، فإذا حقق ذلك عدّ نفسه سعيداً.

ومن عباد الله من يتصور السعادة في الحياة أن يكون ذا قولٍ مسموعٍ وأمرٍ مطاع، وأن يكون ذا شأن في الدنيا، فيرى بذلك نفسه سعيداً.

ومن عباد الله من يراها في طول العمر وكثرة الولد، ولعمر الله وإن كان لأولئك قسط من السعادة فإنها سعادة وقتية، وسعادة منقضية تعقبها الندامة والحسرة إن لم يقارنها الإيمان.

السعادة الحقيقية إنما هي في الإيمان والعمل الصالح

والله تعالى وتقدس بيّن السبب الذي ينال به العبد سعادة الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل:٩٧].

أجل أيها المسلمون هذا هو السبب الذي ينال به العبد السعادة الحقيقية، السعادة في الدنيا مرتبطة بسعادة الآخرة، ليست سعادة في الدنيا وحدها ولكنها سعادة في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾﴾ [هود:١٠٨].

أيها المسلمون.. إن الحياة الطيبة التي تنال بالإيمان والعمل الصالح هي الحياة التي يطمئن فيها القلب وينشرح فيها الصدر وتَقَرُّ بها العين، وليس ذلك إلا للمؤمن، لماذا؟ لأن المؤمن سعيد بإيمانه، فهو سعيد في الدنيا بإيمانه وعمله الصالح مهما كانت الظروف والأحوال، إن المؤمن سعيد بإيمانه وعمله الصالح سواءٌ كان في غناه أو في فقره، في شدته أو في رخائه، في سرائه أو في ضرائه، فهو

على حالة واحدة، إن نزلت بـه الضراء تلقاها بالصبر والاحتساب، يرجو بذلك ثواب الله، وإذا أقبلت عليه الدنيا تلقاها بالشكر وصرفها فيما يرضي الله، فلم تكن الضراء لتسخطه ولم يكن الرخاء ليطغيه.

إن نال في الدنيا ما نال تذكر قول النبي الصالح سليمان عليه السلام: ﴿هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ﴾ [النمل: ٤٠]، ولم يكن ممن قال الله ذاماً له: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ [القصص:٧٨].

فهو صابر في ضرائه، شاكر في رخائه، ثابت على إيمانه، يقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«عجباً لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر، فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر، فكان خيراً له»**(٢). إن غير المؤمن لا يرجو ثواب الله ولا يخاف عقاب الله، إن أصابته ضراء سخط واعترض على الله في قضائه وقدره، وإن حصل له رخاءٌ ازداد طغياناً وشراً، قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧﴾ [العلق:٦، ٧].

إن المؤمن سعيد بإيمانه فهو طيب القلب لأنه يؤدي للناس ما يحب أن يؤدوه إليه، فليس في قلبه غلٌّ ولا غشٌّ ولا حقدٌ على أحد، بل مؤمن مثالي بأخلاقه الكريمة وسيرته النبيلة وأعماله الفاضلة، فمكارم أخلاقه وفضائل أعماله اطمأن بها قلبه وانشرح بها صدره، قال تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ

لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [الزمر:٢٢]، وقال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ [الرعد:٢٨].

المسلم ذو خير ومنفعة وإصلاح وهداية، فهو بتوفيق الله له دائم الخير والبركة على نفسه وعلى بيته وعلى مجتمعه.

أمة الإسلام.. وكما يسعد الفرد بهذا الدين فإن المجتمع أيضاً الذي طبق شرع الله، وحُكِّم فيه شرع الله يسعد بذلك، المجتمع المسلم الذي حُكِّم فيه شرع الله وأمر فيه بالمعروف ونُهي فيه عن المنكر، ورُبي جيله التربية الصالحة النافعة، هو المجتمع السعيد المترابط المتماسك الذي هو كالبنيان يشد بعضه بعضاً[٣]، مجتمع يرحم غنيُّه فقيرَه، ويحسن قويه إلى ضعيفه، فهو مجتمع متماسك تسوده المحبة والوئام، مجتمع مسلم فيه التراحم والمحبة والمودة، مجتمع تُحترم فيه الدماء، وتُصان الأعراض، وتُحفظ الأموال، مجتمع بين أهله التعاون على الخير والتقوى، فهذا المجتمع السعيد الذي يدعو الإسلام أبناء المسلمين ليكونوا كذلك؛ فيسعدوا بهذا الدين وتطمئن به نفوسهم، ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾ [طه:١٢٣،١٢٤].

أيها المسلمون.. إن أعداء الإسلام على اختلاف ضلالاتهم وتباين كفرهم وإلحادهم حاولوا عبثاً أن يوجدوا مجتمعاً سعيداً بمبادئهم الهدامة وأفكارهم المنحرفة، فعجزوا عن ذلك، ولم يستطيعوا أن يحققوا لمجتمعاتهم السعادة

عجز غير المسلمين من تحقيق السعادة في مجتمعاتهم؛ وذلك لفساد مبادئهم وأنظمتهم

التي حققها الإسلام لأبنائه.

الرأسماليون غلوا في حرية المال وأعطوا الإنسان الحرية المطلقة في المال يتصرف فيه كيف يشاء، أرادوا أن يحققوا بذلك سعادة لمجتمعهم فعجزوا؛ لأن هذا المجتمع الرأسمالي مجتمعٌ تسود فيه الفوضى مجتمع متفكك، مجتمع لا تلاحم بين أبنائه، لا يعرف الرجل أباه، ولا يعرف الأب ابنه، يرى الفقير المال الذي بيد الغني فيزداد حقداً على الغني؛ لأنه لا زكاة بينهم، ولا إحسان بينهم، ولا يعطف بعضهم على بعض، إن هي إلا المادة، يركضون وراءها، فنشأت فيهم البطالة، ونشأت بينهم عصابات الإجرام والنهب والسلب؛ لأن هذا المجتمع مجتمع شقي مهما بلغ أهله من رقي الدنيا ما بلغوا.

وبضد ذلك المجتمعات الشيوعية التي أرهقت الإنسان وجعلته كالآلة تسخره كيف تشاء لا رأي ولا حرية عنده، مجتمعهم شقي وإن زعموا أنهم يحققون السعادة، فذلك المجتمع مجتمع متفكك ومجتمع يتمنى في كل آن وحين أن يتخلص من تلك الأغلال والقيود التي أثقلته، فلم يبق سوى الإسلام، دين العدل ودين الرحمة ودين المحبة ودين المواساة والدين الذي يرعى للإنسانية حقها.

على المسلمين شعوباً وحكاماً التمسك بالإسلام وتطبيق أحكامه

أيها المسلمون.. تمسكوا بدينكم واعملوا به وطبقوه على مجتمعكم؛ لتعمكم السعادة ويحصل لكم الخيرُ والهناء.

قادة المسلمين.. هذا دين الإسلام وتعاليمه السامية فطبقوها بين شعوبكم؛ لتعيشوا أنتم وإياهم في غاية من الأمن والرخاء والاطمئنان.

حجاج بيت الله الحرام.. اليوم التقى جمعكم في هذا المكان المبارك، وحللتم في هذه البلاد العزيزة، وشاهدتم ما مَنّ الله على أهلها من الخير والبركة، من رغد العيش وأمن السبيل، وما يعيشه أهلها في نعمة الله العظيمة التي منحهم الله إياها فضلاً منه ورحمة وكرماً وجوداً، تنظرون إلى هذه النعم العظيمة التي يعيش فيها أبناء هذه البلاد، إنما نالوها بتوفيق الله لهم ثم بتحكيم شرع الله وتطبيق حدوده، وكون هذا المجتمع المسلم مجتمعاً مترابطاً، بين قادته ومواطنيه من المحبة والمودة ما الله به عليم، ارتباطاً قائماً على تحكيم هذه الشريعة والعمل بها وتطبيقها، فالعدالة سائدة، فهذه البلاد في نعمة عظيمة وبحبوحة من العيش، نعمة الإسلام قبل كل شيء، ثم هذا الأمن والاستقرار الذي عمّ أرجاءها، ذلك بفضل الله وكرمه.

ذلكم يا عباد الله.. أن هذه البلاد عقيدتها عقيدة التوحيد الخالص، ومنهجها تحكيم شرع الله، فليس بينهم حزبية ولا طائفية، ولكن أمة متحدة، تعمل بشرع الله.

إن هذه البلاد لم يقتصر خيرها على أبنائها ومن هم داخل بلادها، بل تعدى خيرها لأبناء المسلمين عامة، فهي دائماً ترعى مصالح المسلمين، وتسد خلتهم وتعينهم على ما أصابهم من النوائب؛ لأنها ترى ذلك واجباً عليها يفرضه عليها دينها الذي تؤمن به، وتحكمه وتدين الله به، وهذه البلاد الكريمة تحمي مقدسات الإسلام فترى واجباً عليها إسعاف المسلمين ومساعدتهم ومدّ يد

العون لهم في كل أرجاء المعمورة، فهذه البلاد ولله الحمد تسعى دائماً في رأب الصدع بين المجتمعات المسلمة، والتوفيق بينهم وحل كل مشاكلهم على ما تقتضيه الحكمة، فالحمد لله على فضله وكرمه.

حجاج بيت الله الحرام.. اشكروا الله على نعمته عليكم أن هداكم للإسلام، ومكنكم للوصول إلى هذه البلاد المقدسة؛ لتؤدوا حجكم في أمن واستقرار وطمأنينة، اشكروا الله على هذه النعمة، وادعوا لولاة المسلمين بالتوفيق أن يوفقهم الله ويعينهم ويجزيهم على ما قدموا للإسلام والمسلمين من هذه الخدمات العظيمة، حيث سهلوا للحجاج الوصول إلى بيت الله، وذللوا أمامهم الصعاب، وهونوا عليهم المشاق ليؤدوا مناسك حجهم آمنين مطمئنين.

أيها المسلمون الكرام.. إن الكثير من المسلمين وللأسف الشديد قد ساء فهمهم لإسلامهم وتصوروا الإسلام تصوراً خاطئاً، فمن المسلمين من يظن أن الإسلام يكفي فيه مجرد الانتساب إليه، وأنه متى انتسب إلى الإسلام كان مسلماً، حتى وإن أتى بما يناقض أصل الإسلام ويتنافى معه، وهذا من الجهل والخطأ العظيم، أي إسلام لمن عبد غير الله وأشرك مع الله في عبادته، أي إسلام لمن طاف بضرائح الأموات يرجوهم تفريج الكربات، يرجوهم جلب النفع ودفع الضر، أي إسلام لذلك؟! والإسلام جاء بمحاربة الشرك والتحذير منه؛ لأن الله إنما بعث نبيه ليدعو الناس إلى عبادة الله ويحذرهم عن الإشراك به سبحانه ويأمرهم بأن يتوجهوا بقلوبهم إلى الله حباً وخوفاً ورجاءً، فعبادة غير الله تنافي أصل الإسلام فلا يقبل الله ممن عبد غيره صلاة ولا زكاة ولا صياماً ولا حجاً، بل أعماله كلها مردودة عليه، ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ

على الحجاج أن يشكروا الله على نعمة الهداية للإسلام، وتمكينهم للوصول إلى هذه البلاد المقدسة

خطأ كثير من المسلمين في فهمهم للإسلام، وزعمهم أنه يكفي فيه مجرد الانتساب إليه

أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الزمر: ٦٥، ٦٦].

أيها المسلمون.. احذروا أن تأتوا بما يتنافى مع إسلامكم، البعض من الناس يتصور أن مجرد حجه يسقط عنه الواجبات ويبيح له المحرمات، فتراه إذا حج بيت الله لا يحافظ على هذه الصلوات ولا يؤديها مطلقاً مع أنها الركن الثاني من أركان الإسلام فأي حج لمن لا يصلي، وأي عمل لمن لا يصلي؟! فحافظوا على صلاتكم يا عباد الله حافظوا على إسلامكم، حافظوا على دينكم، الزموا دين الإسلام، حافظوا على أركانه وواجباته ليكون إسلامكم إسلاماً صحيحاً.

حجاج بيت الله الحرام.. ليكن حجكم لبيت الله مفتاح خير لكم وسبباً لسعادتكم فيما بقي من أعماركم، ليكن حجكم لبيت الله سبباً لصلاح قلوبكم واستقامة حالكم ومحافظتكم على دين الله حتى يكون حجكم حجاً مبروراً وسعياً مشكوراً وذنباً مغفوراً.

أمة الإسلام.. حجاج بيت الله الحرام.. فرض الله الحج على محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في آخر حياته فحج المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حجة واحدة هي حجة الوداع التي ودع فيها الناس وأخبرهم أنه لا يلقاهم بعد عامه هذا[٤]، حج بالناس في العام العاشر من الهجرة، وحج المسلمون معه وكانوا جميعاً يتتبعون أقواله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأعماله، يقتدون بكل ما يقول ويعمل، وهو صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول لهم عقب كل عمل يعمله: «خذوا عني مناسككم»[٥]، ليعلمهم الاقتداء به والتأسي به فإنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قدوة لكل مسلم، ﴿لَقَدْ كَانَ

بيان صفة حج النبي صلى الله عليه وسلم

لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب: ٢١].

وقف صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعرفة، وصلى بعرفة الظهر والعصر جمعاً وقصراً في وقت الظهر، وقبل الصلاة خطب خطبة عظيمة أعلمهم فيها واجبات الإسلام، وقرر فيها قواعد الدين، فقال في خطبته: «إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا»[٦]، وأخبرهم أن الله قد ألغى به أمور الجاهلية فقال: «ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع ودماء الجاهلية موضوعة، وإن أول دم أضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث كان مسترضعاً في بني سعد فقتلته هذيل، وربا الجاهلية موضوع وأول رباً أضع ربانا، ربا عباس بن عبد المطلب فإنه موضوع كله، فاتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمان الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله، ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه، فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضرباً غير مبرح، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف»[٧]. وألغى دماء الجاهلية، وأوصاهم بالنساء خيراً، وبيّن ما للنساء من الحقوق وما عليهن من الواجبات، واستشهد الله عليهم أنه بلغهم رسالة الله، فقالوا له جميعاً: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت فرفع إصبعه إلى السماء ثم نكبها إلى الناس وقال: «اللهم اشهد»[٨].

أيها المسلمون إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ألغى أمور الجاهلية، ألغى مآثر الجاهلية: مِنْ فخرِها بالأحساب، وطَعْنِها في الأنساب، وتعصّبِها التعصّب المخالف للشرع، أهل الجاهلية قبل الإسلام كانوا يتخذون الحج منبراً للتفاخر

بأحسابهم، والتفاخر بأنسابهم، فألغى الإسلام ذلك فقال: ﴿فَإِذَآ أَفَضۡتُم مِّنۡ عَرَفَٰتٖ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلۡمَشۡعَرِ ٱلۡحَرَامِۖ وَٱذۡكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمۡ وَإِن كُنتُم مِّن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ١٩٨﴾ [البقرة:١٩٨]، ليس في الحج فخر وليس فيه تنقص لشخص ما من الأشخاص، وإنما الحج إخلاصٌ لله وعبادة لله، والحجاج إنما قدموا ليتوجهوا إلى الله عز وجل ويسألوه من فضله وكرمه، لم يقدموا ليفاخروا، ولا ليهتفوا دعاية لغيرهم، وإنما قدموا إخلاصاً لله عز وجل وطاعة لله عز وجل، هكذا ينبغي أن يكون الحاج المسلم، ﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلۡحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلۡحَجِّۗ﴾ [البقرة:١٩٧].

حجاج بيت الله الحرام.. قدمتم من بلادكم طاعة لربكم سبحانه وإخلاصاً له وابتغاء فضله وكرمه، فتخلقوا بكل خلقٍ كريم، تخلقوا بالحلم والأناة والصبر، كونوا قدوة صالحة؛ فإن الإسلام يدعوكم بأن تكونوا قدوة صالحة يقتدي بكم غيركم، واحذروا من الدعاية المضللة والأفكار المغرضة، الذين لا يبالون بالمسلمين ولا يحترمون حُرمات المسلمين ولا يحترمون مقدسات المسلمين يعدون الوصول إلى هذا البيت فخراً وخيلاء ورفعاً لشعارات وتمجيداً لأشخاص، كل ذلك رفضه الإسلام، فنحن هنا جئنا لندعو الله ونتقرب إليه ونخلص الدين له سبحانه، لم نأت لغرض ما من الأغراض المشبوهة، فمن حول الحج عن وجهته وصرفه عن مراد الله له، فذلك من الضالين الذين يقول الله فيهم وفي أمثالهم: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ٢٠٤ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ

وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ ﴾ [البقرة: ٢٠٤، ٢٠٥].

إن هذه البلاد المقدسة أشرف بقعة على وجه الأرض يجب على كل مسلم أن يحترم قدسيتها ومكانتها وفضلها، لما قدم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فاتحاً مكة عليه الصلاة والسلام خاف أن يظن بعض العرب أن هذه البلاد قد فقدت كرامتها وقدسيتها، فخطبهم في ذلك اليوم قائلاً لهم: «**إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السماوات والأرض، ولم يحرمه الناس، وإنه حرام بتحريم الله إلى يوم القيامة، لا يسفك به دم، ولا ينفر صيده، ولا يختلى خلاه، ولا تلتقط لقطته إلا لمعرّف لها**»(٩)، كل ذلك يقرر في نفوس المسلمين حرمة هذا البيت العظيم وشأنه ومكانته، فمن لم يكن في قلبه احترام لهذا البيت وتقدير له فلينظر في إيمانه، فإن في إيمانه شكاً.

أيها المسلمون.. احذروا من دعاة السوء ودعاة الضلال الذين تسموا بالإسلام والله يعلم أنهم برءاء منه وأنهم بعيدون عن الإسلام كل البعد. فإسلامنا ولله الحمد دين واضح، مبني على كتاب الله وسنة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لا نرضى به بديلاً ولا نقيم غيره مقامه إلى أن نلقى الله عليه بتوفيق الله ورحمته، لقد أكمل الله لنا الدين وأتم لنا النعمة ورضي لنا الإسلام ديناً. ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [آل عمران: ٨٥].

أيها المسلمون إن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ألغى ربا الجاهلية، وحرمها، إن الربا من كبائر الذنوب أنزل الله في تحريمه آيات محكمات هن من

آخر القرآن نزولاً لم يأت ما ينسخها ولا ما يخصصها، فمن استحل هذا الربا بعد قيام الدليل عليه ومعرفته بحكم الله فيه فإنه مرتد خارج عن الإسلام، فواجب المسلمين جميعاً أن يتقوا الله في معاملاتهم وأن يحرروا اقتصادهم من الربا فإن فيما أباح الله غنية عما حرم الله.

أيها المسلمون.. إنكم اليوم في يوم عظيم من أيام الله، يوم مبارك، خير أيام الله وأفضلها على الإطلاق، يوم عرفة ذلكم اليوم العظيم الذي عظم الله شأنه وأقسم به في كتابه العزيز ذلكم اليوم الذي نالت به الأمة المحمدية غاية عزها ومجدها عندما أكمل الله لها الدين وأتم عليها النعمة ورضي لها الإسلام ديناً.

أيها الحجاج الكرام.. توجهوا بقلوبكم إلى ربكم، اسألوه من فضله وكرمه؛ فإنه قريب مجيب، ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة:١٨٦]، في هذا اليوم المبارك يتجلى الله لعباده ينزل إلى سمائه الدنيا نزولاً يليق بجلاله يباهي بكم ملائكته يقول: «انظروا إلى عبادي أتوني شعثاً غبراً ضاحين يرجون رحمتي ولم يروا عذابي، أشهدكم أني قد غفرت لهم»(١٠)، أفيضوا مغفوراً لكم ولمن شفعتم فيه؛ لقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبداً من النار من يوم عرفة، وإنه ليدنو ثم يباهي بهم الملائكة فيقول: ما أراد هؤلاء؟»(١١)، فأروا الله من أنفسكم خيراً.

أكثروا في هذا اليوم من ذكر الله وتعظيمه والثناء عليه، أكثروا من لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير(١٢)، احفظوا جوارحكم مما حرم الله، يقول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هذا يوم من ملك

فضل يوم عرفة

على الحجاج أن يكثروا من ذكر الله ودعائه والالتجاء إليه في هذا اليوم

فيه سمعه وبصره ولسانه غفر له»(١٣). إن عدو الله إبليس لم ير في يوم هو فيه أصغر ولا أدحر ولا أحقر ولا أغيظ منه في يوم عرفة، وما ذالك إلا لما رأى من تنزل الرحمة وتجاوز الله عن الذنوب العظام(١٤).

فعدو الله إبليس يغيظه اجتماعكم، يغيظه دعاؤكم، أروا الله من أنفسكم خيراً، وأغيظوا عدو الله، وأخلصوا لله نياتكم، ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة فإن الله لا يقبل الدعاء من قلب ساهٍ لاهٍ.

مدوا أكف الضراعة إلى ذي الجلال والإكرام، اسألوه لأنفسكم الهداية والثبات على دين الإسلام، ولوالديكم المغفرة والتجاوز، ولذرياتكم الصلاح والهداية، وللمسلمين جميعاً التوفيق والاستقامة على الطريق المستقيم.

اغتنموا بقاءكم في هذا المكان واسألوا الله من فضله وكرمه فإن الله قريبٌ مجيب لمن دعاه بيقين وإخلاص، يقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إن الله حيي كريم يستحيي إذا رفع الرجل إليه يديه أن يردهما صفراً خائبتين»**(١٥).

أيها المسلمون.. قفوا بعرفة حتى تغرب الشمس؛ اقتداءاً بنبيكم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإن نبيكم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يزل واقفاً حتى غربت الشمس وغابت الصفرة قليلاً وغاب القرص، قفوا بعرفة وتأكدوا من حدودها واسألوا إن أشكل عليكم، ولا تنصرفوا إلا بعد أن تغرب الشمس، وصلوا الظهر والعصر جمعاً وقصراً كما سنفعله إن شاء الله بعد قليل.

أيها الحجاج الكرام.. لا تنصرفوا إلا بعد غروب الشمس، ثم انصرفوا إلى

مزدلفة والزموا السكينة والوقار في كل حركاتكم[١٦]، وليكن بينكم التعاون والتسامح في كل أحوالكم.

وصلّوا المغرب والعشاء جمعاً وقصراً بمزدلفة، وبيتوا بها إلى بعد نصف الليل أو إلى أن تصلوا بها الفجر وذلك أكمل، ثم انصرفوا إلى منى وارموا جمرة العقبة، ثم احلقوا أو قصروا رؤوسكم، وإن كنتم متمتعين أو قارنين فارموا ثم انحروا ثم احلقوا أو قصروا، وقد حل لكم كل شيء حرم عليكم بالإحرام إلا النساء، ثم طوفوا طواف الإفاضة، واسعوا بين الصفا والمروة، إن كنتم متمتعين، وإن كنتم قارنين أو مفردين ولم تسعوا مع طواف القدوم فاسعوا بعد طواف الإفاضة، ثم قد حل لكم كل شيء حرم عليكم بالإحرام، وارموا الجمار في اليوم الحادي عشر والثاني عشر تبتدءون بالأولى ثم الوسطى ثم العقبة، ترمون سبع حصيات لكل واحدة، وهكذا في اليوم الثاني عشر إن تعجلتم، وإلا في اليوم الثالث عشر إن تأخرتم.

ويوم النحر يبدأ من منتصف ليلته إلى غروب شمس يومه، كل هذا وقت للرمي، وأيام التشريق بعد الزوال ومن عجز عن الرمي في يوم النحر أو في يوم الحادي عشر وأخره إلى الثاني عشر فلا مانع من ذلك، على أن يرتب رمي الجمار كل يوم مستقلٍ وحده.

نصائح للقائمين على أمور الحجاج

أيها المطوفون.. أيها القائمون على الحجاج.. اتقوا الله في أمانتكم فإنكم مسؤولون عما خُوّلتم من أمور الحجاج لا تُخِلّوا بمناسكهم قفوا بهم المواقف المشروعة والتزموا الشرع في كل أحوالكم لعلكم تفلحون.

أسأل الله أن يجعل حجنا مبروراً، وسعينا مشكوراً، وذنبنا مغفوراً، اللهم وفق المسلمين لما تحبه وترضاه، اللهم ألف بين قلوبهم وأصلح ذات بينهم، وانصرهم على عدوك وعدوهم، واهدهم سبل السلام، وأخرجهم من الظلمات إلى النور، اللهم وفق إمام المسلمين وولي عهده والنائب الثاني لما تحبه وترضاه، اللهم أمدّهم بعونك وتوفيقك واجزهم عما قدموا للحجاج والمسلمين جميعاً خير الجزاء والثواب، ومتع المسلمين بحياتهم، فإن على المسلمين لهم حقاً، أن يدعوا لهم بما قدموا لهم من التسهيلات العظيمة.

أعاده الله عليَّ وعليكم وعلى جميع المسلمين باليمن والبركة، ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الهوامش

(١) سبق تخريج خطبة الحاجة في خطبة عام (١٤٠٢هـ)، الهامش (١).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢٢٩٥، كتاب: الزهد والرقائق، باب: المؤمن أمره كله خير، ح(٢٩٩٩).

(٣) وذلك من صفات المؤمنين، كما ورد في الحديث الذي أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: المظالم والغصب، باب: نصر المظلوم، (فتح الباري ٥/ ١٢٥، ح ٢٤٤٦)، ومسلم في صحيحه ١/ ١٨٢، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، ح(٢٥٨٥) عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً»**.

(٤) ورد ذلك في الحديث الذي أخرجه النسائي في السنن الكبرى، وأصله عند مسلم في صحيحه، وسبق تخريجه في خطبة عام (١٤٠٢هـ) الهامش (٩).

(٥) أخرجه النسائي في السنن الكبرى، وأصله عند مسلم في صحيحه، وسبق تخريجه في خطبة عام (١٤٠٢هـ)، الهامش (١٠).

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: العلم، باب: قول النبي صلى الله عليه وسلم: **«رب مبلغ أوعى من سامع»** (فتح الباري ١/ ٢٠٩، ح ٦٧)، ومسلم في صحيحه ٢/ ٨٨٩، كتاب: الحج، باب: حجة النبي صلى الله عليه وسلم، ح(١٢١٨).

(٧) أخرجه مسلم في صحيحه ٢/ ٨٨٩، كتاب: الحج، باب: حجة النبي صلى الله عليه وسلم، ح(١٢١٨).

(٨) انظر: التخريج السابق.

(٩) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الجزية، باب: إثم الغادر للبر والفاجر، (فتح الباري ٦/ ٣٤٨، ح ٣١٨٩)، ومسلم في صحيحه ٢/ ٩٨٦، كتاب: الحج، باب: تحريم مكة وصيدها وخلاها وشجرها ولقطتها إلا لمنشدها على الدوام، ح(١٣٥٣)، ولفظهما: «**إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة وإنه لم يحل القتال فيه لأحد قبلي ولم يحل لي إلا ساعة من نهار فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة لا يعضد شوكه ولا ينفر صيده ولا يلتقط لقطته إلا من عرفها ولا يختلى خلاه**».

(١٠) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه ٤/ ٢٦٣، كتاب: الحج، باب: تباهي الله أهل السماء بأهل عرفات، ح(٢٨٤٠)، وابن حبان في صحيحه ٩/ ١٦٤، كتاب: الحج، باب: ذكر رجاء العتق من النار لمن شهد عرفات يوم عرفة، ح(٣٨٥٣).

(١١) أخرجه مسلم في صحيحه ٢/ ٩٨٢، كتاب: الحج، باب: في فضل الحج والعمرة ويوم عرفة، ح(١٣٤٨).

(١٢) ورد ذلك في الحديث الذي أخرجه الترمذي في سننه ٥/ ٥٧٢، كتاب: الدعوات، باب: في دعاء يوم عرفة، ح(٣٥٨٥)، والبيهقي في السنن الكبرىٰ ٤/ ٢٨٤، باب: العمل الصالح في العشر من ذي الحجة، ح(٨١٧٤)، بلفظ: «**خير الدّعاء دعاء يوم عرفة وخير ما قلت أنا والنّبيّون من قبلي: لا إله إلاّ اللّه وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كلّ شيء قدير**».

(١٣) أخرجه أحمد في مسنده، وابن خزيمة في صحيحه، وسبق تخريجه في خطبة عام (١٤٠٢هـ)، الهامش (١٩).

(١٤) أخرجه مالك في الموطأ، وعبد الرزاق في مصنفه، وسبق تخريجه في خطبة عام (١٤٠٢هـ)، الهامش (١٦).

(١٥) أخرجه الترمذي في سننه ٥/ ٥٥٦، كتاب: الدعوات، باب: (بدون)، ح(٣٥٥٦)، وأبو داود في سننه ٢/ ٧٨، كتاب: الصلاة، باب: الدعاء، ح(١٤٨٨)، واللفظ للترمذي.

(١٦) ورد ذلك في قول النبي صلى الله عليه وسلم: «**السكينة السكينة**» في حديث جابر الطويل في صفة حجة النبي صلى الله عليه وسلم الذي أخرجه مسلم في صحيحه ٢/ ٨٨٦-٨٩١، كتاب: الحج، باب: حجة النبي صلى الله عليه وسلم، ح(١٢١٨).

خطبة عام «١٤٠٥» الهجري

السَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ.

إنَّ الْحَمْدَ للهِ نَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا فَمَن يَهْدِهِ اللهُ فَلا مُضِلَّ لَهُ وَمَن يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ[1].

أما بعد:

أيها الناس.. اتقوا الله تعالى حق التقوى.

عباد الله.. إن أعظم نعمة منّ الله بها على عباده المؤمنين أن هداهم للإسلام ومنّ عليهم بمعرفة الإسلام وقبوله والعمل به، فتلكم يا عباد الله نعمة عظمى لا تساويها أي نعمة، سائر النعم بعدها مزيد فضل وإحسان من رب العالمين، ولقد ذكّر الله عبادَه المؤمنين هذه النعمة وعرّفهم قدرَها وبيّن لهم فضلَها ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ [آل عمران:١٦٤].

كان الناس قبل الإسلام في ضلال مبين لا يعرفون حقاً من باطل، ولا يميزون هدىً من ضلال، يعيشون في جهالة جهلاء وضلالة عمياء لا يفرّقون بين معروف ومنكر، حتى جاء الله بالإسلام فهداهم به بعد العماية واستنقذهم به من

الضلالة ﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾ [آل عمران:١٠٣].

أيها المسلم.. اعرف قدر الإسلام، اعرف قدر هذه النعمة واحمد الله عليها، وأدّ واجب شكر هذه النعمة بامتثال أوامر الله واجتناب نواهيه، اشكر الله على أن هداك لهذا الدين وقد أضل عنه الأكثرين ﴿۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ۝ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ ۝﴾ [الأنفال:٢٢، ٢٣]، وقال منوهاً بشأن هذه النعمة: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [الزمر:٢٢]، فاعرف قدر هذه النعمة وازدد لله شكراً وثناءً، لقد ذكر الله عن المؤمنين الراسخين في العلم الذين عرفوا قدر هذه النعمة أنهم في كل آن وحين يسألون الله الثبات على الإسلام قال جل جلاله مخبراً عنهم في دعائهم: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ۝﴾ [آل عمران:٨]، فاسألوا الله إذ هداكم للإسلام أن يثبتكم عليه وأن لا يزيغ قلوبكم عنه.

أيها المسلمون.. إن أصل هذا الدين وأساسه وقاعدته التي بني عليها تحقيق الشهادتين: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فهذان ركنا التوحيد الذي لا يستقيم إسلام عبد إلا بتحقيق هاتين الكلمتين، فشهادة أن لا إله إلا الله تحقيقها إخلاص الدين لله، أن تكون عبادتك كلها خالصة لله، لا شريك لله في ذلك، هذا هو تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله أن تصرف جميع أنواع العبادة لمستحقها وهو الله جل جلاله: فدعاؤك لله وحده لا تدعو معه غيره، لا تذبح إلا لله، لا تنذر إلا لله، لا تستغيث إلا بالله، لا ترجو إلا الله،

أصل هذا الدين وقاعدته التي
بني عليها هو تحقيق الشهادتين

لاتخاف الخوف الحقيقي إلا من الله، فالله معبودك تألهه قلبُك حباً وخوفاً ورجاءً، إن تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله تحتّم على العبد إخلاص الدين لله والبراءة من كل معبود سوى الله بأن يعتقد اعتقاداً جازماً أن العبادة حق لله لا حقَّ لمخلوق كائناً من كان في شيء منها ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [الحج:٦٢]، شهادة أن لا إله إلا الله تقتضي نفي العبادة عن كل ما سوى الله وإثبات العبادة بجميع أنواعها لله وحده لا شريك له.

أمة الإسلام، شهادة أن لا إله إلا الله هي الكلمة التي لأجل تحقيقها والقيام بها خلَقَ الله الثقلين الجنّ والإنس، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات:٥٦]، فما خُلق الثقلان إلا ليعمروا الأرض بطاعة الله ويقيموا عليها دين الله.

أمة الإسلام.. كلمة التوحيد: لا إله إلا الله مفتاح دعوة الرسل من أولهم إلى آخرهم، فما بعث الله رسولاً من رسله إلا ابتدأ قومه بدعوتهم إلى تحقيق لا إله إلا الله، إلى العمل بمقتضى كلمة التوحيد لا إله إلا الله، هكذا ابتدأ الرسل دعوتهم إلى قومهم من نوح عليه السلام إلى آخرهم وسيدهم وأكملهم محمد صلى الله عليه وعلى سائر الأنبياء والمرسلين وسلّم تسليماً كثيراً، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف:٥٩]، وهكذا قال هود لقومه وصالح وإبراهيم وموسى وعيسى وسائر أنبياء الله ابتدأوا دعوتهم بالدعوة إلى التوحيد الخالص، إلى إخلاص الدين لله

وترك عبادة غير الله عز وجل كائناً من كان، بين الله ذلك في كتابه ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ۝٢٥﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وأخبر تعالى أن الحكمة من إرسال الرسل دعوة الخلق إلى عبادة الله وتحذيرهم من عبادة ما سواه ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ [النحل: ٣٦].

أمة الإسلام.. إن هذه الكلمة العظيمة لا يكفي أن ننطق بها باللسان بل لا بد أن نعمل بمقتضاها وما دلت عليه علماً وعملاً صدقاً وإخلاصاً ويقيناً فإنها كلمة عظيمة من لقي الله بها مخلصاً من قلبه دخل الجنة ومن كانت آخر كلامه من الدنيا دخل الجنة ولكن لابد من اعتقاد ما دلت عليه من نفي كل معبود سوى الله وإخلاص الدين لله وحده لا شريك له.

أمة الإسلام.. كم من أناس يقولون: لا إله إلا الله ولكن يأتون بما يضادها ويهدم أساسها ويقضي على ما دلّت عليه، يقولون: لا إله إلا الله وترى منهم تعظيماً لغير الله، عبادةً لغير الله، صلاةً لضرائح الأموات، تقريب القربان لهم، وفي الشدائد يهتفون بأسمائهم ويدعونهم من دون الله، يستغيثون بهم من دون الله، يسألون الأموات والغائبين، تفريج الكربات وإزالة الهموم ورفع البلاء، وكل ذلك مناقض لمقتضى لا إله إلا الله، فإن هذه الكلمة قائلها إخلاص الدين لله.

ولما بعث الله عبده ورسوله محمداً خاتم الأنبياء والمرسلين ابتدأ بالدعوة إلى لا إله إلا الله، فطالب قومه العرب أن ينطقوا بها ويعملوا بمقتضاها وما دلت عليه، فلما علم القوم أن هذه الكلمة تَفْرِضُ عليهم خَلْعَ كل معبود سوى الله،

بعض الأعمال الناقضة لمقتضى (لا إله إلا الله)

وتُلزمهم إخلاصَ الدين لله والبراءة من كل معبود سوى الله، أبوا أن يتكلموا بها، أبوا أن ينطقوا بها وقالوا، ﴿أَجَعَلَ ٱلْأَلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝﴾ [ص:٥]، وقال الله عنهم: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ۝ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ۝﴾ [الصافات:٣٥،٣٦]، فما زال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدعو قومه لـلا إله إلا الله ويقيم الحجج والبراهين على صحة التوحيد ووجوب إفراد الله بالعبادة، ويدحض شبه المشركين القائلين ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر:٣].

مكث بمكة بضع عشرة سنة مهمته الأساسية الدعوة إلى توحيد العبادة، إلى إخلاص الدين لله، إلى إزالة الشرك، إلى تثبيت العقيدة في قلوب العباد؛ لأن التوحيد هو الأساس، والأعمال كلها تابعة ومتممة له. إنما الأساس تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله، إيماناً بالله وإفراداً لله بكل أنواع العبادة، وبراءة تامة من كل معبود سوى الله ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [البقرة:٢٥٦]، لابد من التوحيد، من البراءة من كل معبود سوى الله، واعتقاد أن من عَبَدَ غيرَ الله فإنه ضال ضلالاً مبيناً مهما كان قصده ومهما كانت نيته.

أمة الإسلام، وثاني الشهادتين اللتين هما أصل الدين وقاعدته: شهادة أن محمداً رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومعناها: طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما عنه نهى وزجر، وألا يُعبَد الله إلا بما شرع.

ومن تحقيق شهادة أن محمداً رسول الله الإيمانُ برسالته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ، والإيمانُ بأنـه عبد الله ورسوله وخيرته من خلقه أرسله إلى الناس جميعاً برسالة شاملة تامة، افترض على العباد طاعته، نسخ بشريعته كل الشرائع، وألزم الخلق كلهم طاعته ومحبته والإيمان به ،فإن أصل محبته أصل الإيمان وكمالها كمال الإيمان.

تحقيق شهادة أن محمداً رسول الله: أن تؤمن بـأن هذا الرسول الكريـم هو واسطة بين الله وبين عباده في تبليغ شرعه ودينه، وأنه لاطريق لنا إلى معرفة دين الله والوصول إلى رضا الله إلامن طـريق هذا النبي الكريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تسليماً كثيراً، يحبه المؤمن محبة فوق محبة المال والأهل والولد والنفس والناس أجمعين، يقول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبّ إليه من ولده ووالـده والنـاس أجمعين**»(٢)، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مرة وهو آخذ بيده: يا رسول الله، لأنت أحبّ إلي من كل شيء إلامن نفسي، فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا والـذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك**»، فقال له عمر: فإنه الآن والله لأنت أحبّ إلي من نفسي، فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الآن يـا عمـر**»(٣)، طاعته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من طاعة الله عزوجل، ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]، فتطيع أمره وتجتنب نهيه، ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْ﴾ [الحشر: ٧]، ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوۡلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ أَن يَقُولُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ

ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [النور:٥١، ٥٢]، وعليك مع ذلك تصديق خبره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الزمر:٣٣].

أمة الإسلام.. إن المؤمن حقاً هو من كان في قلبه تعظيم لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفي قلبه حبٌ لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفي قلبه موالاة لرسول الله ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [الأعراف:١٥٧]، يجد نفسه حريصاً على اتباع هذا النبي الكريم واقتفاء أثره والسير على نهجه، يصلي كما صلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يحج كما حج رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يسير في منهج حياته على وفق الهدي النبوي الكريم، هكذا حال المحبين له الذين سَيَرِدُون حوضَه إن شاء الله، وسيُحشرَون في زمرته، وسيدخلون الجنة معه بفضل الله وكرمه، فعَظِّموا سنة رسولِ الله وأحِبُّوا رسولَ الله محبةً من أعماق القلوب، قدِّموا سنته على قول كل أحدٍ كائناً من كان، يقول صلى الله عليه وسلم: «**لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به**»(٤).

أمة الإسلام.. إنّ البعض من الجهال حرّفوا وغيّروا هذه المحبة الشرعية وعدلوا بها عن حقيقتها واتخذوا من محبة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسيلة للغلو فيه وإطرائه وتعظيمه فوق تعظيم الله عز وجل، فأولئك قد حرّفوا الكلم عن

مواضعه وبدّلوا قولاً غير الذي قيل لهم. فحبّنا لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يقتضي أن نصرف له شيئاً من أنواع العبادة. فالعبادة بكل أنواعها حق لله عـز وجل، وقد أمره الله أن يقول: ﴿قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾﴾ [الجن: ٢١، ٢٢]، ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾﴾ [الجن: ٢٠]. فهو إنما بعث ليدعو العباد إلى عبادة الله، ما بُعث ليُعَظَّمَ من دون الله ولا ليُستَغاثَ به من دون الله ولا ليُستَنصرَبه من دون الله ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَـٰكِن كُونُواْ رَبَّـٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُواْ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [آل عمران: ٧٩، ٨٠]. وهو صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أعظم الناس بعداً عن الشرك حذّرنا أن نغلو فيه فقال: «**إياكم والغلو في الدين، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين**»(٥)، وقال: «**لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبده، فقولوا: عبد الله ورسوله**»(٦).

ولما علم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن سبب ضلال الضالين قبلهم من الأمم غلوّهم في أنبيائهم حذّر أمته من ذلك فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل أن يموت بثلاث: «**ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، إني أنهاكم عن ذلك**»(٧)، بل في سياق الموت وهو يعاني سكرات الموت وأهواله وكربه لم يمنعه ذلك من أن ينصح أمته

ويحذرهم من أسباب الشرك، قالت عائشة رضي الله عنها: لما نزل برسول الله -أي: نزل به الموت- جعل يطرح خميصة له على وجهه فإذا اغتم بها كشفها وقال: «**لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**» يحذر ما صنعوا(٨)، ولولا ذلك لأبرز الصحابة قبره غير أنهم خشوا أن يتخذ مسجداً، يقول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»(٩)، فإذا كان هذا في حقه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فكيف هو حال من دونه ممن يُغْلَى فيه ويُعَظَّم من دون الله ويُستَغاثُ به من دون الله ويُطافُ بضريحه من دون الله وتُقَرَّبُ القرابين له من دون الله؟! تعالى الله عما يقوله الكافرون والظالمون علواً كبيراً.

علماء الإسلام.. إن الله ائتمنكم على ما حملكم من العلم، فأدُّوا أمانة العلم، أُدْعُوا إلى الله على علم وبصيرة، بصِّرُوا المسلمين في دين الله، حذِّروهم مما شاب عقيدتَهم الصحيحةَ من البدع والجهالات، أرُوهم الحقَّ حقاً والباطل باطلاً، أُدْعُوا إلى الله على علم وبصيرة بحكمة وموعظة حسنة، أوضِحُوا دينَ الله لتكونوا من القائمين بالعلم حق القيام، أوضحوا وأرشدوا وبينوا، والله جل جلاله يهدي من يشاء بفضله ويضل من يشاء بعدله ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف:٢٩]، أدُّوا أمانة العلم التي حملكم الله إياها، وإن لم تفعلوا فاحذروا سخط الله، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ

ٱللَّـٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ [البقرة:١٥٩]، فكونوا علماء حق ودعاة خير وهدى.

دعاة الإسلام.. دعاة الإصلاح.. إن كل داع إلى الله لابد أن يسير في دعوته على الطريق الذي سار عليه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه رضي الله عنهم ومن سلك طريقهم واتبع أثرهم، فهو الطريق الصحيح والمنهج القويم الذي يحقق للداعي إلى الله قبولاً وثباتاً بتوفيق الله ﴿قُلْ هَـٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى وَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف:١٠٨]، هكذا يكون الداعي المخلص، هكذا يكون الداعي الصادق، وكم من دعوات تدعو إلى الإسلام وينادي أهلها بأنهم دعاة الإسلام وهم بعيدون عن منهج محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لايهتمون بشأن التوحيد ولايهتمون بالعقيدة، بل لهم نُظُم وأمور أخرى الله أعلم بحالها، تَسَمَّوا بالإسلام وتَسَتَّرُوا به والله يعلم ما وراء ذلك إن هم إلا كما قال الله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الأنعام:١٥٩]، فالداعي المخلص هو الذي دعا إلى التوحيد الذي دعا إليه محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تلكم هي الدعوة الباقية والدعوة الصالحة المعتمدة على المنهج السليم.

أمة الإسلام.. أمة القرآن.. أمة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.. أنتم الأمة المرحومة، أنتم الأمة المعصومة، أنتم خير الأمم وأحبها إلى الله، أنتم خير أمة أخرجت للناس ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران:١١٠]، جمع الله لكم الخير من أطرافه، فبعث الله فيكم سيد ولد آدم أفضل أنبيائه وأشرفهم على الإطلاق، وأنزل عليه خير كتبه مهيمناً على ما سبقه، واختار الله لكم أكمل الدين وأتمه،

ورضي لكم الإسلام ديناً، ضمن لكم العصمة على ألا تجتمعوا على خطأ، جعل دينكم باقياً إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين.

أيها المسلمون.. إن أعداءكم يحسدونكم على هذا الشرف العظيم، ويريدون أن يجعلوكم تابعين لهم بعد ما كانوا تابعين لكم، ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ [البقرة:١٠٩]، يريدون أن يشككوكم في إسلامكم، يشككوكم في دينكم، يضعفوا ثقتكم بهذا الدين حتى يسوء ظنكم بإسلامكم فتفقدوا قيمتكم ومكانتكم ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾ [النساء:٨٩]، فإن تمسكتم بهذا الدين كانت لكم الكلمة العليا وكنتم خير أمة أخرجت للناس.

أمة الإسلام.. إن أعداءكم يزعمون أن تخلفكم إنما هو نتيجة تمسككم بهذا الدين ويأبى الله؛ فهذا الدين دين القوة والعزة، دين الرقي والتقدم، دينٌ يوازن بين الحياة الدنيا والآخرة، دينٌ يدعو أتباعه إلى الجد والنشاط وإلى العمل الدائم، يدعوهم إلى استغلال الخيرات، إلى عمارة الأرض بطاعة الله، إلى أن يستعملوا نعم الله فيما يقربهم إلى الله، ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ۝١٣﴾ [سبأ:١٣]، دين فيه سعادة الدنيا والآخرة، فإن أي تخلف وإن أي بلاء في الأمة الإسلامية إنما سببه البعد عن هذا الدين، إنما سببه التخلف عن تعاليم الشريعة، يقول الله عز وجل: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا

الإشارة إلى محاسن الدين الإسلامي، وأن فيه سعادة الدنيا والآخرة

كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [الأعراف:٩٦]؛ فتمسكوا بهذا الدين واعملوا به تفلحوا.

أمة الإسلام.. احذروا مكائد أعدائكم الذين يحاولون تفريق صفوفكم، وتشتيت شملكم، يحاولون أن يجعلوا بعضكم عدواً لبعض، يصنعون أسلحة الدمار والخراب ليقتل بها بعضكم بعضاً.

على الأمة المسلمة أن تحذر من مكائد أعدائها الذين يحاولون تفريق صفوفها

فيا أمة الإسلام.. عوداً إلى الإسلام، عوداً إلى تعاليمه وقيمه، عوداً إلى مبادئه السامية؛ لنكون خير أمة أخرجت للناس كما أراد الله لنا ذلك، ولنكون إخوة متحابين متراحمين مترابطين كما وَصَفَنا الله بذلك: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات: ١٠].

أمة الإسلام.. إن أمن الأمة الإسلامية مسؤولية ملقاة على عاتق المسلمين جميعاً، إذ المسلمون كالجسد الواحد يتألم الكل بتألم البعض منهم، يقول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر**»(١٠). فالأمة الإسلامية جزء لا يتجزأ، أفيرضى منتسب للإسلام ومُتَسَمٌّ به أن يكون نصير إجرام أو إرهاب؟! أفيسمح لنفسه أن يكون منطلق الإجرام والإضرار بالمسلمين، كلا لا يرضى بذلك مسلم، بل المسلم يهمه استقامة إخوانه المسلمين، يهمه استقرارهم وأمنهم وطمأنينتهم، ولا يرضى أن يكون جسراً يعبر عليه أعداء الإسلام؛ ليفرّقوا شمل الأمة ويضربوا بعضها ببعض، فالمسلم عين ساهرة على مصالح المسلمين في شرق الأرض أو غربها، هكذا يريد الإسلام منا فلنكن كذلك.

حجاج بيت الله الحرام.. اليوم وقد انتظم شملكم في هذا المكان المبارك، أتيتم من أماكن شتى، من أقطار الدنيا استجابة لأمر الله وتلبية لنداء الخليل ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ۝٢٧ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ﴾ [الحج:٢٧، ٢٨]. تلكم المنافع التي تعود على القلوب بالصلاح والاستقامة. خرج المسلم من بلده، فارق أهله ووطنه وماله طاعة لربه، ارتدى لباس الإحرام طاعة لربه وقد طاف بالبيت وبالصفا والمروة ووقف في تلكم المشاعر كلها طاعة لله وتنفيذاً لأمر الله فيعود ذلك على إيمانه بالقوة والثبات، إنه يرى عظمة الإسلام فهذه الأمة المجتمعة متباينة أقطارهم مختلفة ألوانهم وأجناسهم، جمعتهم قوةُ الإيمان ووحّدتْهم رابطةُ الإسلام، إن المسلم وهو يرى هذا الإسلام ويرى تمسك المسلمين به، ليتذكر أيضاً قضية أخرى وهو أن هذا الدين قد تكفل الله بنصره لم يكل نصره إلى الرجال، فكل جيل يخلف من قبله، فلو كان أمره للرجال لانقضى بانقضائهم ولكن الله تكفل به ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر:٩].

حجاج بيت الله الحرام.. اشكروا الله على نعمته أن وفقكم للوصول إلى هذا البلد الأمين، وجدتم هذا البلد آمناً مطمئناً يعيش في رغد من العيش، في أمن واستقرار وطمأنينة، يعيش متكاتفاً متحاباً متعاوناً بين الشعب والقيادة أعظم تعاون وترابط، كل ذلك بفضل الإسلام وبفضل تحكيم هذه الشريعة وإقامة حدود الله وتنفيذ شرع الله، فتلك آثار هذه العقيدة الصحيحة. نسأل الله لنا ولهم الثبات على الحق والاستقامة على الهدى.

أمة الإسلام.. إن من يعيد النظر في تاريخ الأمة الإسلامية يرى أن المسلمين بعد القرون الأولى يعانون أشد المتاعب والمشاق للوصول إلى بيت الله الحرام، يعانون المشاق والمتاعب ما بين قطاع طرق وما بين قلة في الماء والطعام وغير ذلك، ولكن الله بفضله وكرمه منَّ في هذه العصور الأخيرة بهذه الحكومة الرشيدة التي نذر رجالُها أنفسهم خدمة للإسلام والمسلمين، ورأوا أن خدمة الحجيج عملاً صالحاً يتقربون به إلى الله، فبذلوا كل جهدهم في سبيل راحة الحاج، يأتي الحاج من بلده لا سلاح يستصحبه ولا طعام يحمله، إنما يرى الأمن والرغد، كل ذلك بفضل الله ورحمته، فنسأل الله لهم التوفيق والإعانة وأن يجزيهم عما فعلوا بالمسلمين خيراً.

إن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لعدي بن حاتم: **«هل رأيت الحيرة؟»** قال: قلت: لم أرها، وقد أُنبئتُ عنها، قال: **«فإن طالتْ بك حياة لترينَّ الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحداً إلا الله»**[11]، لقد تحقق ذلك في القرون الأولى وفي هذا الزمن -ولله الفضل والمنة-. فهذا البلد الحرام في أمن واستقرار وطمأنينة. نسأل الله أن يوفق قادة هذه البلاد لما يحبه ويرضاه، وأن يجعلهم أئمة مهديين غير ضالين ولا مضلين، وأن ينصر بهم دينه ويعلي بهم كلمته ويخذل بهم أعداءه.

حجاج بيت الله الحرام، إن الله افترض الحج على أمة الإسلام وجعله فريضة العمر، من أداه في عمره مرة فقد أدى الواجب ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران:٩٧].

بيان صفة حج النبي صلى الله عليه وسلم

حجَّ نبيكم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مرةً واحدة في عمره هي حجة الوداع حجها في العام العاشر من الهجرة وسار المسلمون معه ينظرون إلى أقواله وأعماله، يقتفون أثره، ويسيرون على منهاجه وهو يقول لهم عقب كل قولٍ يقوله أو عملٍ يفعله: «خذوا عني مناسككم لعلي لا أراكم بعد عامي هذا»(١٢)، ووقف بعرفة وقال: «كل عرفات موقف، وارفعوا عن بطن عرنة»(١٣)، وأخبر أن «الحج عرفة»(١٤)، وصلى في هذا المكان الظهر والعصر جمعاً وقصراً، كما سنفعله إن شاء الله وذلك ليتفرغ الحاج للذكر والابتهال والاستغفار، خطبهم قبل ذلك خطبة بيّن لهم فيها حرمة الدماء والأموال وحرمة الربا وألغى مآثر الجاهلية واستشهدهم على أنه قد بلّغهم فقال لهم : «ألا هل بلّغت؟»(١٥)، قالوا: نشهد أنك أديت ونصحت وبلّغت، فرفع أصبعه إلى السماء ونكتها إلى الناس وقال: «اللهم اشهد»(١٦)، والمسلم يشهد حقاً أنه قد أدى الأمانة وبلّغ الرسالة ونصح الأمة وجاهد في الله حق جهاده.

وقف نبيكم بعرفة إلى أن غربت الشمس وحذرهم من الانصراف من عرفة حتى تغرب الشمس قائلاً لهم: «هدينا مخالف لهديهم»(١٧)، انصرف بعد ذلك لمزدلفة بسكينة ووقار وصلى بها المغرب والعشاء جمعاً وقصراً وبات بها، وأذن للضعفة في الانصراف عن مزدلفة بعد نصف الليل، صلى بمزدلفة الفجر ثم أفاض إلى منى فرمى الجمرة ونحر هديه وحلق رأسه ثم طاف بالبيت صلوات الله وسلامه عليه.

فكن أيها الحاج مقتفياً أثر نبيك، قف بعرفة إلى الغروب ولا تنخدع بمن

يـقولـــ ادفع قبل الغروب، بِتْ بمزدلفة إلى أن يمضي معظم الليل وإن شئت أكملْ فصَلّ بها الفجر، اِرمِ الجمرة بعد نصف الليل وإن أردت الكمال فبعد طلوع الشمس، انحرْ هديك إن كنت متمتعاً أو قارناً واحلقْ رأسك ثم طف بالبيت، واسعَ بين الصفا والمروة، وإن قدّمتَ شيئاً على شيء فلا حرج عليك، لو قدّمت الحلق قبل الرمي أو النحر قبل الرمي أو الطواف قبل الرمي فلا حـــرج عليك، تيسيرٌ وتسهيلٌ من الله. بِتْ أيها الحاج بمنى ليالي التشريق، وارمِ الجمار في اليوم الحادي عشر الأولى والوسطى والعقبة بعد زوال الشمس، وكذلك في اليوم الثاني عشر ثم ودّعْ البيت وانصرفْ مقبولاً منك أعمالك بتوفيق الله.

أيها المسلمون.. هذا يوم عظيم من أيام الله، هذا يوم عرفة من أفضل أيام الله وأشرفها وأجلها، يوم المباهاة، **«ما من يـوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبداً من النار من يـوم عرفة، وإنه لـيدنو ثـم يبـاهي بهم الملائكة فيقول: ما أراد هؤلاء؟»**(١٨)، إن الله يباهي عشية عرفة بأهل عرفة ملائكةَ السماء يقول: **«انظروا إلى عبادي أتـوني شعثاً غبراً ضاحين يـرجون رحمتي ولم يـروا عذابي، أشهدكم أني قد غفرت لهم»**(١٩)، **«ما رئي الشيطان يوماً هـو فيه أصغر ولا أدحر ولا أحقر ولا أغيظ منه في يـوم عرفة، وما ذاك إلا لما رأى من تـنزّل الرحمة وتجاوز الله عن الذنوب العظام»**(٢٠)، فارفعوا إلى ربكم أكُفّ الضراعة، ادعوه مخلصين له الدين، الجأوا إلى الله في محو ذنوبكم وخطاياكم، سَلُوه الثباتَ على الإسلام، سَلُوه أن يتقبّل حجكم.

أمة الإسلام.. حافظوا على إسلامكم، إن البعض من المسلمين يتصور أنه إذا حج فقد سقط عنه واجبات الإسلام وكل ذلك من الجهل والغلط. فيا أيها المسلم حافظ على الصلوات الخمس في أوقاتها، إياك والتهاون بها؛ فإن تركها كفر ناقل عن ملة الإسلام، أدِّ زكاة مالك، حافظ على شرائع دينك، كن أميناً في معاملاتك.

يا شباب الإسلام.. اتقوا الله في أنفسكم وحافظوا على دينكم، وكونوا شباباً صالحاً، مثلوا الإسلام في أقوالكم وأعمالكم، أظهروا آداب الإسلام وفضائله، بيّنوا محاسنه ليقتدي بكم غيركم، واحذروا أن تكونوا فتنة لأعداء الإسلام. إذا رأوا منكم انحرافاً عن الصراط المستقيم أساؤوا الظن بهذا الدين وأهله، فكونوا دعاة خير ودعاة صلاح، تَمَسَّكوا بهذا الدين واعملوا به واسألوا الله الثبات عليه.

اللهم إنا نسألك بأسمائك الحسنى وصفاتك العلى أن توفقنا لما تحب وترضى، اللهم اغفر لأموات المسلمين، اللهم اغفر لهم وارحمهم وعافهم واعف عنهم وأكرم نزلهم ووسِّع مدخلهم واغسلهم بالماء والثلج والبرد ونقِّهم من الذنوب والخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدَّنس، اللهم إنّا نسألك في هذا اليوم المبارك بأسمائك الحسنى وصفاتك العلى، لا إله إلا الله العظيم الحليم لا إله إلا الله رب العرش الكريم لا إله إلا الله رب السماوات ورب الأرض ورب العرش العظيم، اللهم ارحمنا برحمتك التي وسعت كل شيء، اللهم ارحمنا برحمتك التي وسعت كل شيء، اللهم اجعلنا من العتقاء من عذابك، اللهم اجعلنا من العتقاء من عذابك، اللهم اجعلنا من العتقاء من عذابك، يا سميع

الدعاء يا حي يا قيوم، اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، ودمر أعداء الدين، وانصر عبادك الموحدين، واجعل هذا البلد آمناً مطمئناً وسائر بلاد المسلمين يا رب العالمين، اللهم آمنا في أوطاننا، اللهم آمنا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، اللهم وفق إمام المسلمين وولي عهده لما تحبه وترضاه، اللهم خذ بناصيته لما فيه صلاح الإسلام والمسلمين، ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

عباد الله إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون، فاذكروا الله العظيم الجليل يذكركم، واشكروه على عموم نعمه يزدكم، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون.

الهوامش

(١) سبق تخريجه في خطبة عام (١٤٠٢هـ)، الهامش (١).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: حب الرسول صلى الله عليه وسلم من الإيمان، (فتح الباري ١/ ٨٠، ح ١٥)، ومسلم في صحيحه ١/ ٦٧، كتاب: الإيمان، باب: وجوب محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر من الأهل والولد والوالد والناس أجمعين..، ح(٤٤)، واللفظ لمسلم، وعند البخاري بتقديم (والده).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الأيمان والنذور، باب: كيف كان يمين النبي صلى الله عليه وسلم، (فتح الباري ١١/ ٦٤١، ح ٦٦٣٢).

(٤) أورده ابن حجر في فتح الباري ١٣/ ٣٥٨ في شرح حديث (٧٣٠٨)، وعزاه إلى الحسن بن سفيان، ووثق رجاله، وقال: صححه النووي في آخر الأربعين، وذكره التبريزي في مشكاة المصابيح ١/ ٥٩ عن ابن عمر رضي الله عنه، ومن هذا الباب: قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران:٣١]، وقول النبي صلى الله عليه وسلم: **«لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبّ إليه من ولده ووالده والناس أجمعين»**، قال شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع فتاواه ٢٢/ ٢٤٠ بعد ما ساق آيات عديدة في هذا المعنى: (فتبين أن على العبد أن يتبع الحق الذي بعث الله به رسوله ولا يجعل دينه تبعاً لهواه).

(٥) أخرجه النسائي في سننه ٥/ ٢٦٨، كتاب مناسك الحج، باب التقاط الحصى، ح(٣٠٥٧)، واللفظ له، وابن ماجه في سننه ١/ ١٠٠٨، كتاب الحج، باب قدر حصى الرمي، ح(٣٠٢٩)، وأحمد في مسنده ١/ ٢١٥، واللفظ للنسائي.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه، وسبق تخريجه في خطبة عام

(١٤٠٢هـ)، الهامش (٥).

(٧) أخرجه مسلم في صحيحه ١/ ٣٧٧، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: النهي عن بناء المساجد على القبور واتخاذ الصور فيها والنهي عن اتخاذ القبور مساجد، ح(٥٣٢).

(٨) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الصلاة، باب: الصلاة في البيعة، (فتح الباري ١/ ٧٠٠، ح ٤٣٥، ٤٣٦)، ومسلم في صحيحه ١/ ٣٧٧، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: النهي عن بناء المساجد على القبور واتخاذ الصور فيها والنهي عن اتخاذ القبور مساجد، ح(٥٣١)، واللفظ للبخاري.

(٩) أخرجه مالك في الموطأ، وسبق تخريجه في خطبة عام (١٤٠٢هـ)، الهامش (٦).

(١٠) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الأدب، باب: رحمة الناس والبهائم، (فتح الباري ١٠/ ٥٣٧، ح ٦٠١١)، ومسلم في صحيحه ٤/ ١٩٩٩، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، ح(٢٥٨٦)، واللفظ لمسلم.

(١١) أخرجه البخاري في صحيحه، وسبق تخريجه في خطبة عام (١٤٠٣هـ)، الهامش (٨).

(١٢) أخرجه النسائي في السنن الكبرىٰ، والبيهقي في السنن الكبرىٰ، وأصله عند مسلم في صحيحه، وسبق تخريجه في خطبة عام (١٤٠٢هـ)، الهامش (٩).

(١٣) أخرجه أحمد في مسنده ٤/ ٨٢، وابن خزيمة في صحيحه ٤/ ٢٥٤، كتاب: المناسك، باب: الزجر عن الوقوف بعرفة، ح(٢٨١٦)، والبيهقي في السنن الكبرىٰ ٩/ ٢٩٥، كتاب: الحج، باب: الأضحية في السفر، ح(١٩٠٢١).

(١٤) أخرجه الترمذي في سننه، والنسائي في سننه، وابن ماجه في سننه، وأحمد في مسنده، وسبق تخريجه في خطبة عام (١٤٠٣هـ)، الهامش (١٢).

(١٥) أخرجه البخاري في صحيحه ضمن خطبة حجة الوداع، كتاب: الحج، باب: الخطبة أيام منى، (فتح الباري ٣/ ٧٣١، ح ١٧٤١)، ومسلم في صحيحه ٣/ ١٣٠٥، كتاب: القسامة والمحاربين والقصاص والديات، باب: تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال، ح(١٦٧٩).

(١٦) أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما، وسبق تخريجه في خطبة عام (١٤٠٢هـ)، الهامش (١٣).

(١٧) يعني: أهل الشرك والأوثان، والحديث أخرجه الشافعي في مسنده ص٣٦٩، والبيهقي في السنن الكبرى ٥/ ١٢٥، كتاب: الحج، باب: الإيضاع في وادي محسر، ح(٩٣٠٤) عن المسور بن مخرمة رضي الله عنهما قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعرفة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «**أما بعد: فإن أهل الشرك والأوثان كانوا يدفعون من ههنا عند غروب الشمس حتى تكون الشمس على رؤوس الجبال مثل عمائم الرجال على رؤوسها، هدينا مخالف لهديهم، وكانوا يدفعون من المشعر الحرام عند طلوع الشمس على رؤوس الجبال مثل عمائم الرجال على رؤوسها، هدينا مخالف لهديهم**».

(١٨) أخرجه مسلم في صحيحه، وسبق تخريجه في خطبة عام (١٤٠٤هـ)، الهامش (١١).

(١٩) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه، وابن حبان في صحيحه، وسبق تخريجه في خطبة عام (١٤٠٤هـ)، الهامش (١٠).

(٢٠) أخرجه مالك في الموطأ، وعبد الرزاق في مصنفه، وسبق تخريجه في خطبة عام (١٤٠٢هـ)، الهامش (١٦).

خطبة عام «١٤٠٦» الهجري

السَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُه.

إنَّ الْحَمْدَ لِلهِ نَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا فَمَن يَهْدِهِ اللهُ فَلا مُضِلَّ لَهُ وَمَن يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ(١).

أما بعد:

الوصية بتقوى الله عز وجل

أيها الناس.. أوصيكم ونفسي بتقوى الله، فهي خير وصية أوصى الله بها الأولين والآخرين ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١].

أمة الإسلام.. إن سبب التقوى ما يقوم بقلب العبد من تعظيم الله محبة وخوفاً ورجاء، فكلما عظم تعظيم الرب في قلب العبد دعاه ذلك إلى تقواه، إلى امتثال أمره، واجتناب نهيه، كلما أيقن العبد بكمال علم الله واطلاعه عليه وأن الله يعلم سره ونجواه لايخفى عليه من أمره شيء كان ذلك سبباً لتقواه ومراقبته في السرّ والعلن.

الآثار الحسنة لتقوى الله تعالى

أيها المسلمون.. إن لتقوى الله آثاراً حسنة على العبد في حياته وأخراه، فمن أعظم آثار التقوى أن يجعل الله في قلب المتقي نوراً يهتدي به في ظلمات الجهل والضلال، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ

يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الحديد:٢٨]. فالمتقي لله يجعل الله في قلبه نوراً يفرّق به بين الحق والباطل وبين الهدى والضلال، فلا يلتبس عليه الأمر.

ومن آثار التقوى أن الله يجعل للمتقي من كل هم فرجاً، ومن كل ضيق مخرجاً، ومن كل بلاء عافية ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾ [الطلاق:٢،٣].

وبالتقوى تكفر السيئات وتعظم الأجور ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ﴿٥﴾﴾ [الطلاق:٥]. بالتقوى ينال المتقي ولاية الله، فولاية الله لا تنال بالأماني، يقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن الإيمان ليس بالتحلي ولا بالتمني، إنما الإيمان ما وقر في القلب وصدقه العمل»[٢]، فلا ينال ولاية الله إلا من اتقاه وخافه. ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ [يونس:٦٢-٦٤].

إن التقوى صلة قوية تربط بين المتقين، صلة لا انفصام لعُرَاها ولا تصدّع لبناها، وكل علاقة أو صلة أقيمت على غير تقوى الله فلابد لها من الزوال، أما علاقة التقوى فهي علاقة باقية دائمة أبد الآباد ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الزخرف:٦٧]. بالتقوى يا عباد الله ينجو العبد من النار بعد الورود ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾ [مريم:٧١،٧٢]. فاتقوا

ربكم يا عباد الله وراقبوا ربكم في سركم وعلانيتكم، وفي كل أحوالكم لعلكم تفلحون.

أمة الإسلام، إن الله من كمال حكمته وعدله أقام في هذه الدنيا الصراع بين الحق والباطل، بين الهدى والضلال، بين أوليائه وأعدائه، حكمة عظيمة؛ ليبتلي العباد، فيظهر إيمان المؤمن من كذب الكاذب ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٣﴾ [العنكبوت:٢، ٣]، ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ [آل عمران:١٧٩]، وما بعث الله من نبي إلا جعل له أعداء يصدون الناس عن طريقه ويثبطون الناس عن الانقياد للحق الذي جاء به، قال جل جلاله: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ۝١١٢ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُواْ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ۝١١٣﴾ [الأنعام:١١٢، ١١٣]، فأنبياء الله منذ بعث الله أول نبي في الأرض قد جعل الله لهم أعداء لا لهوانهم عليه ولكن ليزيد في رفعتهم ومكانتهم وابتلاءً لأتباعهم وامتحاناً لإيمانهم، فأعداء الرسل قابلوا دعوتهم بالتكذيب والإنكار، ولكن الرسل مضوا في دعوتهم وبلّغوا رسالات الله، والحق لابدّ أن يعلو والباطل لابد أن يضمحل أمام الحق ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ﴾ [الأنبياء:١٨]، ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ۝٨١﴾ [الإسراء:٨١].

ومحمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سيد الأولين والآخرين خاتم أنبياء الله ورسله ناله من العداوة والأذى ما ناله، فصدع بدعوته وبلغ رسالة ربه وأعلن دعوته صريحة آناء الليل وأطراف النهار، دعا إلى الله سراً وجهاراً، بدأ بقومه العرب فدعاهم إلى إخلاص الدين لله وترك ما كانوا عليه من عبادة غير الله، دعاهم إلى أن يخلصوا لله عباداتهم كلها، إلى أن يخلصوا دعاءهم ونذرهم وذبحهم وخوفهم ورجاءهم ورغبتهم وكمال محبتهم لربهم. فقابله أعداؤه وقاموا في وجه دعوته وآذوه وألحقوا الأذى به وبمن تبعه من أصحابه، والله يأمره بالصبر والتحمل ويقص عليه خبر الأنبياء قبله ﴿مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ﴾ [فصلت:٤٣]، ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ﴾ [هود: ١٢٠]، فمضى في دعوته صابراً محتسباً متحملاً كل الأذى في ذات الله حتى أذن الله له بالهجرة إلى المدينة لما أسلم الأوس والخزرج هاجر إليها وأقام هناك دولة الإسلام الأولى، وفي مقامه في المدينة كملت شرائع الإسلام وفرائضه حتى أكمل الله به الدين وأتم به النعمة فاختاره الله إلى جواره صلوات الله وسلامه عليه.

أمة الإسلام، إن العداء لهذا الدين القويم ليس وليد اليوم ولكنه قديم منذ بعث الله محمداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلقد قام أعداؤه ضد دعوته ولكن الله أظهره عليهم وأيده عليهم ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [التوبة:٣٢].

أعظم أعدائه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اليهودُ فهم أشد الناس عداوة له

اليهود أشد الناس عداوة للرسول صلى الله عليه وسلم ورسالته

ولرسالته ودعوته، لما اختاره الله من ولد إسماعيل غاظهم ذلك وحسدوه وجحدوا حقيقة ما جاء به، أنكروا رسالته مع علمهم بصدقه وأمانته لكنهم جحدوا ذلك حسداً وعدواناً ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [البقرة:١٠١]، أيدوا أعداءه وحزبوا الأحزاب ضد دعوته وما زال الله يؤيده ويظهره عليهم حتى اقتلع جذورهم من جزيرة العرب بفضل الله وكرمه، ولم تزل عداوة اليهود لهذا الدين وأتباعه إلى قيام الساعة.

بيان خطر اليهود على الإسلام والمسلمين، وأنهم وراء كل فتنة وإجرام وفساد

إنَّ كلَّ بلاء بالأمة من فتنة في الدين والدنيا فاليهود من ورائه فهم أنصار الفساد وأعوان الإجرام ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [المائدة:٦٤]، إنهم أعداء وحدتكم، وأعداء أخوتكم، وأعداء اجتماعكم، إنهم يحاولون تفريق شملكم وتشتيت كلمتكم وتفريق صفكم وجعلكم أحزاباً وشيعاً، حتى تكون لهم الهيمنة عليكم، فاحذروا كيدهم يا عباد الله، واحذروا مكرهم وخداعهم وخيانتهم، خذوا حذركم من أعدائكم ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ [المائدة:١٣] الآية.

أمة الإسلام، إن حبراً من أحبار اليهود مرَّ بالأوس والخزرج في عهد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فرأى ما بينهم من ألفة وأخوة ومحبة فأمر رجلاً من قومه أن يحضر مجالسهم ويذكِّرهم ما كانوا عليه قبل الإسلام من تلكم الحروب الطاحنة التي مزقت هذا الحي، فما زال ذلك اليهودي يلقي إليهم ما قيل في حرب بعاث ويحاول تفريق كلمتهم حتى كادوا أن يقتتلوا فجاء رسول الهدى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ وذكّرهم اللهَ والإسلامَ حتى عادوا إلى رشدهم وعلموا أن تلك مكيدة من أعداء الله اليهود فأنزل الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ۝١٠٠ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝١٠١﴾ [آل عمران: ١٠٠، ١٠١].

من أعداء الإسلام دعاة التنصير وعباد الصليب

وإن من أعداء دينكم يا عباد الله دعاة التنصير الذين حاولوا جهدهم أن يسلخوا المسلمين من دينهم ويحولوهم إلى عباد صلبان فلمَّا عجزوا عن ذلك قادوا الحملات العسكرية؛ ليحققوا هدفهم، فما زاد المسلمين إلا قوةً وثباتاً على إسلامهم، فحاولوا بوسائل المكر والخداع أن يبعدوا المسلمين عن عقيدتهم ويلقوا إليهم الشبه والشكوك؛ ليبعدوهم عن دينهم ويقطعوا صلتهم بإسلامهم، حاولوا أن يربّوا بعض المسلمين على الأخلاق الرذيلة والأعمال السيئة حتى يبعدوهم عن إسلامهم باسم المدنية وباسم الرقي والتقدم؛ لعلمهم أن الأمة مادامت متمسكة بقيمها وفضائلها وأخلاقها فلن تستطيع أي قوة أن تعلو عليها، ﴿وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءً﴾ [النساء: ٨٩]، فخذوا حذركم من عدوكم.

بيان خطر المنافقين على الإسلام وأنهم أخطر من اليهود والنصارى

أمة الإسلام، إن المسلم يعرف عدوه من يهودي ونصراني قد استبان شره وضرره، ولكن هناك عدوٌّ أعظم من ذلك، هناك من تسمى بالإسلام وهو منافق يريد هدم الإسلام والقضاء عليه، ينتسب إلى الإسلام؛ لأجل أن يقضي على الإسلام ومبادئه السامية، إنهم المنافقون الذين حذرنا الله منهم، وأخبر أنهم

يصوّرون فسادهم وضلالهم في قالب الإصلاح ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ ۝١١ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡمُفۡسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشۡعُرُونَ ۝١٢﴾ [البقرة: ١١، ١٢]، إنهم قوم من جلدتنا يتكلمون بألسنتنا يهتدون بغير هدينا دعاة على أبواب جهنم من أطاعهم وأصغى لقولهم ألقوه فيها، فكونوا على حذر من هذا الصنف يا عباد الله.

إن من أولئك المنافقين فئة حاربوا الإسلام بأقلامهم وأعمالهم، تَعرِف نفاقَهم في تفوههم بما يتفوهون به من كفر وضلال ﴿وَلَتَعۡرِفَنَّهُمۡ فِي لَحۡنِ ٱلۡقَوۡلِۚ﴾ [محمد: ٣٠].

إنَّ من أولئك المنافقين قوماً يدعون إلى عزل الشرع عن نظم الحياة، إلى تعطيل أحكام الله ورسوله، إلى الاستعاضة عن أحكام الله العادلة المنصفة بقوانين ظالمة فاجرة كافرة، يزعمون جهلاً وزوراً عجز الإسلام وقصوره، وأن الإسلام لا يستطيع أن يواكب الحياة، وأن القرن العشرين قرن الرقي والتقدم يجب أن يحكم بقوانين غير الإسلام، وأن الإسلام قد انتهى دوره في الحياة، ذلك من أعداء الإسلام، كل تلك الأباطيل من المنافقين الضالين.

إن أحكام الإسلام هي الأحكام العادلة، الأحكام المنصفة، الأحكام التي تحقق لمن طبّقها الأمنَ والاستقرارَ والطمأنينةَ، الأحكام التي تجعل المجتمع مجتمعاً متماسكاً متراحماً، أما القوانين الوضعية فلن تستطيع حل مشاكل العصر، هي عاجزة قاصرة، واضعوها لا تستقل عقولُهم بإدراك الحقائق على ما هي عليه، أما قوانين الشرع فهي صادرة من حكيم خبير ﴿أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ۝١٤﴾ [الملك: ١٤].

والقوانين الوضعية مهما نمّقها أهلها وحسّنوها ودعوا إليها فإنها قوانين متناقضة، قوانين ضالة تحمي الإجرام والمجرمين وتنشر البلاء والفوضى بين المجتمع، قوانين تبيح الفساد كله، قوانين تعطي الإنسان الحرية يفعل ما يشاء بدون حدود ولا قيود، أمّا نظم الله وأحكامه العادلة ففيها الإنصاف والعدل والخير، ولقد كفّر الله من حكم بغير شرعه ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّـٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَـٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾﴾ [النساء: ٦٠، ٦١].

أمة الإسلام، ومن أعداء الإسلام أناس يدعون إلى إعادة الأمة إلى الجاهلية الجهلاء إلى الضلال والعمى الذي كان قبل الإسلام، يريدون أن يعيدوا الأمة إلى الوثنية التي حطمها الله ببعث محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يحيون البدع التي تناقض شرع الله، يحاولون أن يعظموا الأموات والضرائح ويذبحون من دون الله، يشجعون من يناديها ويهتف باسمها من دون الله ويصرف لها خالص حق الله، إذا ذكرتَ لأولئك توحيد الله وإخلاص الدين لله اشمأزتْ قلوبهم وقالوا: تنقّصْتَ الصالحين والأولياء وحططْتَ من قدر الأنبياء والمرسلين، يريدون بذلك أن يعيدوا الأمة إلى أن تعبد ضرائح الأموات وتبني على القبور، وتشجّع الطائفين بها واللاجئين لها من دون الله والذابحين والناذرين لها والمستغيثين بها من دون الله، وكل تلك عداوة للإسلام، فإن العقيدة

الصحيحة ما بعث الله به محمداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فكل من أراد أن يطمسها أو يعاديها فليعلم أن له نصيباً من قوله جل جلاله: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الزمر:٤٥]، فهم يستبشرون بدعاء الأموات، يستبشرون بالبدع والخرافات وتشمئز قلوبهم من تحقيق التوحيد الخالص لله عز وجل الذي بعث الله به محمداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

أمة الإسلام، إن منهج المسلم حقاً في حياته ما دلَّ عليه كتاب الله ودلت عليه سنة رسوله، فهو يحاول أن يكيّف منهج حياته على وفق ما جاء به رسول الهدى محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فإن الصراط المستقيم هو كتاب الله وسنة رسوله، قال جل جلاله: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ﴾ [الأنعام:١٥٣]، خطَّ المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خطاً مستقيماً فقال: **«هذا سبيل الله»**، ثم خطّ خطوطاً عن يمينه وعن شماله، ثم قال: **«هذه سبل، على كل سبيل شيطان يدعو إليه»**[٣]. صدق المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

شياطين يدعون إلى ضلالاتهم، إلى كفرهم، إلى نفاقهم، إلى فجورهم، إلى بدعهم، إلى خرافاتهم، إلى تحكيم العقول والأذواق وجعْلها الحكم العدل، كل هذا من البدع والضلالات، فدين الإسلام هو كتاب ربنا وسنة نبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هو الطريق المستقيم والمنهج الواضح الذي لا شك فيه ولا ارتياب.

أمة الإسلام، تمسكوا بهذا الدين واعملوا به اعتصموا بحبل الله جميعاً ولا

تفرقوا.

أمة الإسلام، إنكم خير أمة أخرجت للناس، كونوا كما أراد الله لكم ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]. فحققوا هذه الخيرية يحقق الله لكم كل خير ورخاء واستقرار ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ [النور: ٥٥]. فحققوا هذه الخيرية يا عباد الله، تمسكوا بالإسلام فإنه دين العزة والسيادة والكرامة والرفعة. أيها الأمة المسلمة نحن أمة الإسلام يجب أن نهتم بشأننا، يجب أن نقيم أنفسنا، وأن نصحح أوضاعنا، ونصلح من أخطائنا، يجب أن يكون التفاهم رائدنا، والتعاون بيننا قائماً.

أمة الإسلام، نحن أمة مسلمة، المسلم يهتم بأخيه المسلم في شرق الأرض وغربها، تربطه به أخوة الإسلام والإيمان ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠].

على المسلمين التعاون في حل مشاكلهم في حدود المجتمع المسلم

أمة الإسلام، أما آن لنا أن نستيقظ من غفلتنا ونعود إلى رشدنا ونتعاون في حلّ كلّ مشكلة تقع بين أفراد الأمة المسلمة. يجب على أمة الإسلام أن يحلوا مشاكلهم بأنفسهم ويصلحوا أوضاعهم وأخطاءهم في حدود مجتمعهم المسلم. هذا هو الواجب علينا لتكون لنا الكلمة العليا ﴿وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم

مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ ﴾ [آل عمران:١٣٩].

أعداؤكم يا عباد الله يقيمون أحلافاً عسكرية؛ ليحموا بها بلادهم، وأحلافاً اقتصادية؛ ليحموا بها اقتصادهم، ونحن أمة الإسلام عندنا مقومات الوحدة الكاملة: الإيمان النابع من العقيدة، فهل آن لنا أن نتفاهم في حل مشاكلنا وأن نفهم قضايانا وأن نعرض كل مشكلة تقع بين أمة الإسلام على كتاب ربنا وسنة رسولنا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ عند ذلك تكون لنا الكلمة ولن يستطيع العدوأن يفسد ما بيننا، إن قوة الأمة الإسلامية وعظمتها إنما هو في تمسكها بدينها واجتماعها على هذا الدين ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ [آل عمران:١٠٣].

يا قادة المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، اتقوا الله في شعوبكم وحافظوا على البقية الباقية من هذا الدين، حكِّموا في شعوبكم شرع الله؛ لتعيشوا أنتم وإياهم آمنين مطمئنين مستقرين، حكِّموا فيهم كتاب الله وسنة رسوله؛ لتعيشوا في خيروأمان، إن كل بلاء حلَّ بالأمة فأسبابه الذنوب والمعاصي ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَـٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَـٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَـٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الأعراف:٩٦]، حكِّموا فيهم شرع الله، وطهّروا مجتمعات المسلمين من كل ما يخالف شرع الله، لتعيشوا في أمان واستقرار، واعلموا أن الله سائلٌ كلاً عمّا استرعاه يوم قدومه عليه ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء:٨٨،٨٩]، فاتقوا الله في أمة الإسلام، وقوموا فيهم لله قيامَ صدق بإخلاص ونية صادقة.

توصية قادة المسلمين بتقوى الله في شعوبهم، والحفاظ على هذا الدين، وتحكيم الشريعة في شؤون مجتمعاتهم

الحج فريضة العمر على المسلم، وفيه منافع عظيمة لهم تعود عليهم بالخير والصلاح

حجاج بيت الله الحرام، إن الله افترض الحج على أمة الإسلام وجعله ركناً أساسياً من أركان الدين من أدَّاه في عمره مرة فقد أدَّى الواجب الذي عليه وبرئت بذلك ذمته، شرعه الله للعباد؛ ليشهدوا منافع لهم تعُود عليهم بالصلاح والخير ﴿لِّيَشْهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمْ﴾ [الحج:٢٨]، وينظروا في عظمة الإسلام كيف التقت تلكم الوفود المختلفة في اللون والبلد واللغة، لكن جمعتهم أخوة الإسلام ووَحَّدَتْهم رابطة الإيمان، فيعلم المسلم عظمة هذا الدين وقوته.

على الحجاج أداء شكر الله لتوفيقه إياهم للوصول إلى هذه البلاد المقدسة التي أنعم الله عليها بنعم الأمن والاستقرار والرغد والطمأنينة

حجاج بيت الله الحرام، اشكروا الله الذي وفقكم للوصول إلى هذه الديار المقدسة.

تفكروا فيما أنعم الله على أهل هذه البلاد من أمن واستقرار ورغد وطمأنينة، إن هذه البلاد -ولله الفضل والمنَّة- قد منحها الله النعم العظيمة من أجلّها نعمتين: أولاهما: تحكيم شرع الله، فمحاكمها تحكم بشرع الله وتقيم حدود الله وتنفذ أوامر الله. وثاني ذلك: ما منَّ الله عليهم من أمن واستقرار وارتباط وثيق بين القادة والأفراد، كل ذلك بفضل تحكيم هذه الشريعة، فهذه البلاد -ولله الفضل والمنَّة- منحها الله الخير الكثير، ورأى قادتها من واجبهم أن يخدموا حجاج بيت الله، وأن يقدموا لهم كل التسهيلات ويُذَلّلوا أمامهم الصِّعاب ويبذلوا كل غالٍ ونفيس في سبيل راحة الحجاج وأمنهم، وهم مع هذا دائماً يتحسسون مشاكل أمة الإسلام ويحاولون بكل مستطاع أن يوجدوا الرخاء لغيرهم ويَمُدُّوا غيرهم مما أعطاهم الله، ذلك أنهم مقتنعون من ذلك نتيجة لإيمانهم بشرع الله وتحكيمهم لدين الله، فهذه البلاد -ولله الحمد- تعيش نعماً عظيمة

وفضلاً عظيماً، أمرٌ يشهد به كل أحد، فمن زار هذه البلاد من الحجاج والمعتمرين ورأى هذا الأمن والاستقرار، علم مقدار نعمة الله على هذه البلاد وأهلها، وكيف كانت عاقبة تحكيم شرع الله والتمسك به، فنسأل الله المزيد من فضله وكرمه، وأن يوفق قادة هذه البلاد لما يحبه ويرضاه، إنه على كل شيء قدير.

حجاج بيت الله الحرام، الحج مناسبة عظيمة لإقامة ذكر الله ودعائه واستغفاره والثناء عليه، هو عبادة يتقرب بها العبد إلى الله، احذروا أن تحرفوا الحج عن وجهته الشرعية، احذروا أن تعدلوا به عن منهج الله الذي أراده، فالله أراد لكم بهذا المكان أن تذكروه وتستغفروه ﴿فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُواْ اللهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ﴾ [البقرة:١٩٨]، فمن حاول أن يغير الحج عن وجهته الشرعية في شعارات جاهلية ودعوات مضللة وأمور لا علاقة لها بالإسلام فأولئك ممن حاولوا صرف الحج عن وجهته الشرعية، وهذا يرفضه الإسلام ويأباه.

على الحجاج إقامة ذكر الله ودعاؤه والثناء عليه في هذا الموسم العظيم، وأن يغتنموا هذه الفرصة لعبادة الله وحده

حجاج بيت الله الحرام، إنّ نبيكم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حجَّ حجة واحدة هي حجة الوداع التي ودّع الناسَ فيها، وما فعل صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فعلاً إلا قال لهم: «**خذوا عني مناسككم فلعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا**»(٤).

بيان صفة حج النبي صلى الله عليه وسلم

جاء صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم عرفة وخطب بهذا الوادي في هذا المكان خطبة عظيمة أعلم الناس فيها حرمة الدّماء وحرمة الأموال وألغى فيها مآثر الجاهلية وبيَّنَ تحريم الربا وما للمرأة من الحقوق وما عليها من الواجبات، وأخبرهم أنه تارك فيهم ما لن يضلوا إن تمسكوا به وهو كتاب الله(٥)، ثم

استشهدهم على إبلاغ رسالة الله وشرعه قائلاً لهم: «**ألا هل بلغت، ألا هل بلغت**»[٦]، فقال الصحابة بأجمعهم: نشهد أنك بلغت ونصحت وأديت، فرفع إصبعه إلى السماء ونكتها إلى الناس وقال: «**اللهم اشهد، اللهم اشهد، اللهم اشهد**»[٧]، يستشهد الناس أنه بلغهم رسالة الله، وهو الذي قضى فيهم ثلاثة وعشرين عاماً يدعوهم إلى الله ويبين دين الله ويبلغ رسالته ويجاهد في سبيله؛ فما أعظمها من شهادة، وما أشرفه من مشهود به، وما أعظمه من مشهود له، إن كل مسلم حقاً يشهد له بكمال البلاغ وأنه أدى الأمانة وبلّغ الرسالة ونصح الأمة وجاهد في الله حق جهاده، فصَلِّ يا ربِّ وسَلِّمْ عليه تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.

صلىَّ الظهر والعصر بعرفة جمعاً جمع تقديم وقصراً، ثم وقف بعرفة حتى غربت الشمس وقال: «**وقفت هاهنا، وعرفة كلها موقف**»[٨]، وقال: «**وارفعوا عن بطن عرنة**»[٩]، بقي فيها حتى غربت الشمس وتأكد من غروبها، ثم انصرف إلى مزدلفة وهو يأمر أصحابه بلزوم السكينة والوقار في سيرهم، صلّى بمزدلفة المغرب والعشاء جمع تقديم، وبات بها وأذن للضعفة أن ينصرفوا قبل الفجر، وبقي هو صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى أن صلى بمزدلفة الفجر، ثم ذكر الله عند المشعر الحرام، ثم أتى منى فرمى جمرة العقبة، ثم نحر هديه، ثم حلق رأسه، ثم طاف طواف الإفاضة ولم يَسْعَ؛ لأنه سعى مع طواف القدوم، فهذا هديه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فيا حجاج بيت الله الحرام، ابقوا بعرفة حتى تغرب الشمس، ولا يحل لكم الانصراف إلا بعد غروب الشمس، بيتوا بمزدلفة، صلوّا بها المغرب والعشاء جمعاً وقصراً، ثم لكم أن تدفعوا منها بعد نصف الليل، لاسيما العجزة من النساء، ومن

أراد الكمال فليبق حتى يصلي بها الفجر، ثم ادفعوا إلى منى وارموا جمرة العقبة، وانحروا هديكم إن كنتم قارنين أو متمتعين، أمَّا المفرد فلا هدي عليه، احلقوا رؤوسكم، ثم طوفوا طواف الحج، ومن قدّم شيئاً من الأنساك أو أخّر فلا حرج عليه، فإنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما سئل عن شيء قدّم ولا أخّر إلا قال: «افعل ولا حرج»(١٠)، بيتوا بمنى ليالي التشريق، وارموا الجمار يوم الحادي عشر مرتبةً: الصغرى ثم الوسطى ثم العقبة، واليوم الثاني عشر كذلك، فإن كنتم متعجلين فانصرفوا من منى قبل غروب شمس ذلك اليوم، وإن تأخرتم فارموا الجمار يوم الثالث عشر.

فضل يوم عرفة، وما فيه من تذكر واعتبار وتذكر الآخرة والعرض والحساب

حجاج بيت الله الحرام، يوم عرفة يوم من أفضل أيام الله، وخير أيام الله، يوم يكفّر الله فيه الذنوب ويضاعف فيه الأجور، يقول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبداً من النار من يوم عرفة، وإنه ليدنو ثم يباهي بهم الملائكة فيقول: ما أراد هؤلاء»**(١١)، **«إن الله عز وجل يباهي ملائكته عشية عرفة بأهل عرفة فيقول: انظروا إلى عبادي أتوني شعثاً غبراً»**(١٢).

حجاج بيت الله الحرام، اجعلوا من موقفكم بعرفة عظة وتذكراً للموقف الأكبر بين يدي الله يوم تقفون بين يدي ربكم حافية أقدامكم عارية أبدانكم شاخصة أبصاركم، تذكروا يوم تدنو الشمس من العباد حتى تكون منهم على قدر ميل أو ميلين ويزاد في حرها ويأخذ الناسَ العرقُ على قدر أعمالهم، فمنهم من يأخذه إلى عقبيه، ومنهم من يأخذه إلى حقويه، ومنهم من يُلجِمه العرقُ إلجاماً(١٣)، يقول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تحشرون حفاةً عراةً غرلاً»، قالت عائشة: فقلت: يا

رسول الله، الرجال والنساء ينظر بعضهم إلى بعض؟ فقال: «**يا عائشة، الأمر أشد من أن يهمهم ذاك**»[١٤].

تذكروا أيها المسلمون يوم العرض بين يدي الله ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾﴾ [الحاقة:١٨].

تذكروا يوم توزن أعمال العباد ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُولَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُولَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَـٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [المؤمنون:١٠٢، ١٠٣].

تذكروا يوم تطير الصحف[١٥]، فآخذ كتابه بيمينه كتاب سعادة لا شقاء بعده أبداً.

تذكروا عباد الله يوم تمرون على الصراط وهو على متن جهنم، فمنكم من يمشي كالريح، ومنكم من يمشي كالبصر، ومنكم من يمشي كالفرس، ومنكم من يمشي مشياً، ومنكم من يزحف زحفاً، ومنكم من يحبو حبواً[١٦].

تذكروا يوم تفتح أبوا ب الجنان، فيدخلها محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو أول داخل لها من الأنبياء وأول الأمم دخولاً أمته.

تذكروا يوم ينادي المنادي: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت[١٧]، خذوا من هذه المواقف عبرة وعظة وزاداً ليوم المعاد.

اللهم اجعل حجنا مبروراً وسعينا مشكوراً وذنبنا مغفوراً، اللهم اغفر لجميع موتى المسلمين الذين شهدوا لك بالوحدانية ولنبيك بالرسالة وماتوا على ذلك، اللهم اغفر لهم وارحمهم وعافهم واعف عنهم وأكرم نزلهم ووسع مدخلهم

واغسلهم بالماء والثلج والبرد ونقهم من الذنوب والخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس، ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين، ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين، اللهم اجعل اجتماعنا هذا اجتماعاً مباركاً مرحوماً، واجعل تفرقنا بعده تفرقاً معصوماً، ولا تجعل فينا ولا معنا شقياً ولا محروماً، ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، اللهم وفق إمام المسلمين وولي عهده والنائب الثاني، اللهم أيدهم بنصرك واهدهم لما تحبه وترضاه، إنك على كل شيء قدير.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على سيد ولد آدم وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وعنا معهم برحمتك يا رب العالمين.

الهوامش

(١) سبق تخريج خطبة الحاجة في خطبة عام (١٤٠٢هـ)، الهامش (١).

(٢) هذا قول الحسن البصري، أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ٦/ ١٦٣، ٧/ ١٨٩، وبنحوه أخرج البيهقي في شعب الإيمان ١/ ٨٠، باب: القول في زيادة الإيمان ونقصانه، وتفاضل أهل الإيمان في إيمانهم، ح(٣٠٣٥١).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده ١/ ٤٣٥، والنسائي في السنن الكبرىٰ ٦/ ٣٤٣، قوله تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً﴾، ح(١١١٧٤)، والدارمي في سننه ١/ ٧٨، في المقدمة، باب: في كراهية أخذ الرأي، ح(٢٠٢)، والحاكم في المستدرك ٢/ ٢٦١، كتاب: التفسير، ح(٢٩٣٨)، وابن حبان في صحيحه ١/ ١٨٠، باب: ما جاء في الابتداء بحمد الله تعالىٰ، ح(٦).

(٤) أخرجه النسائي في السنن الكبرىٰ، والبيهقي في السنن الكبرىٰ، وأصله عند مسلم في صحيحه، وسبق تخريجه في خطبة عام (١٤٠٢هـ)، الهامش (٩).

(٥) جاء هذا في الحديث الذي أخرجه مسلم في صحيحه ٢/ ٨٩٠، كتاب: الحج، باب: حجة النبي صلىٰ الله عليه وسلم، ح(٢١٣٧)، ولفظه: **«وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به: كتاب الله»**.

(٦) أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما، وسبق تخريجه في خطبة عام (١٤٠٥هـ) الهامش (١٤).

(٧) أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما، وسبق تخريجه في خطبة عام

(١٤٠٢هـ)، الهامش (١٣).

(٨) أخرجه مسلم في صحيحه ٢/ ٨٩٣، كتاب: الحج، باب: ما جاء أن عرفة كلها موقف، ح(١٢١٨).

(٩) أخرجه أحمد في مسنده، وابن خزيمة في صحيحه، والبيهقي في السنن الكبرىٰ، وسبق تخريجه في خطبة عام (١٤٠٥هـ)، الهامش (١٢).

(١٠) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: العلم، باب: الفتيا وهو واقف علىٰ الدابة وغيرها، (فتح الباري ١/ ١٢٤، ح ٨٣)، ومسلم في صحيحه ٢/ ٩٤٨، كتاب: الحج، باب: من حلق قبل النحر أو نحر قبل الرمي، ح(١٣٠٦).

(١١) أخرجه مسلم في صحيحه، وسبق تخريجه في خطبة عام (١٤٠٤هـ)، الهامش (١٠).

(١٢) أخرجه أحمد في مسنده ٢/ ٢٢٤، والحاكم في المستدرك ١/ ٦٣٦، أول كتاب: المناسك، ح(١٧٠٨)، وابن حبان في صحيحه ٩/ ١٦٣، باب: ذكر مباهاة الله جل وعلا ملائكته بالحاج عند وقوفهم بعرفات، ح(٣٨٥٢)، وابن خزيمة في صحيحه ٤/ ٢٦٣، كتاب: الحج، باب: تباهي الله أهل السماء بأهل عرفات، ح(٢٨٣٩)، والبيهقي في السنن الكبرىٰ ٥/ ٥٨، كتاب: الحج، باب: الحاج أشعث أغبر فلا يدهن رأسه ولحيته بعد الإحرام، ح(٨٨٩١)، واللفظ لأحمد.

(١٣) جاء ذلك في الحديث الذي أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢١٩٦، كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: في صفة يوم القيامة..، ح(٢٨٦٤)، ولفظه: عن المقداد بن الأسود قال: سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول: «**تدنى الشمس يوم القيامة من الخلق حتى**

تكون منهم كمقدار ميل»، قال سليم بن عامر: فوالله ما أدري ما يعني بالميل، أمسافة الأرض، أم الميل الذي تكتحل به العينن، قال: «**فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق، فمنهم من يكون إلى كعبيه، ومنهم من يكون إلى ركبتيه، ومنهم من يكون إلى حقويه، ومنهم من يلجمه العرق إلجاماً**».

(١٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الرقاق، باب: كيف الحشر، (فتح الباري ١١/ ٤٥٩، ح ٦٥٢٧)، ومسلم في صحيحه، كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة، ح(٢٨٥٩)، واللفظ المذكور للبخاري.

(١٥) أخرجه الترمذي في سننه ٤/ ٦١٧، كتاب: صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب: ما جاء في العرض، ح(٢٤٢٥)، وابن ماجه في سننه ٢/ ١٤٣٠، كتاب: الزهد، باب: ذكر البعث، ح(٤٢٧٧)، وأحمد في مسنده ٤/ ٤١٤، ولفظ الجميع: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات، فأما عرضتان فجدال ومعاذير، وأما العرضة الثالثة فعند ذلك تطير الصحف في الأيدي، فآخذ بيمينه وآخذ بشماله**».

(١٦) أصل ذلك في صحيح مسلم ١/ ١٨٧، كتاب: الإيمان، باب: أدنى أهل الجنة منزلة فيها، ح(١٩٥).

(١٧) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: تفسير القرآن، باب: قوله: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ﴾، (فتح الباري ٨/ ٥٤٧، ح ٤٧٣٠).

خطبة عام «١٤٠٧» الهجري

السَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ.

إِنَّ الْحَمْدَ للهِ نَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا فَمَن يَهْدِهِ اللهُ فَلا مُضِلَّ لَهُ وَمَن يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ[1].

أما بعد:

أيها الناس.. اتقوا الله تعالى حق التقوى، اتقوه تعالى بفعل ما أمركم بفعله، والابتعاد عما نهاكم عنه؛ لتكونوا متقين لله حقاً.

أيها المسلمون.. إن المؤمن الذي استنار بالإيمان قلبه، وانشرح بالإسلام صدره، ورزقه الله نوراً يميز به بين الحق والباطل، بين الهدى والضلال، يرى تلك نعمة عظيمة من الله عليه، وتلكم النعمة تحتاج إلى شكر الله، فالشكر لله سببٌ لدوام النعم واستقرارها، ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ۝﴾ [إبراهيم:٧].

وهو أيضاً يرى عليه واجباً أن يبصّر إخوانه المسلمين، ويهديهم طريق الله المستقيم؛ ليستنقذ إخوانه من ظلمات الجهل والضلال إلى نور العلم والهدى.

أمة الإسلام.. إن الدعوة إلى الله سبيل أنبياء الله ورسله والتابعين لهم بإحسان، ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى

الدعاة إلى الله ورثة الأنبياء والمرسلين

وَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [يوسف:١٠٨]، فالدعاة إلى الإسلام ورثة الأنبياء والمرسلين، أهّلهم الله لذلك الفضل العظيم والشرف الكبير، إن الداعي إلى الله أحسن الناس قولاً. ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [فصلت:٣٣]، إن الداعي إلى الله سائر على الطريق المستقيم، مساهم في حماية أمة الإسلام، وإنقاذها من مسالك الهلاك، يحميها بتبصيرها الحق وتحذيرها من سبل الباطل.

أيها الداعي إلى الله.. سِرْ على طريقك في الخير والهدى، واعلم أن لك أجراً مثل أجر من انتفع بدعوتك واقتدى بهديك إلى يوم القيامة. قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«من دعا إلى هُدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً»**[٢].

صفات الداعي إلى الله تعالى

دعاة الإسلام.. إن الداعي إلى الله لابد أن تتوفر فيه أمور مهمة، فإن توفرت فيه تلكم الأمور صار ذلك سبباً بتوفيق الله في انتفاع الناس بدعوته، وقبولهم لها وإصغائهم إليها.

من صفات الداعي إلى الله: الإخلاص في دعوته

فلا بد أولاً من الإخلاص لله، وأن يكون الداعي إلى الله صادقاً في دعوته، مخلصاً لله في دعوته، فلا تكون دعوته إلى هوى نفسه، وحظوظها وشهواتها، ولكنها دعوة مباركة، صادرة من قلب خالص، يرحم عباد الله ويشفق عليهم، ويحب الخير والصلاح لهم، كم من مُظْهِر أنه داع إلى الله، وهو يدعو إلى هوى نفسه وحظوظها، كم دعاة انتسبوا للدعوة إلى الإسلام، وهم يدعون لأنفسهم

وأغراضهم وأهوائهم، ودعواتهم مشبوهة، إنما هي دعوات لأغراض دنيوية، لأحزاب، أو معارضات، أو مزاحمات في سلطة، وغير ذلك، فتكون تلك الدعوات فاشلة؛ لأنها تفقد الإخلاص لله والصدق مع الله، إنما هي عصبية حزبية، أو دعوات سياسية، ليس مقصودها الدعوة إلى الله ونصرة دين الله.

من صفات الداعي إلى الله: العلم بحقيقة ما يدعو إليه

أمة الإسلام.. ولابد في الداعي إلى الله من أن يكون على علم بحقيقة ما يدعو إليه؛ فإن من دعا إلى الله على غير هدى، على جهل وضلال، فما يفسد أكثر مما يصلح، لا بد من علم بحقيقة الدعوة؛ حتى تكون الدعوة منطلقة على بصيرة من الله، فإن كان الداعي جاهلاً بحقيقة ما يدعو إليه، ففساده أكثر من صلاحه.

من صفات الداعي إلى الله: موافقة القول والعمل

ولابد في الداعي إلى الله من أن يكون عمله موافقاً لقوله، فتكون أعماله مصدّقة لأقواله فإن لم تطابق الأعمالُ الأقوالَ لم يثق الناس بدعوته، ولم يطمئنوا إليه، بل رأوه متناقضاً فيما يعمل ويقول، ولذا قال الله مخبراً عن نبيه شعيب عليه السلام أنه قال لقومه: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ﴾ [هود:٨٨]، وذم الله اليهود لَمَّا خالفتْ أعمالُهم أقوالَهم، ﴿۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [البقرة:٤٤]، وعاتب الله أهل الإيمان بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾﴾ [الصف:٢، ٣].

ولابد في الداعي إلى الله من أن يكون على بصيرة في دعوته، وأن يعرف

اختلاف الناس واختلاف عقولهم وأفكارهم وتصوراتهم، فيخاطب كل فئة بما يتناسب مع وضعها وحالها؛ حتى تكون لدعوته آثار حسنة، ولذا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لمعاذ لما وجّهه داعياً: «إنك ستأتي قوماً أهل كتاب»[٣]، يبين له حال من يدعوهم ليستعدّ لمناظرتهم ومجادلتهم.

دعاة الإسلام.. إن سيدَ الدعاة وإمامَهم وأفضلَهم محمدُ بن عبدالله سيدُ الأولين والآخرين وإمامُ المتقين وقائدُ الغرّ المحجلين خيرُ أنبياء الله وخاتمُ رسله صلوات الله وسلامه عليه أبداً دائماً إلى يوم الدين، فخُذُوا من سيرته منهجاً لدعوتكم، اسلكوا طريقه وسيروا على منهجه في دعوتكم؛ لتفوزوا بالسعادة في الدنيا والآخرة، فإن خيرَ المنهج منهجُه، وأفضلَ السبل سبيلُه الذي سار عليه.

بعثه الله على حين فترة من الرسل واندراس من العلم والهدى، بعثه برسالة شاملة عامة لجميع الخلائق، واختار لمبعثه أم القرى شرفها الله، فابتدأ بدعوته قومه الأميين من العرب.

دعاهم إلى إخلاص الدين لله، وترك ما كانوا عليه من عبادة غير الله، ومن الإشراك بالله، وترك ما كانوا عليه من اتخاذ الوسائط والشفعاء الذين يزعمون بجهلهم أنها تقربهم إلى الله زلفى.

عرض دعوته وأعلنها صريحة واضحة: من يؤويني حتى أبلغ رسالة ربي وله الجنة؟[٤]، دعوة صريحة واضحة في منهجها، ليست دعوات مضللة لها وجه ظاهر ووجه باطن خفي وخفاء، بل هي واضحة في منهجها وأسلوبها، يعرفها كل

من سمعها، دعا إلى الله فناله الأذى من قومه، آذوه وآذوا أتباعه وهو صابر محتسب متحمل الأذى في ذات الله، وحين اشتد به الألم وضاقت به الدنيا يوم أحد قال: «رب اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون»(٥)، يستأذنه ملك الجبال أن يطبق عليه أخشبي مكة ويقول: «بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً»(٦)، يأمره الله بالصبر والثبات ويقص عليه أنباء المرسلين، ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ﴾ [هود: ١٢٠].

بدأ قومه بالدعوة إلى التوحيد بتصحيح العقيدة، وتثبيتها في النفوس وتطهيرها من أدران الشرك والوثنية.

فيا دعاة الإسلام.. خذوا من منهجه منهجاً لكم في دعوتكم، اجعلوا الدعوة إلى عقيدة التوحيد أهم أموركم وغاية مرادكم، صحّحوا العقيدة وخلّصوها من جميع الشوائب، حذّروا الأمة مما وقع فيها من بدع وضلالات وجهالات، انشروا العقيدة الصحيحة فهي الأصل في مبدأ كل دعوة نافعة، اجعلوا الاهتمام بهذا المبدأ السليم، فبثّوا العقيدة واغرسوها في النفوس وحبّبوهم إليها، تحمّلوا كل الأذى في ذات الله، وليكن غايتكم نصح عباد الله وإرشادهم واستنقاذهم من الجهالات والضلالات.

دعاة الإسلام.. احذروا الدعوات المضللة والأفكار الهدامة، التي تستّر بها أعداء الإسلام خداعاً وتضليلاً، والله يعلم أن الإسلام منهم بريء، تظاهروا بالإسلام في دعواتهم، وإذا تأمّل المسلم البسيط تلك الدعوات رآها جهالات

وضلالات وخداعاً للأمة وتضليلاً لها؛ ذلك أن أرباب هذه الدعوات لهم علاقة قوية بأعداء الإسلام، أعداءُ الإسلام يرسمون لهم الطريق ويخطّطون لهم المخطّطات؛ ليضربوا أهل الإسلام بعضهم ببعض، اتخذوا دعاة الضلالة جسراً يعبرون عليه لنيل أغراضهم وأهوائهم، ﴿وَإِن يَقُولُواْ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ﴾ [المنافقون: ٤]، ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ۝ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ۝﴾ [البقرة: ٢٠٤، ٢٠٥].

احذروا أربابَ هذه الدعوات المضللة، فهم خطر على الإسلام وأهله، وهم بلاء في جسم الأمة الإسلامية، إن تظاهروا بالإسلام فإنما هو الخداع والتضليل.

ولكم في قصة أهل مسجد الضرار عبرة وعظة، قوم من المنافقين تظاهروا بالإسلام، وبنوا معقلاً للكفر والضلال وسألوا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يصلي فيه ليكتسب الفضل والكرامة، ورسول الله لا يعلم ما في الغيب، فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن رجعنا من تبوك صلينا فيه إن شاء الله»، فلما قرب من المدينة راجعاً أخبره الله تعالى أن هذا مسجد ضرار، وأنه معقل الكفر والضلال وإن تظاهر أهله بالإسلام(٧)، ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ﴾ إلى أن قال: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝﴾ [التوبة: ١٠٨، ١٠٩]، اتخذوه في صورة مسجد وهو معقل للكفر والضلال، وهكذا أرباب الدعوات

المضللة وإن تظاهروا بالإسلام خداعاً فهم أعداؤه وخصومه الألداء، فكونوا على حذر من هؤلاء وهؤلاء؛ لتسلم عقيدتكم ويسلم اتجاهكم.

حجاج بيت الله الحرام.. اشكروا الله على نعمته إذ بلّغكم الوصول إلى بيته الحرام، ومكّنكم من الوقوف في تلكم المشاعر المقدسة، وهيّأ لكم الوصول إليها، فوصلتم آمنين مطمئنين، فاعلموا أن تلك نعمة من نعم الله عليكم، وفضل من الله عليكم، فاشكروه على نعمته، واتخذوا من الحج نقطة تحول في سلوككم وأعمالكم، ليكنْ حجّكم إلى بيت الله نقطة تحوّل في سلوككم وأعمالكم، لتصحّحوا أوضاعكم وتقيموا ما اعوج من أخلاقكم، يقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«من حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه»**(٨).

فيا أيها المسلمون.. أنتم في بلد الله الأمين، أنتم في هذه الأماكن المقدسة، عظّموها كما عظّمها الله ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾ [الحج: ٣٢]، عظّموا هذه المشاعر؛ فإنها أماكن لعبادة الله وإخلاص الدين لله، يلتقي فيها المسلمون على طاعة الله، يلتقون فيها على بساط المحبة والمودة، أمة جمعتهم رابطة الإيمان ووحّدتهم أخوة الإسلام، ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠].

حجاج بيت الله الحرام.. أيها المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها.. إن الله اختار البلد الأمين وفضّله على سائر بقاع الأرض، عهد ببنائه لنبيه إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، أقام قواعده على توحيد الله وإخلاص الدين لله، دعا الخليلُ ربه بعد بنائه قائلاً: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾

[البقرة:١٢٦]، فاستجاب الله لدعوته وجعل هذا البلد بلداً آمناً، قال الله جل جلاله: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ [آل عمران:٩٧].

إن احترام البيت الحرام مستقرٌ في نفوس أهل الإيمان، بل أهل الجاهلية في جاهليتهم وعلى كفرهم وضلالهم يعظمون بيت الله ويحترمون أمنه وطمأنينته، ويرون من أخلَّ فيه بأمنه فإنه عاصٍ ومرتكب خطأ كبيراً، فجاء الإسلام فزاد ذلك تعظيماً وتأكيداً، قال الله جل جلاله ممتناً على سكان بيته الحرام: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ [العنكبوت:٦٧]، فكان العرب يحترمون سكان بيت الله، يحترمونهم ويعظّمونهم، ويرون لهذا البيت حرمته وأمنه ومكانته.

جاء محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عام ستٍ من الهجرة معتمراً، فصده كفار قريش عن مراده، وبايعه المسلمون على الموت ومنازلة الكفار، ولكن حكمة الله أبت إلا أن يعود محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى يرجع من العام القادم، كل ذلك تعظيماً للبيت؛ حتى لا تسفك فيه الدماء، وحتى تبقى حرمته كما كانت.

جاء النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عام ثمانٍ من الهجرة فاتحاً بيت الله الحرام، ثم قبل الفتح أعلن إعلانه الواضح: **«من أغلق بابه فهو آمن ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن»**(٩)، ثم بعد ذلك في صبيحة اليوم الثاني من الفتح قام في المسلمين خطيباً منوهاً بفضل هذا البيت وأمنه وحرمته، فقال: **«إن مكة حرّمها الله ولم يحرمها الناس فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دماً ولا يعضد بها شجرة، فإنْ أحدٌ ترخص لقتال رسول الله صلى الله عليه**

وسلم فيها ، فقولوا : إن الله قد أذن لرسوله ولم يأذن لكم ، وإنما أذن لي فيها ساعة من نهار ثم عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس ، وليبلغ الشاهد الغائب»(١٠).

هذا البيان النبوي أمام قبائل العرب المختلفة ليبين لهم أن فتحه لبيت الله الحرام لن يحط من قدرهذا البيت، ولن ينقص من شرف هذا البيت بل شرفُه قديم منذ خلق الله السماوات والأرض، حرمتُه قديمة، وستظل باقية إلى قيام الساعة... وأهل البيت محترمون له.

أمة الإسلام.. أين الإسلام ممن يحاول بثّ الفوضى بين صفوف الحجيج، أين الإسلام ممن يسعى في سفك دماء المسلمين، أين الإسلام ممن لا يرعى لأهل الإسلام حرمة ولا كرامة، يقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم»(١١)، إن من يريد في هذا البلد الأمين الشر والفساد فسيحيق مكره بنفسه، ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ [فاطر:٤٣].

الإسلام بريء ممن يبث الفوضى في صفوف الحجيج، ويسعى لسفك دماء المسلمين

إن الله جل جلاله يعاقب من همّ بالمعصية في بيته الحرام وإن لم يفعلها، كل المعاصي لا يعاقب عليها إلا بالفعل، إلا الإلحاد في الحرم فمن همَّ فيه بسوء عاقبه الله، ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٢٥﴾ [الحج:٢٥]، إن الله جعله حرماً آمناً؛ ليفد الناس إليه حجاجاً ومعتمرين فيجدوه حرماً آمناً، واحة سلام، ودار أمان كما أراده الله.

والله جل جلاله بفضله وكرمه وجوده وإحسانه منّ في هذه العصور

الأخيرة على هذا البلد الأمين بنعمة سابغة، بنعمة عظيمة، ما عرف التاريخ لها بعد القرون المفضلة مثيلاً، ولا عرف لها نظيراً، منحه الله قيادة حكيمة، ورجالاً مخلصين استرخصوا كل غالٍ ونفيس في سبيل المحافظة على حرمة هذا البيت وأمنه، وفي سبيل راحة الحجاج وتهيئة السبل لهم وتذليل الصعاب لهم بذلوا كل ما يستطيعون عليه، وهم سائرون على هذا الطريق إن شاء الله في كل عام، وبلد الله الأمين يشهد تقدماً وعمراناً ونهضة وخدمات متواصلة، ما يمضي عام إلا والذي بعده خير منه، كل ذلك من فضل الله وكرمه؛ لأن هذه القيادة تؤمن بأن هذا واجب إسلامي عليها، وأن الله شرفها بخدمة هذا البلد الأمين ومنّ عليها بذلك، فهي ترعى حرمة المسلمين وأمنهم واطمئنانهم، وتسعى جاهدة في تأمين سبيل الحجاج، والواقع شاهدٌ على ذلك.

إن كل مسلم زار بيت الله وأدى شعائر الحج يرى هذا البلد الأمين آمناً مطمئناً موفراً به كل خير، مهيأة فيه السبل، مفتوحة أبوابه للحجاج والمعتمرين على مدار العام، هذه نعم من الله لا يجحدها أو يخفيها إلا حاقد مريض، لكن الحقائق لابد أن تنطق، كل من زار البلد الأمين وجده آمناً مطمئناً، ووجد كل ما يحتاج الحجاج إليه موفراً لهم أحسن ما يكون، فجزاهم الله عن الإسلام والمسلمين خيراً، ووفقهم لصالح الأعمال، وجعلهم قادة مخلصين، أنصاراً لدين الله وأعواناً للحق والهدى.

حجاج بيت الله الحرام.. أقبلوا على طاعة الله، وأخلصوا لله حجكم وأعمالكم واحذروا السماع والإصغاء للمضللين.

نهي الله عن اتخاذ الحج منبراً للفخر بالأنساب والأحساب

إن الله جل جلاله عاتب العرب ونهاهم أن يتخذوا الحج منبراً للفخر بأحسابهم وأنسابهم، وحذرهم من ذلك وأمرهم بلزوم ذكره، ﴿فَإِذَآ أَفَضۡتُم مِّنۡ عَرَفَٰتٖ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلۡمَشۡعَرِ ٱلۡحَرَامِۖ وَٱذۡكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمۡ وَإِن كُنتُم مِّن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ١٩٨﴾ [البقرة:١٩٨].

بيان صفة حج النبي صلى الله عليه وسلم

حجاج بيت الله الحرام.. محمد بن عبد الله صَلَّى اللهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ حج حجة واحدة هي حجة الوداع، وهي الحجة الوحيدة له بعد مهاجره صَلَّى اللهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، أذّن صَلَّى اللهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ في الناس قائلاً: إني حاجٌ، فأمّ المدينة بشر كثير كلهم يريد الاقتداء به والتأسي به، فسار في طريقه من المدينة إلى مكة شرفها الله والناس عن يمينه وشماله وخلفه وأمامه مدّ البصر، كل يلتمس الاقتداء به والتأسي به، والوحي ينزل عليه وما عمل به النبي صَلَّى اللهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ عمل الناس بمثل ما عمل.

سلك الطريق الذي سلكه الأنبياء قبله، فمرّ بفجّ الروحاء فقال: «والذي نفسي بيده ليُهلنّ ابنُ مريم بفجّ الروحاء حاجاً أو معتمراً أو ليثنينهما»(١٢)، مرّ بعسفان فقال: كأني بهودٍ وصالح على بكرين أحمرين متزري العباء مرتدي النمار يحجان هذا البيت العتيق(١٣).

وَصَلَ صَلَّى اللهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ مكة المكرمة منشأه ومبدأ دعوته فوجد الحرم البلد الأمين طاهراً من الشرك، طاهراً من أخلاق الجاهلية، فطاف به صَلَّى اللهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، وخرجت العواتق وذوات الخدور(١٤)، كل يرتقب لينظر إليه وينظر

كيف يعمل، فكمّل حجه راكباً ليراه الناس صلوات الله وسلامه عليه[١٥].

سعى بين الصفا والمروة، أتى إلى منى، ثم أتى إلى عرفة، فخطب في بطن هذا المكان العظيم خطبة عظيمة أعلم الناس فيها قواعد الإسلام، وأعلمهم كيف يتعاملون، وأعلمهم حقوق الإنسان الصحيحة التي جاء بها الإسلام، وأعلمهم نظام الأسرة الصحيحة الذي جاء به الإسلام، وأبطل مآثر الجاهلية، وحرم الظلم في الأموال والدماء والأعراض[١٦].

ثم وقف بعرفة صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو يقول: «وقفت هاهنا وعرفة كلها موقف»[١٧]. وقف موقف الذليل الفقير إلى ربه، الراجي عفوه، الخائف من عقابه، انصرف بعد غروب الشمس إلى مزدلفة مع الناس وهو يقول لهم: «السكينة السكينة»[١٨]. أتى منى فلقط الجمار وقال لهم: «إياكم والغلو في الدين، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلوُ في الدين»[١٩].

خطبهم يوم النحر وأعلمهم مناسك حجهم، وأمرهم باحترام الدماء والأموال والأعراض، ثم إنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كمل مناسك حجه ثم عاد إلى المدينة ليوفي إلى أهل المدينة حقهم فقال لهم: «المحيا محياكم والممات مماتكم»[٢٠]. فصلوات الله وسلامه عليه.

إن المسلم وهو يؤدي مناسك الحج يتذكر سنة النبي محمدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويتأسى به ويترسم خطاه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قدوة المسلمين وأسوتهم في جميع أقوالهم وأفعالهم.

فضل يوم عرفة

حجاج بيت الله الحرام.. هذا يوم عرفة من أفضل أيام الله، قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبداً من النار من يوم عرفة، وإنه ليدنو ثم يباهي بهم الملائكة فيقول: ما أراد هؤلاء؟»(٢١)، وقال: «ما رئي الشيطان يوماً هو فيه أصغر ولا أدحر ولا أحقر ولا أغيظ منه في يوم عرفة، وما ذاك إلا لما رأى من تنزّل الرحمة وتجاوز الله عن الذنوب العظام»(٢٢). إذا كان يوم عرفة إن الله ينزل إلى السماء فيباهي بكم الملائكة(٢٣)، فأروا الله من أنفسكم خيراً.

أخلصوا إلى الله أعمالكم، احفظوا جوارحكم من كل سوء، تضرعوا بين يدي ربكم وأسألوه مغفرة ذنوبكم وحط خطاياكم وأوزاركم.

بيان أعمال يوم عرفة وبقية أعمال الحج

قفوا بعرفة إلى غروب الشمس، ولا تنصرفوا منها إلا بعد غروب الشمس، وتأكدوا من حدود عرفة، تأكدوا منها فلها أعلام واضحة، انصرفوا إلى مزدلفة بعد غروب الشمس وصلّوا بها المغرب والعشاء جمعاً وقصراً، وللعاجز أن يدفع منها بعد نصف الليل، ومن كان قادراً يبقى فيها إلى بعد صلاة الفجر، ثم أفيضوا إلى منى وارموا جمرة العقبة، وانحروا هديكم إن كنتم متمتعين أو قارنين، واحلقوا رؤوسكم أو قصروها، والحلق أفضل، ثم أفيضوا إلى البيت وطوفوا طواف الحج، واسعوا بين الصفا والمروة إن كنتم متمتعين، فإن كنتم قارنين أو مفردين ولم تسعوا مع طواف القدوم فاسعوا مع طواف الإفاضة، ارموا الجمار في اليوم الحادي عشر واليوم الثاني عشر، ثم ودعوا بيت الله الحرام، وقد أكمل الله لكم نسككم، وأتم عليكم نعمته.

حجاج بيت الله الحرام.. إن هذه البلاد المقدسة تعيش في أمن وطمأنينة وسلامة ونعمة، في ارتباط وثيق بين قادتها ومواطنيها، جمعهم الله على الإسلام، فهم متعاونون على الحق والهدى، بلد أمَّنها الله من كل مكروه بفضله وكرمه، ووفَّر لها النعم، وهيأ لها أسباب الخير نتيجة لإقامة حدود الله وتنفيذ شرع الله، وآثارُ الإسلام لاشك حميدة على النفوس والبلدان.

إن ما حصل على المسلمين من نقصٍ وضرر وبلاء فإنما سببه التخلف عن الإسلام والبعد عن أحكامه.

فيا قادة المسلمين.. اتقوا الله في أنفسكم وشعوبكم، اعملوا بشرع الله، واجعلوا نظمكم وقوانينكم على طبق ما دل عليه كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لتعيشوا أنتم وشعوبكم في أمن وطمأنينة، ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَـٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَـٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَـٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الأعراف:٩٦].

أمة الإسلام.. إن الله جعل الموت نهاية كل حي، وأخبر أن كل حي فمآله ولابد إلى الموت، قال الله لآدم عليه السلام: ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَـٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾﴾ [البقرة:٣٦]، وأخبر أن الموت مصير كل حي، ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَـٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأنبياء:٣٤، ٣٥]، فإذا علمت أيها المسلم ذلك، فكن مستعداً للقاء الله، متذكراً هذا المصرع العظيم في كل آن وحين، عسى أن يكون معيناً لك على التزود من صالح الأعمال.

تذكر أيها المسلم ساعة مفارقتك لهذه الدنيا، ساعة نزول ملك الموت بك واقتراب أجلك، حولك أهلك وذووك لا يستطيعون أن يدفعوا عنك سوءاً ولا يؤخروك يوماً، تعاني ما لا يعلمون ولا يدور في أفكارهم، ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [الواقعة: ٨٥].

تذكر أيها المسلم مفارقتك لهذه الدنيا، وتذكر أن المؤمنين في تلك اللحظة يعيشون سعادة وراحة تبشرهم ملائكة الرحمن، ﴿أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [فصلت: ٣٠، ٣١]، يمثَّل له مقعدُه في الجنة فيراه قبل أن يفارق فراشه، فيحب لقاء الله فيحب الله لقاءه، وأما الكافر فإنه يمثل له مقعده من النار فيكره لقاء الله فيكره الله لقاءه[٢٤]، ولابد له من الموت، فتذكروا هذه الأمور عسى أن تكون سبباً لصلاح قلوبكم واستقامة أحوالكم، تذكروا ما بعد الموت، تذكروا العظيمتين الجنة والنار، مآل المتقين ومآل الفجار، وليكن تذكّركم لها دائماً؛ عسى أن تكون هادية لكم إلى الخير، وسبباً في استقامة القلوب والأعمال.

اللهم وفق المسلمين لما يرضيك، اللهم اغفر لجميع موتى المسلمين الذين شهدوا لك بالوحدانية ولنبيك بالرسالة وماتوا على ذلك، اللهم اغفر لهم وارحمهم وعافهم واعف عنهم وأكرم نزلهم ووسع مدخلهم واغسلهم بالماء والثلج والبرد ونقهم من الذنوب والخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر: ١٠]، اللهم آمنا في أوطاننا وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، ووفقهم لما فيه صلاح الإسلام والمسلمين، اللهم

يمثل للمسلم عند احتضاره مقعده في الجنة، والكافر مقعده من النار

أصلح ولاة المسلمين عامة ودلَّهم على كل خير وهدى، ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾﴾ [البقرة: ٢٠١].

عباد الله، إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون، فاذكروا الله العلي العظيم يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون.

الهوامش

(١) سبق تخريجه في خطبة عام (١٤٠٢هـ)، الهامش (١).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢٠٦٠، كتاب: العلم، باب: من سن سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلالة، ح(٢٦٧٤).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الزكاة، باب: أخذ الصدقة من الأغنياء وترد على الفقراء حيث كانوا، (فتح الباري ٣/ ٤٥٥، ح ١٤٩٦)، ومسلم بنحوه في صحيحه ١/ ٥٠، كتاب: الإيمان، باب: الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام، ح(١٩).

(٤) جاء ذلك في الحديث الذي أخرجه أحمد في مسنده ٣/ ٣٣٩، عن جابر رضي الله عنه قال: مكث رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة عشر سنين يتبع الناس في منازلهم بعكاظ ومجنة وفي المواسم بمنى يقول: «**من يؤويني من ينصرني حتى أبلغ رسالة ربي وله الجنة**»، حتى إن الرجل ليخرج من اليمن أو من مضر -كذا قال- فيأتيه قومه فيقولون: احذر غلام قريش لا يفتنك، ويمشي بين رجالهم وهم يشيرون إليه بالأصابع حتى بعثنا الله إليه من يثرب فآويناه وصدقناه، فيخرج الرجل منا فيؤمن به ويقرئه القرآن فينقلب إلى أهله فيسلمون بإسلامه، حتى لم يبق دار من دور الأنصار إلا وفيها رهط من المسلمين يظهرون الإسلام، ثم ائتمروا جميعاً فقلنا: حتى متى نترك رسول الله صلى الله عليه وسلم يطرد في جبال مكة ويخاف؟ فرحل إليه منا سبعون رجلاً حتى قدموا عليه في الموسم، فواعدناه شعب العقبة، فاجتمعنا عليه من رجل ورجلين حتى توافينا، فقلنا: يا رسول الله، نبايعك، قال: «**تبايعوني على**

السمع والطاعة في النشاط والكسل والنفقة في العسر واليسر وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأن تقولوا في الله لا تخافون في الله لومة لائم وعلى أن تنصروني فتمنعوني إذا قدمت عليكم مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم ولكم الجنة»، قال: فقمنا إليه فبايعناه...

وأخرجه أيضاً ابن حبان في صحيحه ١٥/ ٤٧٥، ح(٧٠١٢)، والبيهقي في السنن الكبرىٰ ٨/ ١٤٦، كتاب: قتال أهل البغي، باب: كيفية البيعة، ح(١٦٣٣٣).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الأنبياء، حديث الغار، (فتح الباري ٦/ ٦٣٧، ح ٣٤٧٧)، ومسلم في صحيحه ، كتاب: الجهاد والسير، باب: غزوة أحد، ح(١٧٩٢)، ولفظه عن عبد الله قال: «كأني أنظر إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يحكي نبياً من الأنبياء ضربه قومه وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول...» الحديث، قال النووي في شرح صحيح مسلم (١٢/ ٣٦١): (وهذا النبي المشار إليه من المتقدمين، وقد جرىٰ لنبينا صلىٰ الله عليه وسلم مثل هذا يوم أحد).

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: بدء الخلق، ذكر الملائكة، (فتح الباري ٦/ ٣٨٤، ح ٣٢٣١)، ومسلم في صحيحه ٣/ ١٤٢٠، كتاب: الجهاد والسير، باب: ما لقي النبي صلىٰ الله عليه وسلم من أذىٰ المشركين والمنافقين، ح(١٧٩٥).

(٧) قصة مسجد الضرار أخرجها الطبري في تفسيره ١١/ ٢٣ من طرق في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَاراً﴾.

(٨) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الحج، باب: فضل الحج المبرور، (فتح الباري ٣/ ٤٨٧، ح ١٥٢١)، ومسلم في صحيحه ٢/ ٩٨٣،

كتاب: الحج، باب: فضل الحج المبرور، ح(١٣٥٠)، واللفظ للبخاري.

(٩) أخرجه أبو داود في سننه ٣/ ١٦٢، كتاب: الخراج والإمارة والفيء، باب: ما جاء في خبر مكة، ح(٣٠٢٢)، وأحمد في مسنده ٢/ ٢٩٢، وأصله في صحيح مسلم ٣/ ١٤٠٦ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، كتاب: الجهاد والسير، باب: فتح مكة، ح(١٧٨٠).

(١٠) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: العلم، باب: ليبلغ العلم الشاهد الغائب، (فتح الباري ١/ ٢٦٣، ح ١٠٤)، ومسلم في صحيحه ٢/ ٩٨٧، كتاب: الحج، باب: تحريم مكة وصيدها وخلاها وشجرها ولقطتها إلا لمنشد على الدوام، ح(١٣٥٤).

(١١) أخرجه الترمذي في سننه ٥/ ١٧، كتاب: الإيمان، باب: ما جاء في أن المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، ح(٢٦٢٧)، والنسائي في سننه ٨/ ١٠٤، كتاب: الإيمان وشرائعه، باب: صفة المؤمن، ح(٤٩٩٥)، وأحمد في مسنده ٢/ ٣٧٩، وأصله في البخاري، (فتح الباري ١/ ٧٣، ح ١٠)، ومسلم ١/ ٦٥، ح(٤١) بدون ذكر: **«والمؤمن من أمنه الناس...»**.

(١٢) أخرجه مسلم في صحيحه ٢/ ٩١٥، كتاب: الحج، باب: إهلال النبي صلى الله عليه وسلم وهديه، ح(١٢٥٢).

(١٣) أخرجه أحمد في مسنده ١/ ٢٣٢، ولفظه: عن ابن عباس قال لما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بوادي عسفان حين حج قال: **«يا أبا بكر، أي واد هذا؟»** قال: وادي عسفان، قال: **«لقد مرّ به هود وصالح على بكرات حمر خطمها الليف، أزرهم العباء، وأرديتهم النمار، يلبون يحجون البيت العتيق»**.

(١٤) جـاء ذلك في الحـديث الـذي أخـرجه مـسلم فـي صحيحه ٢/ ٩٢١، كتاب: الحج، بـاب: استحباب: الرمل في الطواف والعمرة وفي الطواف الأول من الحج، ح(١٢٦٤).

(١٥) صفة حجـة النبي صلى الله عليه وسلم أخـرجها البخـاري ومسلم في صحيحيهما، وسبق تخريجها في خطبة عام (١٤٠٢هـ) الهامش (١٤).

(١٦) أخـرج هذه الخطبة البخـاري ومسلم في صحيحيهمـا، وسبق تخريجها في خطبة عام (١٤٠٢هـ)، الهامش (١١).

(١٧) أخرجه مسـلم في صحيحه، وسبق تخريجـه في خطبة عام (١٤٠٦هـ)، الهامش (٨).

(١٨) جزء من حديث جابر الطويل في صفة حجة النبي صلى الله عليه وسلم الـذي أخـرجه مـسلم فـي صحيـحه، وسبق تخـريجه في خـطبـة عـام (١٤٠٤هـ)، الهامش (١٦).

(١٩) أخرجه النسائي في سنـنه، وابن ماجه في سننه، ح(٣٠٢٩)، وأحمد في مسنده، وسبق تخريجه في خطبة عام (١٤٠٥هـ)، الهامش (٥).

(٢٠) أخـرجه النـسـائـي في الـسنـن الـكبرى ٦/ ٣٨٢، سـورة الإسـراء، ح(١١٢٩٨)، وابـن حبان في صحـيحه ١١/ ٥٧، ح(٤٧٦٠)، والبيهقي في السنن الكبرى ٩/ ١١٧، باب: فتح مكة حرسها الله، ح(١٨٠٥٢).

(٢١) أخرجه مسـلم في صحيحه، وسبق تخريجـه في خطبة عام (١٤٠٤هـ)، الهامش (١١).

(٢٢) أخرجه مالك في الموطأ، وعبد الرزاق في المصنف، وسبق تخريجه في خطبة عام (١٤٠٢هـ)، الهامش (١٦).

(٢٣) حـديث نزول الله إلـى السمـاء الدنيـا ومباهـاته بالملائكـة أخرجه ابن

خزيمة، وابن حبان في صحيحيهما، وسبق تخريجه في خطبة عام (١٤٠٢هـ)، الهامش (١٥).

(٢٤) جاء ذلك في الحديث الذي أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الرقاق، باب: من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، (فتح الباري ١١/ ٤٣٤، ح ٦٥٠٧)، ومسلم في صحيحه ٤/ ٢٠٦٥، كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه، ح(٢٦٨٤)، ولفظ البخاري عن عبادة ابن الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **«من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه»**، قالت عائشة أو بعض أزواجه: إنا لنكره الموت، قال: **«ليس ذاك، ولكن المؤمن إذا حضره الموت بشر برضوان الله وكرامته، فليس شيء أحب إليه مما أمامه، فأحب لقاء الله وأحب الله لقاءه، وإن الكافر إذا حضر بشر بعذاب الله وعقوبته، فليس شيء أكره إليه مما أمامه، كره لقاء الله وكره الله لقاءه»**.

خُطبَة عَام «١٤٠٨» الهجري

السَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ.

إِنَّ الْحَمْدَ لِلهِ نَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ(١).

فضل كلمة التوحيد

كلمة قامت عليها الأرض والسماوات وفطر الله عليها جميع المخلوقات، عليها أسست الملة ونصبت القبلة، ولأجلها جرّدت سيوف الجهاد، وهي أعظم واجب افترضه الله على جميع العباد، وهي فطرة الله التي فطر الناس عليها، ومفتاح عبوديته التي دعا الأمم على ألسنة رسله إليها، فهي كلمة الإسلام ومفتاح دار السلام، وهي أساس الفرض والسنة، ومن كان آخر كلامه من الدنيا لا إله إلا الله دخل الجنة.

معنى شهادة أن محمداً عبده ورسوله، وبيان فضائل النبي صلى الله عليه وسلم

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وخيرته من خلقه وحجته على عباده وأمينه على وحيه، أرسله رحمة للعالمين وقدوة للعاملين وحجة على المعاندين وحسرة على الكافرين، أرسله بالهدى ودين الحق بين يدي الساعة بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، أنعم به على أهل الأرض نعمة لا يستطيعون لها شكوراً، أمدّه بملائكته المقربين وأيده بنصره وبعباده المؤمنين، أنزل عليه كتابه المبين الفارق بين الحق والضلال، والغي والرشاد، والشك واليقين، شرح له صدره، ووضع عنه

وزره، ورفع له ذكره، وألزم الذلة والصغار كلّ من خالف أمره، وسدّ كل الطرق الموصولة إليه وإلى جنته فلم يفتح لها طريقاً إلا من طريقه، افترض على العباد طاعته ومحبته والقيام بحقوقه، فهو الميزان الراجح الذي على أقواله وأخلاقه وأعماله توزن الأخلاق والأقوال والأعمال، وهو الفرقان الذي باتباعه يتميز أهل الهدى من أهل الضلال، أشرقت به الأرض بعد ظلماتها واجتمعت به القلوب بعد شتاتها، فامتلأت به الأرض نوراً وابتهاجاً ودخل الناس في دين الله أفواجاً حتى إذا أكمل الله به الدين وأتم به نعمته على عباده المؤمنين استأثر به فنقله للرفيق الأعلى بعد ما ترك أمته على المحجة البيضاء والطريقة الواضحة الغرَّاء، فصلى الله وملائكته وأنبياؤه وعباده الصالحون على هذا النبي الكريم، كما عبد الله وعرّف بالله ودعا إلى الله، اللهم صلّ وسلّم وبارك على سيد الأولين والآخرين وإمام المتقين وقائد الغرّ المحجلين وسلّم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

الوصية بتقوى الله عز وجل، وأنها سبب لنيل السعادة في الدنيا والآخرة

أيها الناس.. اتقوا الله تعالى حق التقوى، اتقوا ربكم عباد الله بامتثال أمره واجتناب نهيه كما أمركم بذلك؛ لتنالوا السعادة في الدنيا والآخرة، فقد أمركم الله بتقواه وأن تلزموا التقوى إلى أن توافوا ربكم، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران: ١٠٢]، اتقوه حق تقاته والزموا جانب التقوى حتى يوافيكم الأجل وأنتم على هذه الحال.

﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، أمركم الله بأن

تعتصموا بحبله بالتمسك بكتابه وسنة نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهما حبل الله المتين ونوره المبين، وأمركم الله أن تجتمعوا وتتآلفوا عليه؛ فإن القلوب لا يمكن أن تتآلف بغيرهذا الدين، ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [الأنفال:٦٣]، فالاجتماع إنما يكون على هذا الدين الذي يخاطب العقول والفطر السليمة.

أمر الله المؤمنين بالاعتصام بحبل الدين، ويحذر من التفرق والاختلاف

وحذّركم الله من التفرّق والاختلاف فقال: ﴿وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ [آل عمران: ١٠٣]، إن التفرق نتيجة البعد عن الكتاب والسنة فكلما قوي تمسك الأمة بدين الله قوي اجتماعها وعظم تآلفها والتحمت كلمتها وعزّت وعظمت، وكلما تفرقت الأمة كلما ضعف تمسك الأمة بهذا الدين ودبَّ إليها من الفرقة والاختلاف على قدربعدها عن هذا الدين، وذكَّر الله الأمة نعمته عليهم وحالهم قبل الإسلام فقال: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ [آل عمران:١٠٣] بهذا الدين ﴿إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾ [آل عمران:١٠٣]، أجل إنهم قبل الإسلام أعداء، إنهم قبل الإسلام متفرقون، إنهم قبل الإسلام متنازعون تسودهم الفوضى، الحكم للقوة لا للدين والعقل، يأكل القوي الضعيف، ويطغى الظلم والعدوان والفوضى.

جمع الله بالإسلام القلوب، وألف به الكلمة

فجاء الله بالإسلام فجمع به القلوب وألف به الكلمة، ﴿فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾ [آل عمران:١٠٣] بالإسلام أصبحتم إخواناً متحابين متآلفين تجمعكم أخوة الإيمان وتُوحّدكم رابطةُ الإسلام، وقد ذكّر المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ الأوس والخزرج هذه النعمة فقال: «يا معشر الأنصار ألم أجدكم ضلالاً فهداكم اللّه بي، وكنتم متفرّقين فألّفكم اللّه بي، وعالة فأغناكم الله بي»(٢).

إن الرعيل الأول من هذه الأمة الذين عاشوا الجاهلية يعلمون حقيقة ما فيها من ظلم وفساد، وما فيها من فرقة واختلاف، وما منَّ الله عليهم به من هذا الدين الذي جمع قلوبهم ووحّد صفهم وجعلهم كالبنيان المرصوص يشدّ بعضه بعضاً.

أمة الإسلام.. لما هاجر المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى المدينة بأمر الله -بعدما فشا الإسلام بين الأوس والخزرج- وصارت المدينة دار الإسلام، واستقرّ قرار المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بها، وجرت وقعة بدر الكبرى التي أيد الله فيها نبيه وأصحابه وأرغم أنوف أهل الشرك والضلال، دخل في الإسلام فئة من الناس لا رغبة لهم في الإسلام ولا حُبَّ في الإسلام ولكن دخلوا فيه؛ ليحقنوا دماءهم ويحموا أموالهم ويعيشوا بين المسلمين، فمن هنا برزت معضلة النفاق الكبرى، فصار الناس أمام هذا الدين ما بين مؤمن ظاهراً وباطناً، وهم أصحاب محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الكرام الذين آمنوا بقلوبهم وصدقوا بألسنتهم، وظهر أثر ذلك الإيمان على جوارحهم في تصرفاتهم في أقوالهم وأعمالهم، وبين كافر قد استبان كفره وضلاله فهو كافر ظاهراً وباطناً، وفئة أخرى كانوا مع المؤمنين في ظاهرهم ومع الكافرين في باطنهم وهم المنافقون، فتلك البلية العظمى والمصيبة الكبرى، إن الإسلام إنما أصيب على أيدي المنافقين المتربصين بالإسلام وأهله

الدوائر المتظاهرين بالإسلام خداعاً ونفاقاً، المفارقين له حقيقة وباطناً. ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ﴾ [البقرة: ٢٢٠].

ولأجل ذا جاءت نصوص القرآن الكريم توضح أخلاق المنافقين وتبين صفاتهم وتكشف حالهم؛ ليكون المسلم على حذر منهم فلا يغتر ولا ينخدع بهم فيأخذ حذره فلا يغتر بهم وبأباطيلهم، جاءت نصوص القرآن لتبين حالهم وأخبر الله نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قادر أن يوقفه على أعيانهم كلهم ولكن حكمته اقتضت أن تجري الأحكام على الظاهر إلا أنه جل وعلا بين أموراً يستدل بها ذوي البصائر على نفاق المنافقين. ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَـٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَـٰهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَـٰلَكُمْ ۝٣٠﴾ [محمد: ٣٠]، إن كل من أسرَّ بلاءً وفساداً فلا بد أن يتلفظ بلسانه عمَّا أكنَّه قلبه ومن أسرَّ سريرة ألبسه الله رداءها علانية إن خيراً فخيرٌ وإن شراً فشرٌ[٣].

ولقد كان سلفكم الصالح يخافون هذا البلاء على أنفسهم، ويخشون أن يشوب إيمانهم شيء من النفاق؛ لعلمهم بمصير المنافقين المحتوم. ﴿إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥].

هذا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ناشد حذيفة بن اليمان قائلاً: أسألك بالله هل عدّني لك رسول الله من المنافقين؟ فيقول: لا، ولا أزكي أحداً بعدك[٤]. فإذا كان هذا خوف عمر على نفسه مع الإيمان واليقين الصادق، فليحذر كل مسلم أن يكون في إيمانه شيء من النفاق وليحاسب نفسه.

ذكر الله صفات المنافقين وكشف أحوالهم في القرآن ليكون المسلم على حذر منهم

من صفات المنافقين: الإيمان ظاهراً لا باطناً

وقد أوضح الله عــز وجل صفاتهم فبين تعالى أن من صفاتهم: أن إيمانهم ظاهر لا باطن، يقول سبحانه: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾﴾ [البقرة:٨، ٩]، فهم آمنوا في الظاهر وكفروا في الباطن، فقلوبهم على خلاف ما أظهروه.

من صفاتهم: الاستهزاء بأهل الإسلام

ومن صفاتهم: أنهم يصفون أهل الإسلام بأنهم سفهاء العقول، ضعفاء الرأي، قليلو التفكير، وهم في نفس الوقت يرون أنفسهم أهل الرأي الصائب والعقل الراجح، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ﴾ [البقرة:١٣]، مقالة قالها قبلهم قوم نوح لنوح، ﴿وَمَا نَرَىٰكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ﴾ [هود:٢٧].

من صفاتهم: جعل الصلاح فساداً والإفساد صلاحاً

ومن صفات القوم: أنهم يعدون الصلاح والخير فساداً والإفساد والشرّ صلاحاً، فإذا دُعوا إلى التمسك بالحق ولزومه جعلوا ذلك فساداً، والكفر والضلال والباطل صلاحاً، انتكاس في الفطر، وانعكاس في العقول، وانقلاب في الحقائق، يقول الله عز وجل: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ﴾ [فاطر:٨]، ويقول سبحانه: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾﴾ [البقرة:١١، ١٢].

تشابه قلوب المنافقين قديماً وحديثاً

وهذه مقالة قالها فرعون في حق موسى وأتباعه، يقول سبحانه قاصاً خبره: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴿٢٦﴾﴾

[غافر:٢٦]، ومنافقي العصر إذا دُعُوا إلى الخير والهدى وحُذِّروا من إضرار المسلمين ونشر الفتن بين صفوفهم وإعانتهم العدو على الإسلام وأهله قالوا: نحن مصلحون، ونحن ونحن... تشابهت القلوب في الكفر والباطل.

ومن صفات القوم: أنهم إذا دعوا إلى تحكيم شرع الله وتنفيذ أحكام الله العادلة صَدُّوا وانصرفوا وأعرضوا، ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾﴾ [النساء: ٦٠، ٦١]، فنفوسهم تميل إلى أحكام الكفرة، إلى القوانين الجائرة الظالمة التي تبيح لهم المحرمات والفجور وتسمح لهم بالسوء والفساد، أما أحكام الله العادلة المنصفة التي تأخذ حق المظلوم من ظالمه فتلك أحكام لا يقبلونها؛ لما في قلوبهم من عداوة للإسلام وأهله، فإن يكُ في أحكامه موافقة لأهوائهم قبلوها، ﴿وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓاْ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [النور: ٤٨، ٤٩] ما قبلوها إلا لموافقتها لأهوائهم لا غير.

ومن صفات القوم: أنهم يستهزئون بالإسلام وأهله، ويعيبون أهل الإسلام ويسخرون بالمسلمين وأعمالهم، يسخرون بأهل الخير والصلاح، ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ

تَسْتَهْزِءُونَ ۞ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥، ٦٦].

من صفاتهم: السعي في إبعاد المجتمع المسلم عن دينهم

ومن صفات القوم: أنهم يحاولون صبغ المجتمعات الإسلامية بصبغة غير إسلامية، شرقية كانت أو غربية، يحاولون أن يحولوا المجتمع المسلم حتى يكون مجتمعاً إباحياً إلحادياً هكذا يسعى المنافقون وأتباعهم. قال الله جل جلاله: ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾ [النساء: ٨٩].

من صفاتهم: الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف

ومن أخلاق القوم: أنهم أَمَرَةٌ بالمنكر نُهَاةٌ عن المعروف، أَمَرَةٌ بكل شر وفساد نُهَاةٌ عن كلٍ خير وصلاح، يقول الله تعالى: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّنْ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٦٧]، فهم عكس أهل الإيمان الذين هم أَمَرَةٌ بالمعروف ونُهَاةٌ عن المنكر، يقول الله سبحانه: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [التوبة: ٧١].

من صفاتهم: عدم الثقة بموعد الله

ومن أخلاق القوم: أنهم يرون أن وعد الله بنصر دينه ومن اتبعه، ووعده المتقين بالثواب، وتوعده الكافرين بالعقاب- أن ذلك غرور وخداع؛ لأنهم لا يصدقون بلقاء الله ولا يؤمنون بوعيده، ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ۞﴾ [الأحزاب: ١٢].

أيها المسلمون.. احذورا النفاق وأعمال المنافقين وكونوا على حذر منهم ومن شرّهم وفسادهم.

وصايا لرجال الصحافة والإعلام

رجال الصحافة والإعلام.. اتقوا الله في أنفسكم، وسخّروا أقلامكم لخدمة هذا الدين وعرض مشاكل الأمة وطرح الحلول المناسبة لها في حدود كتاب ربنا وسنة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وجّهوا وسائل إعلامكم لخدمة قضايا

الأمة، واحذروا أن يندسّ فيها منافق ضالّ يغير اتجاهها إلى اتجاه غير سليم.

وصايا للقائمين على المراكز الإسلامية

القائمون على المراكز الإسلامية والجمعيات الخيرية في أنحاء العالم.. عليهم تقوى الله في أنفسهم، وأن يجعلوا تلك المراكز والجمعيات منابر خير وهدى ينطلق منها صوت الإسلام ويُنشر فيها محاسن الدين ويوضّح فيها الحق من الباطل، احذروا أن يندسّ من بين صفوفكم الضالون والمفسدون الذين يأتون بأفكار غربية ومبادئ ضالة بعيدة عن الإسلام وأهله، وإن تظاهروا بالإسلام فهم أعداؤه الألداء وهم خصومه، فاحذروا هذا الأمر واجعلوا هذه المراكز والجمعيات مراكز خير ومنابر هدى وجنّبوها المندسين من المنافقين والضالين والمفسدين، لا تسمحوا لهم بشيء؛ فإنهم يسعون في الأرض فساداً. فاجعلوا هذه المراكز والجمعيات تخدم قضايا الأمة وتخدم الإسلام وأهله وجنّبوها أن يندسّ من بين صفوفها من لا خير فيه من الذين يحاولون أن يبثّوا فيها أفكارهم ومبادءهم وآراءهم البعيدة التي تشوّه الإسلام وأهله.

واجب علماء المسلمين في تحذير المجتمع المسلم من النفاق

علماء المسلمين في أنحاء العالم الإسلامي.. عليكم واجب عظيم تقوى الله في أنفسكم وتحذير المجتمع المسلم من هذه الأفكار والمبادئ السّامة الضالة، حذروا المجتمعات الإسلامية أن ينخدعوا ويغتروا بهذه الأفكار والآراء الزائفة.

يا أمة الإسلام.. يا أمة القرآن.. يا أمة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.. يا من جعلكم الله خير أمة أخرجت للناس.. إن هذا الفضل لن تناله الأمة المحمدية بالدعاوى والأماني ولكن بالعمل بمقتضى هذا الفضل، فالله فضّلكم وشرّفكم على غيركم فقال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، أنتم

خير الناس للناس، أنتم شهداء الله على الأمم، جعلكم الله شهداء على الأمم، اختصكم بهذا النبي الكريم، وهذا القرآن العظيم، وهذه الشريعة الكاملة التامة في نظمها ومبادئها، فاتقوا الله وقابلوا هذه النعمة بشكر الله بالإيمان الصحيح الصادق، وإقامة شرع الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، تأمرون بكل خير وصلاح، وتنهون عن كل شر وفساد، وتُرسُون دعائم الأمن والاستقرار، وتصلحون فساد الأمة وتجمعون شملها.

إنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر صمام أمان الأمة، وسياج منيع يقيها من التخريب والدمار، إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليس لفئة معينة، ليس لجيل معين، ولكنه خير تتربى عليه الأجيال جيلاً بعد جيل، فيكون المجتمع المسلم متوارثاً لتلك القيم والأخلاق، ذلكم أن المجتمع المسلم ينبغي أن يكون مغايراً لغيره من المجتمعات بمحافظته على قيمه وفضائله وأخلاق دينه وتمسكه بهذا الدين.

إن الأمة الإسلامية يجب أن تكون مدنيتها ورقيها وتقدمها مواكباً لدينها نابعاً من دينها؛ إذ ليس دينها حجر عثرة أمام أي تقدم وأي رقي صحيح، بل الأمة يكون رقيها ومدنيتها على بنيان قوي من قيمها وأخلاقها، إن الدين الإسلامي دين ودنيا، حياة وآخرة، ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا﴾ [القصص: ٧٧]، ﴿ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾ [سبأ: ١٣]، فليس بين التمسك بالدين ولا بين الرقي والمدنية الصحيحة أي تنافٍ، فديننا دين خير وعز وكرامة ورقي.

أمة الإسلام.. إن هذه الأمة المحمدية إذا تمسكت بدينها عزّت ونالت

الكرامة والرفعة في الدنيا والآخرة، إن ما أصاب الأمة من ضعف ووهن وتفرق واختلاف وتسلط العدو إنما هو ببعدها عن دينها، ببعدها عن إسلامها، هذا الدين الذي قام بـه أوائلكم، فنالوا به من الله العزة والتمكين، مكَّن الله لهم في البلاد، وحكَّمهم على معظم العباد، وكانت لهم الكلمة النافذة والمقالة الماضية، ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ [الحج: ٤١]، ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا﴾ [النور: ٥٥].

فيا قادة المسلمين.. اتقوا الله في شعوبكم وحكِّموا فيهم شرع الله؛ لتعيشوا وإياهم في أمان واستقرار، إن ما أصاب الأمة الإسلامية من تقلب في اقتصادها، ونقص في مواردها، وجدب وبلاء، إنما أسبابه بعدها عن هذا الدين، ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَـٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَـٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَـٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الأعراف: ٩٦].

فاتقوا الله أمة الإسلام في أنفسكم وعودوا إلى إسلامكم عوداً صحيحاً، اجمعوا قلوبكم على هذا الخير، تكاتفوا على هذا الدين، حلوا مشاكلكم وقضاياكم في إطار الأمة الإسلامية فعدوكم يحب أن يراكم متفرقين، يحب أن يراكم متنازعين، يحب أن يرى بعضكم ضد بعض، يحب أن يرى بعضكم يقتل بعضاً؛ ويهدد بعضكم بعضاً؛ لتكونوا فريسة سهلة له. فلنتق الله في أنفسنا، ولنصحح أوضاعنا، ولنعد إلى ديننا، فثمَّ العزة والكرامة.

بيان فضل الحج وفوائده ومنافعه

حجاج بيت الله الحرام.. اشكروا الله على نعمته إذ هيأ لكم الوصول إلى هذه الديار المقدسة ومكنكم من أداء نسككم، التقيتم في هذا المكان المبارك على صعيد عرفات في هذا الموسم الكريم هذا اللقاء الذي هو لقاء عبادة لله، لقاء تجمّع وتعارف وتنسيق وتعاون وتفاهم بين الأمة؛ لنشهد في هذا اللقاء منافع لنا من أعظمها طاعة الله والسعي في مرضاة الله، يجب على الأمة أن تستفيد من هذا التجمع الكريم فوائد عظيمة تعود عليها وعلى شعوبها بالخير والصلاح.

إن المسلم وهو يرى إخواناً له أتوا من أقطار الدنيا إجابة لنداء الله عزّ وجلّ وتلبية لنداء الخليل عليه السلام يرى أناساً جاءوا من كل حدب وصوب، تغيرت البلاد والألوان واللغات ولكن اتحدت القلوب على الخير، فالهدف واحد والغاية واحدة، طاعة لله واستجابة لندائه وطلب الفضل والمغفرة منه.

النعم العظيمة التي تعيش فيها هذه البلاد، ومن أهمها نعمة الأمن

حجاج بيت الله الحرام.. وطأتم أرض هذه البلاد الطاهرة المباركة وشاهدتم ما أنعم الله به على أهلها من أمن واستقرار ورغد العيش ونعم متوافرة، أعلاها وأعزها نعمة الإسلام واجتماع الكلمة على هذا الدين، إن هذه البلاد ولله الحمد تعيش في نعمة عظيمة من نعم الله، ألا وهو تحكيم شرع الله وإقامة حدود الله، فتحاكمنا إلى القرآن والسنة، ومحاكمنا تطبق أحكامه وتعمل بمقتضاه، فأمّن الله هذه البلاد من كل المخاوف، وجمع قلوبهم على الخير، وهيأ لهم من رغد العيش والنعمة ما هو معروف لدى كل عاقل، وجعل الله بين قادتها وبين مواطنيها محبة ومودة واتفاقاً ولقاء على الخير والهدى، إن هذا الأمن والاستقرار الذي تنعم به هذه البلاد، كله من فضل الله ثم جهود قادة هذه البلاد، وما قاموا به من

جهود عظيمة في سبيل راحة المسلمين واستقبال الحجيج كل عام، وتهيئة السُبل المناسبة لهم حتى يؤدوا نسكهم على الوجه المرضي، ما فعلوا ذلك إلا طاعة لله وطلباً لثواب الله فجزاهم الله عما فعلوا خيراً.

حجاج بيت الله الحرام.. إنّ الله من عزته وحكمته حمى بيته الحرام وجعله آمناً مطمئناً كما أخبر الله أنه حرماً آمناً. وأن من أراده بشرّ فإن الله يعاقبه بمجرد همّه. ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾ [الحج: ٢٥]. وحكمة الله اقتضت أن كل من همّ بسوء فإنه يعاجل له العقوبة في الدنيا مع ما يدخره له في الآخرة من العذاب الأليم.

لقد حاول أبرهة أن يؤذي البيت الحرام ويهدمه فأنزل الله عليه طيراً أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل، وحاول فئة أخرى ليذيقوا أهله الذلّ والهوان فسلّط الله عليهم عقوبة سَلَبَتْ عنهم كل خير، وهذه سنة الله فيمن همّ في هذا البيت الحرام بسوء وفساد أن يعجّل له العقوبة وينزل به الذلّ والهوان، سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلاً.

حجاج بيت الله الحرام.. إن الله افترض الحج على أمة الإسلام وجعله خامس أركان الإسلام، افترضه على المسلم في عمره مرة من أداه في عمره فقد أدى الواجب الذي عليه. ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾ [آل عمران: ٩٧]. خطب المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: **«أيّها النّاس، قد فرض الله عليكم الحجّ فحجّوا»**. فقال رجل: أكلّ عام يا رسول الله؟ فسكت حتّى قالها ثلاثاً. فقال

رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لو قلت: نعم، لوجبت، ولما استطعتم»، ثمّ قال: «ذروني ما تركتكم»[٥]. فصلوات الله وسلامه عليه.

بيان صفة حج النبي صلى الله عليه وسلم

أمة الإسلام.. إن محمداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حجّ في عمره حجّة واحدة، حجّ بعد الهجرة حجّة واحدة سماها المسلمون حجة الوداع، أعلمهم مناسك الحج بقوله وعمله، ما قال قولاً ولا عمل عملاً إلا قال: «خذوا مناسككم لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا»[٦].

وقف صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعرفة وقال: «وقفت ها هنا وعرفة كلها موقف»[٧]، «وارفعوا عن بطن عُرنة»[٨]، وصلى بعرفة الظهر والعصر جمع تقديم، ثم انصرف من عرفة بعد غروب الشمس، ثم أتى المزدلفة وصلى بها المغرب والعشاء وبات بها وصلَّى بها الفجر، ثم أتى المشعر الحرام وذكر الله وعظمه، ثم انصرف فرمى جمرة العقبة، ثم نحر هديه، ثم حلق رأسه، وحلّ من إحرامه التحلل الأول فتطيب، ثم طاف بالبيت صلوات الله وسلامه عليه، وتحلل التحلل الثاني بعد الطواف.

فضل يوم عرفة والتحريض على إخلاص العبادة فيه

حجاج بيت الله الحرام.. إن هذا اليوم المبارك من أعظم أيام الله، يوم عرفة يوم الحج الأكبر، أيها المؤمنون عظموا في هذا اليوم ربكم وأكثروا من الثناء عليه وذكره وتعظيمه بما أنعم الله عليكم به من النعم العظيمة حيث أكمل الله لكم دينكم وأتم عليكم نعمته، هذا يوم عظيم يباهي الله بكم ملائكته، يقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبداً من النار من يوم عرفة وإنه ليدنو ثم يباهي بهم الملائكة فيقول ما أراد هؤلاء»[٩].

ويقول: «ما رئي الشيطان يوماً هو فيه أصغر ولا أدحر ولا أحقر ولا أغيظ منه في يوم عرفة، وما ذاك إلا لما رأى من تنزّل الرحمة وتجاوز الله عن الذنوب العظام»[١٠]. فأروا الله من أنفسكم خيراً.

ارفعوا أكفّ الضراعة إلى ذي الجلال والإكرام، اسألوه من فضله مغفرة ذنوبكم وحطّ أوزاركم والتجاوز عن زلاتكم، ارفعوا أيدي الضراعة إليه، أكثروا من: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، فإن نبيكم يقول: «خير الدّعاء دعاء يوم عرفة وخير ما قلت أنا والنّبيّون من قبلي: لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كلّ شيء قدير»[١١].

أخلصوا لله دعاءكم وتضرعوا بين يدي ربكم واسألوه التوفيق والسداد والهداية، إنه على كل شيء قدير.

قفوا بعرفة ولا تنصرفوا منها إلا بعد غروب الشمس، ومن انصرف منها قبل الغروب فقد خالف هدي المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، صلوا بها الظهر والعصر جمعاً وقصراً، ثم انصرفوا إلى مزدلفة وصلوا بها المغرب والعشاء جمعاً وقصراً، ولكم أن تدفعوا بعد نصف الليل، والأفضل البقاء حتى تصلوا بها الفجر، ثم ائتوا إلى منى وارموا جمرة العقبة بعد طلوع الشمس، ثم انحروا الهدي إن كنتم متمتعين أو قارنين، ثم احلقوا رؤوسكم والحلق أفضل من التقصير، ثم طوفوا بالبيت واسعوا بين الصفا والمروة، ومن قدم يوم النحر شيئاً على شيء فإن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «لا حرج»[١٢]. السنة: الرمي ثم النحر ثم الحلق

ثم الطواف، ومن قدم شيئاً على شيء فنبيكم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما سئل يومئذ عن شيء قدّم ولا أخر إلا قال: «افعل ولا حرج»[١٣]، بيتوا بمنى ليلتين من ليالي التشريق إن تعجلتم، فارموا في اليوم الحادي عشر الجمار الثلاث مرتبة بعد الزوال، الصغرى ثم الوسطى ثم العقبة، وفي اليوم الثاني عشر كذلك، فإن أحببتم أن تنصرفوا فلا شيء عليكم وإن أحببتم أن تقيموا في اليوم الثالث فلا شيء عليكم ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِى يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة:٢٠٣].

أيها المسؤولون.. أيها القائمون بعهد الهدي والأضاحي.. اتقوا الله في أنفسكم، واعلموا أن الحجاج ائتمنوكم على هديهم، ائتمنوكم على أضاحيهم، فاتقوا الله في أنفسكم ولا تذبحوا إلا ما وافق السنّ الشرعي، وكِلُوا الذبح إلى من يحسنه ويؤدي الذكاة الشرعية كما يحب الله ويرضاه.

أيها المسؤولون المتعهدون بالحجاج.. أيها المطوّفون.. اتقوا الله في الحجاج اتقوا الله فيهم وقفوا بهم المواقف الشرعية واحذروا أن تسعوا فيما يفسد حجهم ويضعف ثوابهم؛ فإنها أمانة والله سائلكم عنها، فاتقوا الله يا عباد الله في أنفسكم، وائتمروا بينكم بالمعروف وتناهوا عن المنكر، وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان، وتذكروا في هذا المجتمع وقوفكم بين يدي الله حفاة عراة، تذكروا في هذا المجتمع وقوفكم بين يدي الله، واسعوا في تخليص أنفسكم من عذاب الله، وتزودوا فإن خير الزاد التقوى.

اللهم إنا نسألك بأسمائك الحسنى وصفاتك العلى بأننا نشهد أنك أنت

الله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد أن تجعل حجنا مبروراً وسعينا مشكوراً وذنبنا مغفوراً إنك على كل شيء قدير، اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات، اللهم ألف بين قلوبهم وأصلح ذات بينهم وانصرهم على عدوك وعدوهم واجمعهم على كلمة التقوى، إنك على كل شيء قدير، وأعذهم من مضلات الفتن ما ظهر منها وما بطن، اللهم آمنا في أوطاننا، اللهم أصلح أئمتنا وولاة أمورنا، اللهم وفق إمام المسلمين لما تحبه وترضاه، اللهم انصر به دينك وأعلِ به كلمتك واخذل به أعداءك، اللهم اجزه ومن معه عما قدموا للحجيج خيراً، إنك على كل شيء قدير.

عباد الله إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون، فاذكروا الله العظيم الجليل يذكركم، واشكروه على عموم نعمه يزدكم، ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون، ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الهوامش

(١) سبق تخريجه في خطبة عام (١٤٠٢هـ)، الهامش (١).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: المغازي، باب: غزوة الطائف في شوال سنة ثمان..، (فتح الباري ٨/ ٥٩، ح ٤٣٣٠)، ومسلم في صحيحه ٢/ ٧٣٨، كتاب: الزكاة، باب: إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام..، ح(١٠٦١)، واللفظ للبخاري.

(٣) أخرجه أبو نعيم الأصبهاني في حلية الأولياء ٥/ ٣٦ عن عبدالله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«أسروا ما شئتم، فوالله ما أسرّ عبد ولا أمة سريرة إلا ألبسه الله رداءها، خيراً فخيراً وشراً فشراً، حتى لو أن أحدكم عمل خيراً من وراء سبعين حجاباً لأظهر الله ذلك الخير حتى يكون ثناؤه في الناس خيراً، ولو أن أحدكم أسرّ شراً من وراء سبعين حجاباً لأظهر الله ذلك الشر حتى يكون ثناؤه في الناس شراً»**.

(٤) أورد ذلك الذهبي في سير أعلام النبلاء ٢/ ٣٦٤ في ترجمة حذيفة بن اليمان رضي الله عنه.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه، وسبق تخريجه في خطبة عام (١٤٠٢هـ)، الهامش (٨).

(٦) أخرجه النسائي في السنن الكبرى، والبيهقي في السنن الكبرى، وأصله عند مسلم في صحيحه، وسبق تخريجه في خطبة عام (١٤٠٢هـ)، الهامش (٩).

(٧) أخرجه مسلم في صحيحه، وسبق تخريجه في خطبة عام (١٤٠٦هـ)، الهامش (٨).

(٨) أخرجه أحمد في مسنده، وابن خزيمة في صحيحه، والبيهقي في السنن الكبرىٰ، وسبق تخريجه في خطبة عام (١٤٠٥هـ)، الهامش (١٢).

(٩) أخرجه مسلم في صحيحه، وسبق تخريجه في خطبة عام (١٤٠٤هـ)، الهامش (١١).

(١٠) أخرجه مالك في الموطأ، وعبد الرزاق في مصنفه، وسبق تخريجه في خطبة عام (١٤٠٢هـ)، الهامش (١٦).

(١١) أخرجه الترمذي في سننه، ومالك في الموطأ، والبيهقي في السنن الكبرىٰ، وسبق تخريجه في خطبة عام (١٤٠٢هـ)، الهامش (١٨).

(١٢) أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما، وسبق تخريجه في خطبة عام (١٤٠٦هـ)، الهامش (١٠).

(١٣) انظر: التخريج السابق.

خطبة عام «١٤٠٩» الهجري

السَّلامُ عَلَيْكُمْ ورَحْمَةُ اللهِ وبَرَكَاتُه.

إِنَّ الْحَمْدَ لِلهِ نَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا فَمَن يَهْدِهِ اللهُ فَلا مُضِلَّ لَهُ وَمَن يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ(١).

أما بعد:

أيها الناس.. اتقوا الله تعالى حق التقوى.

الوصية بتقوى الله، وبيان الحكمة من إرسال الرسل إلى العباد

عباد الله.. إن الله بعث أنبياءه ورسله دعاة إليه، دعاة إلى دينه؛ ليقيم بهم الحجة على العباد، ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥].

أيدهم الله بمعجزات تدل على صدقهم، وصدق ما جاءوا به، وأنهم رسل الله حقاً، يقول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إلي فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة**»(٢).

ذكر معجزة النبي الخالدة القرآن الكريم وبيان فضلها

أمة الإسلام.. إن معجزة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هي القرآن العظيم والذكر الحكيم الذي جعله الله معجزة باقية ما بقيت الدنيا، فالقرآن الحكيم معجزة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إن معجزات الأنبياء انقضت بانقضائهم، ولما

كان محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خاتم أنبياء الله وخاتم رسله كانت معجزته باقية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين.

أمة الإسلام.. لقد خص الله هذا القرآن العظيم بخصائص عظيمة لم تكن لكتاب من كتب الله السابقة.

للقرآن خصائص عظيمة، منها: حفظ الله له من الزيادة والنقصان

فمن خصائصه أن الله حفظه فلا تتطرق إليه أيدي العابثين زيادة فيه أو نقصاناً منه، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر:٩]. فهذا القرآن الكريم محفوظ بحفظ الله لايستطيع أحد أن يزيد فيه أو ينقص منه مهما بذل جهده، وكم نُسب إلى الله في الكتب السابقة ما لم يقله الله، ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ۝٧٩﴾ [البقرة:٧٩]. أما القرآن الكريم فمحفوظ بحفظ الله تحدى الله العرب أن يأتوا بعشر سور منه أو بسورة بل بآية، إلى أن قال الله تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ۝٨٨﴾ [الإسراء:٨٨].

ومن خصائصه: أن الله جعله مهيمناً على ما سواه من الكتب

ومن خصائص القرآن الكريم أن الله جعله مهيمناً على ما سواه من الكتب، جامعاً لمعاني ما سلفه من الكتب، يحق الحق ويبطل الباطل، يقول الله عزوجل: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ﴾ [المائدة:٤٨].

ومن خصائص هذا القرآن أن الله ضمّنه سعادة الدنيا والآخـرة، فكل سعادة في الدنـيا والآخرة فقد انتظمها القرآن واشتملها، فلا خير إلا دعا إليه ولا شرّ إلا حذر منه، يقول الله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [النحل:٨٩]، فما من مشكلة حاضرة أو مستقبلة إلا وقد تكفل القرآن بحلها، يـقول الله عزوجل: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعام:٣٨]، لا تناقض في أحكامه ولا اضطراب في أخباره، بل أحكامه العادلة وأخباره الصادقة، قال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾﴾ [الأنعام:١١٥].

أمة الإسلام.. إن هذا القرآن الكريم شرفٌ لنبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو شرفٌ لنا، شرف لأمته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال تعالى: ﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الزخرف:٤٣، ٤٤]، شرف لك وشرف لأمتك، وسوف تسأل هذه الأمة عن هذا القرآن الكريم هل قاموا بحقه، هل حكموه وعملوا بـه، هل أدوا حقه الواجب عليهم؟

أمـة الإسلام أمة القرآن.. إن شرف الأمة وعزّها وفخرها هو في تحكيم كتاب الله، والعمل بكتاب الله، والتحاكم إليه هو أن نحلّ حلالـه ونحرّم حرامـه ونعمل بمحكمه ونقف عند حدوده وننفّذ أوامره ونتأدب بآدابه، إنه يـهدينا لكل خير ويسوقنا إلى كل هدى، يقول الله سبحانه: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى

هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء:٩].

أمة الإسلام.. إن السعادة كل السعادة في العمل بهذا القرآن وفي التمسك بهذا القرآن وفي تحكيمه والتحاكم إليه قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾﴾ [طه:١٢٤-١٢٦].

فمن اتبع القرآن وحكَّم القرآن وجعل القرآن نظامه ودستور حياته فإنه لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة، فهو على هدى وبصيرة، سعيد في دنياه وسعيد في آخرته، ومن أعرض عن القرآن فإن حياته حياة شقاء وبلاء، كيف لا يكون كذلك وقد نبذ كتاب الله وأعرض عن كتاب الله، فنتائج الإعراض عن الكتاب حصول الفوضى والبلبلة والاضطراب، والتمسك بهذا القرآن سبب للأمن والاستقرار والقوة والعزة والتمكين.

فيا أمة الإسلام.. تأدبوا بكتاب الله وحكِّموا كتاب الله واعملوا بكتاب الله فهو نور يهديكم سبل السلام، يقول الله عز وجل: ﴿قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَـٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَـٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة:١٥، ١٦].

أمة الإسلام.. إن هذا القرآن الحكيم عملت به أمة الإسلام قروناً عديدة راضية به محكمة لـه فنالت العزة والتمكين، وكانت مهيبة الجناب، محوطة بحفظ الله ورعايته وحمايته.

وفي هذه الأزمان للأسف الشديد هناك فئة من الناس تدعو إلى محاربة القرآن، إلى معاداة القرآن، إلى فصل القرآن عن نظم الحياة، إلى الاعتياض عن هذا القرآن بنظم وقوانين ضالة مضلة جائرة لا خير فيها، إن كل حكم سوى حكم القرآن والسنة فهو الحكم الجاهليّ الباطل، ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝٥٠﴾ [المائدة: ٥٠].

إن الله أمرنا أن نتدبر القرآن ونعمل بمقتضاه، ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ۝٢٤﴾ [محمد: ٢٤]، إن المنادين بعزل القرآن عن نظم الحياة ونبذ أحكامه والإعراض عن تنفيذها إنما هم قوم أصيبوا بمرض في قلوبهم، وتلك وراثة ورثوها من إخوانهم أهل الكفر والضلال والنفاق، فلقد ذكر الله عن الكفار أنهم إذا سمعوا القرآن استهزؤوا به وسخروا بآياته، ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَـٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ﴾ [لقمان: ٧]، وهكذا أعداء الإسلام إذا دعوتهم إلى القرآن وإلى تحكيمه وإلى العمل بمقتضاه قالوا: تلك أمور انتهت، وقرون مضت، وأجيال سلفت، وإن العالم بحاجة إلى نظم عصرية وقوانين حديثة تنظم شؤون حياتهم، لعمر الله إنـه الكذب والافتراء، وإنها مقالة الكفر، تشابهت في الكفر مقالتهم، فاعملوا بكتاب الله وحكّموه وتحاكموا إليه واعملوا به واجعلوه نظام حياتكم؛ لتعيشوا سعداء أمناء، إن القرآن الكريم يدعو

أتـباعه إلى كل خير، ويهديهم إلى السعادة، ويدلهم على أسبابـ القوة والعزة والتمكين.

أمة الإسلام.. أمـة القرآن.. في هذا اليوم المبارك وأمـة الإسلام يتذكرون عظيم نعم الله عليهم، وعظيم فضل الله عليهم، وعظيم كرم الله عليهم، حيث أنزل على نبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آية في كتاب الله ازداد بـها المؤمنون عزاً وفخراً، وازداد بـها الحاقدون على الإسلام غيظاً وحنقاً؛ أنزل الله في هذا اليوم المبارك قوله عزوجل: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائـدة:٣]، هذه الآية نالت بها الأمة المحمدية المجد والسؤدد والفخر، نالت بها العزة والظهور على العالمين، إنـها آية عظيمة لـم يستطع أعداء الإسلام أن يخفوا حقدهم وغيظهم على المسلمين بإنزالها؛ عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رجلاً من اليهود قال له: يا أمير المؤمنين آية في كتابكم تقرؤونها لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنـا ذلك اليوم عيداً، قال: أي آية؟ قال: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة:٣]، قال عمر: قد عرفنا ذلك اليوم، والمكان الذي نزلت فيه على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو قائم بعرفة يوم جمعة[٣].

أجل إنها نعمة لم تنلها أمـة قبلكم ولن يحوزها أحد غيركم من الأمم، كل شريعة لنبي من أنبياء الله خاصة ببيئته وخاصة بـقومه، أما شريعة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فإلى الثقلين الإنس والجن إلى قيام الساعة، فقد أكمل الله الدين وأتم

النعمة ورضي الإسلام ديناً، فلنرضَ بما رضي الله لنا، ولنحمد الله على هذه النعمة والفضل، ونسأله الثبات على الإسلام إلى أن نلقاه غير مبدلين ولا مغيرين.

يا أمة الإسلام.. يا أمة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.. يا خير الأمم وأكرمها وأفضلها على الله.. يا من فضلكم الله بأفضل نبي وأكرم كتاب وأكمل شريعة.. اعلموا أن هذا الفضل العظيم لن تنالوه إلا إذا حكمتم شرع الله، وعملتم بهذا الدين، وتآلفت عليه قلوبكم واجتمعت عليه كلمتكم.

إن أعداءكم يا أمة الإسلام يحاولون تفريق شملكم وتشتيت صفوفكم وإيقاع العداوة والبغضاء بينكم، يحاولون أن يضربوا بعضكم ببعض، يحاولون أن يسلطوا بعضكم على بعض، فاحذروا مكايدهم، واحذروا ضلالتهم، إنهم يعلمون أن اجتماعكم واعتصامكم بدين الله وتآلف قلوبكم قوة لا تغلبها قوة، لا يستطيع أي عدو أن يحطمها، فتمسكوا بهذا الدين واعملوا به واجتمعوا عليه لعلكم تفلحون.

أمة الإسلام.. إن أعداءكم يتمنون من قلوبهم أن تتركوا دينكم، أن تفارقوا إسلامكم، يقول الله تعالى عنهم: ﴿وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءً﴾ [النساء:٨٩]، لأن تمسككم بإسلامكم حصن حصين يقيكم مكايد الأعداء وشرورهم، وإن كل فُرقة واختلاف فإنما ذلك قوة لعدوكم عليكم، أنتم خير الأمم وأكرمها على الله، أنتم مؤهلون لقيادة البشرية كما قال الله جل وعلا: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران:١١٠]، وقال سبحانه: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة:١٤٣].

فحذارِ حذارِ أمة الإسلام من مكايد أعداء الإسلام، إنهم ينسبون كل

ضعف وتخلف للأمة، ينسبونه إلى تمسكنا بديننا واعتصامنا بـه، وهذا من الكذب والافتراء؛ فالدين يدعونا للقوة والعزة والعمل بالأسباب النافعة والأخذ بكل نافع مفيد في مصالح دنيانا مما لايتنافى مع ديننا، قال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ﴾ [التوبة:١٠٥]، وقال سبحانه: ﴿ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾ [سبأ:١٣].

أمة الإسلام.. إن أعداءكم يحاولون أن يوجدوا بينكم البغضاء والعداوة ويشتتوا شملكم ويحدثوا بينكم فرقة واختلافاً، فحذارِ من مكايد أعدائكم، حذارِ من ضلالتهم، حذارِ من إيحاءاتهم الباطلة، إنهم ينسبون الأمة الإسلامية إلى التخلف والرجعية؛ ليفتُّوا من عضدها ويقللوا من شأنها، والأمة متى عادت إلى رشدها وتمسكت بدينها واعتصمت بوحي الله فإنها بتوفيق الله ستقف أمام مكائد الأعداء ولا يضرها شيء بتوفيق الله وعزّته وقوّته.

النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة عامة، وأن لا يسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، وإن ربي قال: يا محمد، إني إذا قضيت قضاءً فإنه لا يردّ، وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة، وأن لا أسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم يستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من بأقطارها -أو قال: من بين أقطارها- حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً ويسبي بعضهم بعضاً**»(٤)، فإذا فعلوا ذلك فإن العدو سيتسلط عليهم ويفكك شملهم ويجعلهم أمة تابعة له، فاحذروا يا عباد الله ذلك، وتمسكوا بدين الله واجتمعوا عليه لعلكم تفلحون.

أمة الإسلام.. أمة القرآن.. إن الله جل جلاله لما خلق الأرض اختار منها البلد الحرام، فجعله خير بقاع الأرض وأشرفها وأفضلها، ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص:٦٨]، اختار البلد الأمين فخصه بخصائص لم تكن لغيره من بقاع الأرض.

ومن ذلك أن الله جل جلاله جعله مثابة للناس أودع في قلوب المؤمنين حب بيت الله الحرام والشوق إلى بيت الله الحرام فما زاره مسلم إلا وفي قلبه حب وتطلع بأن يعود إلى البيت الحرام ثانية.

جعله الله حرماً آمناً لا يسفك فيه دم ولا ينفر فيه صيد ولا يختلى خلاه ولا تلتقط لقطته إلا لمن كان معرفاً لها.

أوجب الله على المسلمين استقباله في مشارق الأرض ومغاربها، يقول الله عزوجل: ﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾ [البقرة:١٤٤].

وألزم المسلم أن يزوره في عمره مرة؛ ليطوف به لله ويصلي إليه لله، عهد الله ببناء هذا البيت إلى نبيين من أنبيائه إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، قام على إخلاص الدين لله، ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ۝٢٦﴾ [الحج:٢٦]، فليس في الدنيا بيت يشرع الطواف به إلا بيت الله الحرام، ليس في الدنيا موضع يشرع تقبيله واستلامه إلا الحجر الأسود أو استلام الركن اليماني.

أمة الإسلام.. هذا شيء من فضل الله وما خص به هذا البيت العتيق، إن كل مسلم يعلم أن أشرف قبر يحوي أشرف جسد هو قبر محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويا ترى هل شرع للمسلمين أن يطوفوا بقبره ويتخذوه كالبلد الأمين

فضل البلد الحرام وذكر بعض ما خصه الله تعالى به

يطوفون بقبره؟ لا والله لم يشرع ذلك، لا انتقاصاً من حق المصطفى؛ فإن محبته في قلب المؤمنين فوق محبة النفس والولد والوالد والناس أجمعين، لكنه نهانا فانتهينا وقال لنا: «لا تتّخذوا قبري عيداً، ولا تجعلوا بيوتكم قبوراً، وحيثما كنتم فصلّوا عليّ فإنّ صلاتكم تبلغني»(٥). وقال: «اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»(٦). وقال وهو في كرب السياق: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»(٧). «ألا فلا تتخذوا القبور مساجد إني أنهاكم عن ذلك»(٨). فسمع المسلمون وأطاعوه وزاروا مسجده ولم يتخذوا قبره مزاراً ولا مطافاً؛ لعلمهم بكراهيته لذلك. فإن الله بعثه ليدعو العباد إلى عبادة الله. ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ۝٧٩ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّۦنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ۝٨٠﴾ [آل عمران: ٧٩، ٨٠]، فطوافنا بالبيت عبادة لله ﴿فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣﴾ [قريش: ٣].

أما من أراد أن يحول وجوه الناس ويجعل لهم عوضاً فيما يزعم عن هذا البيت الحرام ويصرف حجهم كما يظن إلى أي بقعة من الأرض كائنة من كانت فقد ضل وأضل، وضل عن سواء السبيل وبدّل دين الله؛ فإن الله أوجب الحج إلى بيته الحرام، وأوجب الطواف ببيته الحرام. فليس في الدنيا مكان شبيه لهذا البلد الأمين ولا مماثلاً له، ومن ادعى غير ذلك فقد ضلّ سواء السبيل وأتى بزور من القول وبهتان.

كل ما تقوم به الجهات المختصة من جهود عظيمة إنما هي لتيسير مناسك الحج

حجاج بيت الله الحرام.. وطأت أقدامكم بلد الله الأمين فوجدتموه ولله الفضل حرماً آمناً مطمئناً رخاءً سخاءً آمناً من كل بلاء، موسعاً رزقُه دائماً خيرُه، فاحمدوا الله على هذه النعمة أن بلّغكم الوصول إليه فوجدتموه في غاية مما يسرّ كل مسلم، حرماً آمناً رخاءً قد وفر الله فيه رغد العيش وهيأ له قيادة حكيمة نذروا أنفسهم لله ثم لمصالح إخوانهم المسلمين ضحوا بكل غالٍ ونفيس في سبيل المحافظة على أمن هذا البلد الأمين، وفي سبيل راحة الحجيج حتى يخرجوا منه وهم في نعمة وسرور، وهذا -ولله الفضل والمنة- يحس به كل زائر لهذا البلد الأمين، ويرى من التيسيرات والتسهيلات ما لا يخفى وما لا يجحده إلا حاقد.

التحذير من تهديد أمن البلد الأمين وتخويف الحجيج فيه

أمة الإسلام.. إن كل من يريد تهديد أمن هذا البلد الأمين وتخويف الحجيج فيه، فشرُّه ليس موجهاً لفئة من الناس ولكن هذا الشرّ موجّه ضد الإسلام، وهو محاربة لله ولرسوله ولعباده المؤمنين، وهو النفاق المستكنّ في قلوبهم، غاظهم ما رأوا من نعمة الله على هذا البلد الأمين وما يتمتع به من استقرار ورغد، فأرادوا به كيداً فردّ الله كيدهم في نحورهم، وجعل الله تدبيرهم تدميراً عليهم، وله الفضل والمنَّة، وهذه سنته سبحانه وتعالى في كل من أراد هذا البلد الأمين بسوء، يقول الله عزوجل: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍۭ ۝٥﴾ [الفيل:١-٥]. ولكل مريد سوءاً بهذا البلد الأمين نصيب من الشر والبلاء بتوفيق الله ورحمته، فإن الله جعله حرماً آمناً وأوجب على كل مسلم أن يعظم هذا البيت ويحفظ له حرمته

وكرامته فله الفضل والمنة، والبلد الأمين يـعيش أمناً واستقراراً ومواصلة للجهود ومضاعفة لكل جهد في سبيل راحة الحجيج فاشكروا الله على هذه النعمة واسألوا الله لولاة المسلمين التوفيق والسداد والهداية.

حجاج بيت الله الحرام.. إن الله تعالى افترض الحج على أمة الإسلام وجعله خامس أركان الإسلام، أوجبه على المسلم القادر ببدنه وماله في عمره مرة متى أداه فقد برئت ذمته.

خطب نبيكم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: «أيها النّاس قد فرض الله عليكم الحجّ فحجّوا» فقال رجل: أكلّ عام يا رسول الله؟ فسكت حتّى قالها ثلاثاً، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «لو قلت نعم لوجبت، ولما استطعتم»، ثمّ قال: «ذروني ما تركتكم»[٩]. فصلوات الله وسلامه عليه أبداً دائماً إلى يوم الدين.

بين الله الحكمة من الحج فقال: ﴿لِّيَشْهَدُواْ مَنَـٰفِعَ لَهُمْ﴾ [الحج:٢٨]، إن هذه المنافع عظيمة، فمن أجلّ وأعظم تلك المنافع ما حدا بالمؤمن إلى أن يفارق أهله وبلده وماله استجابة لله وتلبية لنداء الخليل عليه السلام، إنه الإيمان الراسخ في القلب.

ومن تلكم المنافع ما يراه المسلم من التحام صفوف المسلمين في هذه المشاعر المقدسة رغم اختلاف اللون واللغة والجنس، ولكن وحّدتهم رابطة الإيمان وجمعتهم أخوة الإسلام، إن المسلم يرى هذا الدين قوياً عزيزاً، ولا يزال ولله الحمد قوياً عزيزاً -رغم ما بذل الأعداء من محاربة لهذا الدين- فلا يزال ولله

الحمد قوياً عزيزاً. «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك»(١٠). وما دام هذا البيت يطاف به فإن العالم في أمان من الكوارث. ﴿۞ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَ﴾ [المائدة:٩٧].

أمة الإسلام.. حج نبيكم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حجة واحدة بعد الهجرة سماها المسلمون حجة الوداع، ودَّع فيها الناس وأخبرهم أنه لايلقاهم بعد عامه هذا وقال لهم: «خذوا عني مناسككم»(١١). قاله بعد كل قول قاله أو عملٍ عمله، خرج صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى أتى بطن هذا الوادي فخطب فيه خطبة قليلة الألفاظ كبيرة المعاني؛ لأن الله أعطاه جوامع الكلم، جاء فيها: «إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا، ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع، ودماء الجاهلية موضوعة، وإن أول دم أضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث، كان مسترضعاً في بني سعد فقتلته هذيل، وربا الجاهلية موضوع، وأول ربا أضع ربانا، ربا عباس بن عبد المطلب فإنه موضوع كله، فاتقوا الله في النساء؛ فإنكم أخذتموهنّ بأمان الله واستحللتم فروجهنّ بكلمة الله، ولكم عليهنّ أن لا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه، فإن فعلن ذلك فاضربوهنّ ضرباً غير مبرّح، ولهنّ عليكم رزقهنّ وكسوتهنّ بالمعروف، وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به: كتاب الله، وأنتم تسألون عني فما أنتم قائلون؟». قالوا: نشهد أنك قد بلّغت وأدّيت ونصحت، فقال بإصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها إلى

الناس: «اللهم اشهد اللهم اشهد» ثلاث مرات(١٢).

ففي هذه الخطبة العظيمة بَيَّن صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حرمة دماء المسلمين وأموالهم، وأن الأصل في دمائهم الحرمة إلا بسبب شرعي، كذلك أموالهم، وبَيَّن أنّ مآثر الجاهلية وفخرها وعصبيتها قد ألغاها الله بالإسلام، والإسلام جبّ ما كان قبله وهدم ما كان قبله، وألغى الربا، وبَيَّن أنه موضوع؛ فإن الربا محاربة لله ولرسوله، وهو من أعظم الظلم؛ فإن الربا ظلم للعباد وأكل للمال بغير الحق، وكانت الجاهلية يتعاملون بالربا، ويعدونه وسيلة لثروتهم ونمو أموالهم، فجاء الله بالإسلام وحرم الربا؛ لما يشتمل عليه من المفاسد والأضرار، فمن لم يعتقد تحريمه بعدما بلغه نصوص القرآن فإنه ضالّ مضلّ والعياذ بالله، وأخبرهم أن للنساء حقوقاً وعليهن واجبات؛ ليبين أن الإسلام راعى المرأة وأنزلها المنزلة اللائقة بها، وذلك ضد ما يتصوره أعداء الإسلام الزاعمين أن الإسلام أهدر حقوق المرأة وأهانها، ولعمر الله إن الإسلام أنزلها المنزلة اللائقة بها، ثم أخبرهم أنه ترك فيهم كتاب الله، فما داموا معتصمين به فلن يضلوا، بل سيكونون سعداء ما داموا متمسكين بكتاب الله وعاملين به، واستشهدهم على أنه بلغهم رسالة الله، فقالوا بأجمعهم: نشهد أنك بلغت وأديت ونصحت، وكل مسلم يشهد له بذلك، نشهد له بالله أنه بلغ وأدى ونصح وتركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يضل عنها بعده إلا هالك.

ذكر أوامر الرسول صلى الله عليه وسلم ونواهيه في خطبة حجة الوداع

وبعد هذه الخطبة أمر المؤذن فأذن فصلى الظهر والعصر ركعتين ركعتين جمعاً وقصراً جمع تقديم -وهذا ما سنفعله إن شاء الله بعد قليل-، فإنّ جَمْعَ

الحجاجِ هاتين الصلاتين بعرفة سنة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وبعد ذلك وقف بعرفة وقال لهم: «وقفت هاهنا وعرفة كلها موقف»(١٣)، وقال: «وارفعوا عن بطن عرنة»(١٤)، فعليك أيها الحاج أن تبحث عن حدود عرفة وقد وُضِعَتْ ولله الحمد أعلاماً تدل على عرفة وتميزها عما سواها، وأخبرهم أن «الحج عرفة»(١٥)، وأن وقت الوقوف ينتهي بطلوع الفجر ليلة النحر.

وفي هذا الموقف العظيم وقف المصطفى راكباً على راحلته متضرعاً بين يدي ربه راجياً راغباً مستقبل القبلة حتى غربت الشمس، وبَيَّنَ فضل ذلك اليوم وأنه «ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبداً من النار من يوم عرفة، وإنه ليدنو ثم يباهي بهم الملائكة فيقول: ما أراد هؤلاء؟»(١٦)، وأنه يباهي بهم عشية هذا اليوم، يباهي بهم ملائكته، يقول: «انظروا إلى عبادي أتوني شعثاً غبراً ضاحين يرجون رحمتي ولم يروا عذابي أشهدكم أني قد غفرت لهم»(١٧)، فتعرضوا لنفحات ربكم وارجوه من فضله وتوبوا إليه مما سلف وكان من الإساءة والتقصير فإن الله لا يتعاظمه ذنب أن يغفره، قال تعالى: ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝﴾ [الزمر: ٥٣].

وقف مستقبلاً القبلة يدعو الله حتى غربت الشمس وتأكد من غروبها، وقال: «هدينا مخالف لهديهم»(١٨)، فإن المشركين يدفعون من عرفة قبل غروب الشمس، أما المسلمون فيبقون فيها إلى أن تغرب الشمس، فمن دفع من عرفة قبل غروب الشمس فقد أخطأ وعليه دم، فعلى المسلم أن يبقى بها إلى أن تغرب

الشمس ويتأكد من غروبها.

ثم انصرف إلى مزدلفة وكانت عليه السكينة في سيره ويدعو أمته لذلك[١٩]، إن رأى فرجة أسرع وإن رأى ضيقاً تمهل؛ ليعلم أمته أن لا يضرّ بعضهم بعضاً، ولا يحطم بعضهم بعضاً.

أتى مزدلفة فصلى بها المغرب والعشاء جمعاً وقصراً، المغرب ثلاثاً والعشاء ركعتين عند وصوله إلى المزدلفة، والمبيت بمزدلفة واجب من واجبات الحج بنص القرآن والسنة، قال تعالى: ﴿فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ﴾ [البقرة:١٩٨]، وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من شهد صلاتنا هذه ووقف معنا حتى ندفع وقد وقف بعرفة قبل ذلك ليلاً أو نهاراً فقد أتم حجه وقضى تفثه**»[٢٠]، ويجوز الانصراف منها بعد غيبوبة القمر؛ لأن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رخص للنساء والضعفاء أن يدفعوا من مزدلفة بعد مضي نصف الليل بعد غيبوبة القمر، والمستحب أن يصلي بها الفجر اقتداء بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فاحذورا أيها الحجاج أن تخلّوا بالمبيت بمزدلفة؛ فإنّ من أخل بها فقد ترك واجباً من واجبات الحج.

ثم إنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صلى الفجر بالمزدلفة، وذكر الله عند المشعر الحرام، ثم انصرف إلى منى قبل أن تطلع الشمس، والتقط حصى الجمار سبعاً في طريقه من مزدلفة إلى منى، وهن مثل حصى الخذف وقال: «**أمثال هؤلاء فارموا**»، ثم قال: «**يا أيها الناس إياكم والغلو في الدين**»[٢١]، يحذّر أمته من

الغلو في دين الله والزيادة فيما لم يشرعه الله؛ فإن الغالي في دين الله على خطر عظيم؛ لأن الغالي يرى نفسه على حق وهو على غير هدى، فليس بواجب أن تلتقط الجمار كلها من مزدلفة، بل تلتقطها من مزدلفة أو منى.

أتى النبيّ صلى الله عليه وسلم منى فبدأ بجمرة العقبة فرماها بسبع حصيات، ثم نحر هديه، ثم حلق رأسه، وهذه سنن يوم النحر: الرمي ثم النحر ثم الحلق أو التقصير ثم طواف الإفاضة. فالسنة ترتيبها هكذا: رمي جمرة العقبة، ثم نحر الهدي، ثم الحلق أو التقصير والحلق أفضل؛ لأنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دعا للمحلقين ثلاثاً وللمقصرين واحدة، ثم الطواف بالبيت ومن قدّم شيئاً على شيء فلا حرج عليه، فقد سئل صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال له رجل: لم أشعر فنحرت قبل أن أرمي، قال: «ارم ولا حرج»، فما سئل يومئذ عن شيء قدم أو أخر إلا قال: «افعل ولا حرج»[٢٢].

وبعد أن طاف بالبيت طواف الإفاضة صلوات الله وسلامه عليه رجع إلى منى فبات بها ليالي التشريق، والمبيت بمنى من واجبات الحج؛ لأن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رخص للعباس لأجل سقايته فدلّ على أن الرخصة مستثناة من أمر واجب.

وكان يرمي الجمار في أيام التشريق بعد الزوال يبدأ بالأولى ثم الوسطى ثم العقبة، فرماها أيام التشريق الثلاث، والمبيت بمنى واجب ليلتين لمن أراد التعجل، وثلاثاً لمن أراد التأخر، ثم ينفر النفر الأول، ومن أراد التأخير فليَرْمِ يوم

العاشر ويوم الحادي عشر ويوم الثاني عشر - فقال الله تعالى: ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِى يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة:٢٠٣].

أيها المسلم.. إن كنت قادراً بنفسك على رمي الجمار فذاك أفضل مع احترام إخوانك وعدم إلحاق الضرر والأذى بهم، وإن كنت عاجزاً عن الرمي لمرض أو كبر أو كانت امرأة ربما يشق الرمي عليها، فجائز أن توكِّلَ غيرَها ليرمي عنها، والنائب في الرمي يرمي الأولى عن نفسه ثم عن موكله، ثم يرمي الوسطى عن نفسه ثم عن موكله، ثم يرمي العقبة عن نفسه ثم عن موكله، ومن شق عليه الرمي في اليوم الحادي عشر وأخره إلى الثاني عشر أو الثالث عشر فالكل جائز؛ لأن الله يقول: ﴿۞ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ﴾ [البقرة:٢٠٣]، وقبل انصرافك من مكة أخي الحاج طُفْ طواف الوداع مودّعاً بيت الله سائلاً الله القبول والتوفيق والهداية.

حجاج بيت الله الحرام.. إن حج بيت الله الحرام ركن من أركان الإسلام، قد يتصور البعض من الناس أن حج بيت الله يسقط عنه واجبات الإسلام وتكاليف الشريعة، فيظن أنه إذا حج وترك فرائض الإسلام فلا شيء عليه، وذاك من وساوس الشيطان.

فيا أيها الحاج المسلم.. اتق الله في حجك، واجعل حجك نقلة لك من شر إلى خير، ومن فساد إلى صلاح، ومن انحراف إلى استقامة، واسأل الله المزيد من فضله، قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه»(٢٣)، وقال: «والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة»(٢٤).

تضرعوا بين يدي ربكم واسألوه من فضله وكرمه، اسألوه الثبات على دينه والاستقامة على الهدى، اسألوه الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل، يقول الله عز وجل في حق العباد: ﴿فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَـٰقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾﴾ [البقرة: ٢٠٠-٢٠٢]، فأتبِعُوا العمل الصالح بأعمالٍ صالحةٍ، ليبقى الثواب والأجر إن شاء الله.

اللهم وفق المسلمين، اللهم اغفر للمسلمين، اللهم اجمع كلمتهم ووحد صفوفهم، اللهم اغفر لجميع أموات المسلمين الذين شهدوا لك بالوحدانية ولنبيك بالرسالة وماتوا على ذلك، اللهم اغفر لهم وارحمهم وعافهم واعف عنهم، وأكرم نزلهم ووسع مدخلهم واغسلهم بالماء والثلج والبرد، ونقهم من الذنوب والخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس، اللهم من أرادنا وسائر المسلمين بشرّ فاجعل شرّه في نحره، اللهم تقبل منا حجنا، اللهم اجعل حجنا مبروراً وسعينا مشكوراً وذنبنا مغفوراً، اللهم انصر دينك وكتابك ونبيك وعبادك الصالحين، اللهم آمنا في أوطاننا وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، اللهم وفق إمام المسلمين وولي عهده وحكومته لما تحبه وترضاه، اللهم أيده بنصرك وكن له عوناً ونصيراً، اللهم وفقه لكل عمل صالح وجازه عن الإسلام والمسلمين خيراً إنك على كل شيء قدير، ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم، ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا

وترحمنا لنكونن من الخاسـرين، ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين، أعاده الله على عموم المسلمين وعلينا جميعاً باليُمْن والبركة والخير، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه ومن سار على دربه واقتفى أثره إلى يوم الدين.

الهوامش

(١) سبق تخريجه في خطبة عام (١٤٠٢هـ)، الهامش (١).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: فضائل القرآن، باب: كيف نزل الوحي، وأول ما نزل، (فتح الباري ٩/ ٣، ح ٤٩٨١)، ومسلم في صحيحه ١/ ١٣٤، كتاب: الإيمان، باب: وجوب الإيمان برسالة محمد صلى الله عليه وسلم، ح(١٥٢).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: زيادة الإيمان ونقصانه، (فتح الباري ١/ ١٤١، ح٤٥)، ومسلم في صحيحه ٤/ ٢٣١٣، كتاب: التفسير، باب: (بدون)، ح(٣٠١٧)، واللفظ لمسلم.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢٢١٥، كتاب: الفتن وأشراط الساعة، باب: هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض، ح(٢٨٨٩).

(٥) أخرجه أبو داود في سننه ٢/ ٢١٨، كتاب: المناسك، باب: زيارة القبور، ح(٢٠٤٢)، وابن ماجه في سننه ١/ ٤٣٣، كتاب: إقامة الصلاة والسنة فيها، باب: ما جاء في التطوع في البيت، ح(١٣٧٧)، وأحمد في مسنده ٢/ ٣٦٧، واللفظ لأحمد.

(٦) أخرجه مالك في الموطأ، وسبق تخريجه في خطبة عام (١٤٠٢هـ)، الهامش (٦).

(٧) أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما، وسبق تخريجه في خطبة عام (١٤٠٢هـ)، الهامش (٤).

(٨) أخرجه مسلم في صحيحه، وسبق تخريجه في خطبة عام (١٤٠٥هـ)، الهامش (٦).

(٩) أخرجه مسلم في صحيحه، وسبق تخريجه في خطبة عام (١٤٠٢هـ)، الهامش (٧).

(١٠) أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما، وسبق تخريجه في خطبة عام (١٤٠٢هـ)، الهامش (٧).

(١١) أخرجه النسائي في السنن الكبرىٰ، والبيهقي في السنن الكبرىٰ، وأصله عند مسلم في صحيحه، وسبق تخريجه في خطبة عام (١٤٠٢هـ)، الهامش (١٠).

(١٢) أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما، وسبق تخريجه في خطبة عام (١٤٠٢هـ)، الهامش (١٣).

(١٣) أخرجه مسلم في صحيحه، وسبق تخريجه في خطبة عام (١٤٠٦هـ)، الهامش (٨).

(١٤) أخرجه أحمد في مسنده، وابن خزيمة في صحيحه، والبيهقي في سننه، وسبق تخريجه في خطبة عام (١٤٠٥هـ)، الهامش (١٢).

(١٥) أخرجه الترمذي في سننه، والنسائي في سننه، وابن ماجه في سننه، وأحمد في مسنده، وسبق تخريجه في خطبة عام (١٤٠٣هـ)، الهامش (١٢).

(١٦) أخرجه مسلم في صحيحه، وسبق تخريجه في خطبة عام (١٤٠٤هـ)، الهامش (١١).

(١٧) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه، وابن حبان في صحيحه، وسبق تخريجه في خطبة عام (١٤٠٤هـ)، الهامش (١٠).

(١٨) يعني: أهل الشرك والأوثان، والحديث أخرجه الشافعي في مسنده، والبيهقي في السنن الكبرىٰ، وسبق تخريجه في خطبة عام (١٤٠٥هـ)،

الهامش (١٦).

(١٩) جاء ذلك في حديث جابر الطويل في صفة حجة النبي صلى الله عليه وسلم الذي أخرجه مسلم في صحيحه، وسبق تخريجه في خطبة عام (١٤٠٤هـ)، الهامش (١٦).

(٢٠) أخرجه الترمذي في سننه ٣/ ٢٣٨، كتاب: الحج عن رسول الله، باب: ما جاء فيمن أدرك الإمام بجمع فقد أدرك الحج، ح(٨٩١)، والنسائي في سننه ٥/ ٢٦٣، كتاب: مناسك الحج، باب: فيمن لم يدرك صلاة الصبح مع الإمام بالمزدلفة، ح(٣٠٣٩)، وأبو داود في سننه ١/ ٦٣٤، وابن ماجه في سننه ٢/ ١٠٠٤، كتاب: المناسك، باب: من أتى عرفة قبل الفجر ليلة جمع، وأحمد في مسنده ٥/ ١٥، واللفظ للترمذي، وقال: حديث حسن صحيح.

(٢١) أخرجه النسائي في سننه ٥/ ٢٦٨، كتاب: الحج، باب: التلبية في السير، ح(٣٠٥٧)، وابن ماجه في سننه ٢/ ١٠٠٨، كتاب: المناسك، باب: قدر حصى الرمي، ح(٣٠٢٩)، وأحمد في مسنده ١/ ٢١٥، واللفظ لابن ماجه.

(٢٢) أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما، وسبق تخريجه في خطبة عام (١٤٠٦هـ)، الهامش (١٠).

(٢٣) أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما، وسبق تخريجه في خطبة عام (١٤٠٧هـ)، الهامش (٨).

(٢٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الحج، باب: وجوب العمرة وفضلها، (فتح الباري ٣/ ٧٦١، ح ١٧٧٣).

خُطْبَةُ عَامِ «١٤١٠» الْهِجْرِيِّ

السَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ.

إِنَّ الْحَمْدَ لِلهِ نَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا فَمَن يَهْدِهِ اللهُ فَلا مُضِلَّ لَهُ وَمَن يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ(١).

أما بعد:

أيها الناس.. اتقوا الله تعالى حق التقوى، اتقوه تعالى بامتثال أمره، واجتناب نهيه؛ لتكونوا من السعداء في الدنيا والآخرة.

أمة الإسلام.. إن من كمال حكمة الرب وكمال عدله أن بعث رسله مبشرين ومنذرين؛ ليقيم بهم حجته على العباد، ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء:١٦٥]، جعل الله الرسل متفاوتين في الفضل ﴿۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾ [البقرة:٢٥٣].

اختار أولي العزم الخمسة: نوحاً وإبراهيم وموسى وعيسى وسيد ولد آدم محمداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، واختار الخليلين إبراهيم ومحمداً، ثم اصطفى محمداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على سائر الأنبياء والمرسلين، وجعله سيدهم، بل وأفضل الخلق، فهو أفضل خلق الله على الإطلاق.

بعثه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ برسالة عامة إلى جميع الثقلين، ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ:٢٨]، بعثه على حين فترة من الرسل واندراس من العلم والهدى.

وقد طبق الأرض جهلٌ عظيمٌ وضلال مبين، واندرست الملة الحنيفية، فلم يبق عليها إلا نزرٌ من الناس، «وإن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب»(٢)، افترض الله على الجميع طاعته ومحبته والانضواء تحت لوائه كما قال جل وعلا: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف:١٥٨].

أمة الإسلام.. إن لهذا النبي الكريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حقوقاً يجب علينا رعايتُها والقيامُ بها.

فأعظم حق له صلى الله عليه وسلم علينا أن نؤمن به ونصدق برسالته، ونعتقد أنه عبد الله ورسوله، الواسطة بيننا وبين الله في تبليغ شرعه ودينه، فإن الإيمان به أحد ركني التوحيد، إذِ التوحيد قائمٌ على ركنين: تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وإن اسم الإسلام بعد مبعثه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خاصٌ بما جاء به، وكان اسم الإسلام عاماً لجميع ديانات الرسل، وبعد مبعث محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صار مسمى الإسلام خاصاً بشريعته التي بُعث بها صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران:٨٥]، ويقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «والذي نفس محمد بيده لا

يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار»(٣).

ومن حقه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علينا: طاعته فيما أمرنا به؛ فإن طاعته طاعة لله، وإن معصيته معصية لله. ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]، ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧]. ويقول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى»، قالوا: يا رسول الله ومن يأبى؟ قال: «من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى»(٤).

ومن حقه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علينا: أن نحكّم سنته، وأن نتحاكم إليها، وأن نستجيب لمن دعانا إلى التحاكم إليها، وأن نرضى بحكمه ونسلّم، وأن لا يكون في صدورنا حرج من أي حكم حكم به صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يقول الله عز وجل: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾﴾ [النور: ٥١]، والذين لا يرضون بحكمه، في قلوبهم مرضُ النفاق، وارتياب من رسالته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال تعالى: ﴿أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓا۟ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [النور: ٥٠].

ومن حقه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علينا: ألا تكون لنا خيرة في أي أمرٍ أَمَرَنا به، أو نهْيٍ نهانا عنه، أو حُكْمٍ حَكَمَ به؛ لأننا نعتقد اعتقاداً جازماً أنه أولى بنا من أنفسنا، ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [الأحزاب:٦]، ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب:٣٦].

ومن حقه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علينا: أن يكون هوانا ومرادنا تابعاً لما جاء به صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإذا تعارض في نظر العبد أمران، أمرُ هوى النفس، وأمرٌ جاء به المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلنقدم ما جاء به المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على هوى النفوس ومشتهياتها، فهو صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به»(٥).

ومن حقه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علينا: أن نحبه المحبة الصادقة، فأصل محبته من أصول الإيمان، وكمالها من كمال الإيمان، وهي أن نحبه محبة فوق محبة النفس والولد والوالد والناس أجمعين، يقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين»(٦)، وكلما قويت محبة العبد لمحمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كلما قوي الاتباع والاقتداء.

ومن حقه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علينا: أن نتبع منهجه ونقتفي أثره ونسير على ما سار عليه قدر الاستطاعة والإمكان، قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ

ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]، وقال الله عز وجل: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْ﴾ [النور: ٥٤]، وقال عز وجل: ﴿وَلِأُتِمَّ نِعۡمَتِى عَلَيۡكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٥٠﴾ [البقرة: ١٥٠]، وإن المؤمن ليجد نفسه منشرحة بالاقتداء بالمصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهو على يقين جازم أن المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أكمل الخلق أخلاقاً، وأحسنهم سيرة، وأعلاهم فضيلة، قال الله تعالى في حقه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ٤﴾ [القلم: ٤]، وقال تعالى: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ٢١﴾ [الأحزاب: ٢١].

أمة الإسلام.. إن أصحابه الكرام نقلوا لنا حياته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كأن المسلم يشاهد ذلك عياناً، نقلوا ذلك لنا كله لنقتفي أثره ونسير على نهجه، فهاهم رضي الله عنهم وأرضاهم ينقلون لنا حياته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هذا يصف لنا وضوءه، وهذا يصف صلاته، وهذا يصف حجه، وهذا يصف كل أحواله، العبادات والعادات، ما افترض علينا العمل به، وما استحب لنا ذلك، فنقلوا لنا كيف كان يأكل، وكيف كان يشرب، وكيف كان ينام، وأحواله في سفره وإقامته، وأحواله في جميع تعامله، حتى سيرته مع أهله، كل ذلك سجلوه ليحثوا الأمة على اقتفاء أثره والسير على نهجه؛ لأن ذلك عنوان الإيمان الصادق.

ومن حقه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علينا أن ننصر سنته، وأن ندافع عنها، وأن نزيل كل شبه لفقت بسنته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإن الواجب على المؤمن أن

ينصر هذا النبي الكريم بقلبه ولسانه وجوارحه، وإن نصرته من واجبات الإيمان، يقول الله عز وجل: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [الأعراف:١٥٧].

فلقد نصره أصحابه الكرام ودافعوا عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بكل غالب ونفيس، وإن المسلم في كل زمان ينصر هذا النبي الكريم بنصرة سنته، بدعوة الخلق إلى العمل بها، بالدفاع عنها، بإزالة كل شبه لفقها المضلون والجاهلون.

أمة الإسلام.. أمة القرآن.. إن سنة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هي الوحي الثاني، قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه»[٧]، وهو معصوم فيما يبلغ عن الله، يقول عز وجل: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾ [النجم:٣،٤].

أمة الإسلام.. إن هناك فئة من الناس تحاول زعزعة ثقة الأمة بسنة نبيها صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإن هم إلا أعوان الشياطين تصديقاً لقوله سبحانه: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [الفرقان:٣١]، وقوله عز وجل: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [الأنعام:١١٢].

كشف خطر من يحاول زعزعة ثقة المسلم بسنة الرسول صلى الله عليه وسلم، وتحذير المسلمين منهم

فتارة يرون العقل مقدماً عليها وأنه يجب أن يحكم العقل على ما قاله المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فما وافق عقولهم وأهواءهم قبلوه، وما لم تقبله

عقولُهم رفضوه، وهذا عين الجهل والضلال. فأي عقل من عقول البشر يكون حكَماً على سنة المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليقبل بعضاً ويرد بعضاً، وتارة يطعنون في حملتها من الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان.

والله جل وعلا قد تكفل بحفظ سنة نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول عز وجل: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: ٩]، هيأ الله لها رجالاً حملوها ومحصوها وصانوها عن كل ما لفق بها، يقول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين**»[٨]. حفظوها ودونوها في دواوين لا تزال خالدة باقية بين المسلمين يتلونها ويعملون بها ويدعون لحملتها بالرحمة والرضوان.

أمة الإسلام.. انصروا سنة نبيكم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ودافعوا عنها ولا تصغوا إلى شبه المشبّهين وضلالات المضللين.

يا علماء الإسلام.. إن الواجب علينا أن نقبل سنة المصطفى وأن نرضى بها وأن نعمل بها وأن ننقاد إليها وأن لا نحكّم عقولنا فيها، فعقولنا قاصرة من أن تكون حكماً على ما قاله المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

أمة الإسلام.. إن الله تعالى بعث محمداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ برسالة شاملة عامة إلى جميع الثقلين إنسهم وجنهم، واختار لمبعثه أم القرى مكة -شرفها الله وزادها تعظيماً وتشريفاً- استجابة لدعوة الخليل عليه السلام حيث قال: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ

وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ﴾ [البقرة:١٢٩]، فبعث الله محمداً صَلَّى اللهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ في الأميين من العرب، وانطلقت دعوته من مكة المكرمة -شرفها الله- حتى عمّت جميع الجزيرة، فلما انقادت الجزيرة له ودخلوا في دين الله عز وجل، وقبضه الله إليه، قام أصحابه بهذا الدين، ففتحوا البلاد وأناروا قلوب العباد حتى أعلى الله دينه تصديقاً لقوله: ﴿لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ۝٣٣﴾ [التوبة:٣٣].

بيان حال العرب قبل الإسلام وبعده

إن المتدبر لحال العرب قبل الإسلام يعلم أنهم في غاية من الضلال، في غاية من الجهل والإعراض، في جهالة جهلاء، وضلالة عمياء، لا يعرفون منكراً من معروف، ولا حقاً من باطل، متفرقين تسودهم الحروب الطاحنة، يقضي القوي على الضعيف، فهم في غاية من الجهل والضلال، كما قال الله لهم: ﴿وَإِن كُنتُم مِّن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ۝١٩٨﴾ [البقرة:١٩٨].

عزة المسلم في التمسك بالإسلام، ولا عزة له بسواه

فلما انقادوا للإسلام واستجابوا لله ورسوله، جمع الله بالإسلام شتاتهم، ووحّد به صفوفهم، وأعزهم به بعد الذلة، وأغناهم به بعد العيلة، وجعلهم بالإسلام ملوكاً على رقاب العباد.

قال قتادة رحمه الله في قوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ أَنتُمۡ قَلِيلٞ مُّسۡتَضۡعَفُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمۡ وَأَيَّدَكُم بِنَصۡرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ [الأنفال:٢٦]، قال: كان هذا الحي من العرب أذل الناس ذلاً، وأجوعه بطوناً، وأعراه جلوداً، وأبينه جهلاً، قوم يؤكلون ولا

يأكلون، من عاش منهم عاش شقياً، ومن مات تردى إلى النار، حتى جاء الله بالإسلام، فأعزّ به من الذلة، وأغنى به من العيلة، ووسع به في البلاد، وجعلكم حكاماً على رقاب العباد، فبالإسلام أعطى الله ما رأيتم، فاشكروا الله، فإن الله شكور، وأهل الشكر منه في مزيد(٩).

فيا معشر العرب.. اتقوا الله في إسلامكم، اتقوا الله في دينكم، اعلموا أنه لا عزّ لكم ولا قدر لكم إلا إذا تمسكتم بهذا الدين، وطبقتموه قولاً وعملاً، فهو الذي سيجمع قلوبكم، وهو الذي سيخلصكم من الكوارث، وهو الذي سيُعزّكم من الذلّ، ولا قدر لكم إلا بالإسلام، وأيّ ميثاق غير الإسلام فلن يحقق لكم ما تريدون تمسّكوا بهذا الدين واجتمعوا عليه، وكونوا يداً واحدة على من ناوأكم، فأيّ خلاف بينكم مهما كان نوعه فهو باب يلج عليكم من خلاله أعداؤكم، فاجتمعوا على دين الله، وتمسّكوا بهذا الدين، واعملوا به لعلكم تفلحون.

يا أمة الإسلام.. يا خير أمة أخرجت للناس، أنتم أفضل الأمم وخير الأمم وأكرمها على الله، ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، هذه الخيرية لن تنالوها إلا إذا عملتم بمقتضاها، فاستمسكتم بدين الله وأمرتم بالمعروف ونهيتم عن المنكر وحكّمتم دينَ الله في كل قليل وكثير.

إن أعداءكم يا معشر المسلمين علموا فضلكم وعرفوا مكانتكم ودرسوا تاريخكم الماضي الحافل بالأمجاد والمكارم، وعلموا أن تلك القوة إنما نلتموها بالإسلام، فسعوا جهدهم في القضاء على دينكم، جرّدوا لكم الحملات العسكرية ليقضوا عليكم فعجزوا، ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ

ٱسْتَطَٰعُوٓاْۚ﴾ [البقرة:٢١٧].

وبعد ذا سعوا في إضلالكم عن دينكم، نشروا عقائد الإلحاد والضلال، حاربوكم بما يسمى بالحرب الفكرية؛ حتى إن أعداء الإسلام لما استعمروا ديار الإسلام غيروا مناهج تعليمها، وجعلوها مناهج تخدم مبادئ أعداء الإسلام؛ ليتربى الأجيال على غير الإسلام، وتنقطع صلتهم بدينهم وتاريخهم المجيد، فهل وعى المسلمون ذلك، وهل أحسّوا بهذا الخطر، وهل فكّروا أن يعيدوا مناهج تعليم أبنائهم على ضوء الإسلام؛ لكي يرتبط الحاضر بالماضي، ويكون بين هذه الأجيال الحاضرة وبين أسلافهم الأخيار صلة قوية بهذا الدين وآدابه وفضائله.

حارَبوا الأمة اقتصادياً فضيّقوا الخناق عليها، وتدخّلوا في شؤونها الداخلية حتى أضرُّوا بها، وأوحوا إليها أنه لا استطاعة لها أن تقف بنفسها، بل لابدَ من عون أعدائها لها، وهم بذلك مخطئون ضالّون، فهل فكّر المسلمون في تحرير اقتصادهم من مبادئ أعدائهم؛ ليكون اقتصاداً متفقاً مع دينهم، ألم يأن للمسلمين أن يعلموا أن هذا يكفل لهم العيش في رخاء ورغد.

أمة الإسلام.. حارَبَنَا أعداؤنا داخلاً وخارجاً، أحدَثوا في الأمة الإسلامية أحزاباً وطوائف وشيعاً، سلَّطوا بعضها على بعض، دَعَموها بأسلحة الدمار والخراب؛ ليقضي المسلمون بعضهم على بعض، وليقتل بعضهم بعضاً، وليهلك بعضهم بعضاً؛ حتى يكون الميدان فسيحاً لهم، خالياً من مقاومة المسلمين، فهل وعى المسلمون وعرفوا أن أعداءهم لا يريدون لهم نصحاً وإنما هم الأعداء الألداء.

أمة الإسلام.. إن إعلام الأمة الإسلامية واجبه في هذا العصر عظيم،

فعليه أن ينهض بمسؤوليته ويقوم بواجبه، فالإعلام اليوم أصبح وسيلة بثّ ودعاية لكل ما يراد منه، فإن وُجّه التوجيه الطيب أصلح بإذن الله، وإن وُجّه غير ذلك صار وسيلة هدم وتخريب.

دور الإعلام في نصرة الإسلام

إعلامنا الإسلامي يجب عليه أن يقوم بمسؤوليته، ويعلم أن أعداءنا عن قريب سوف يبثّون البثّ المباشر إلى سائر بلاد الإسلام؛ ليصل هذا البثّ إلى منازل المسلمين ويخاطب أفرادهم على تنوّع طبقاتهم ومعلوماتهم وتديّنهم.

الأعداء سوف ينشرون من البرامج ما هو سيء وخبيث، فواجب إعلام الأمة أن يهتم بهذا، وأن يجنّد وسائله ليكون إعلاماً صالحاً يقاوم الشرّ بالخير ويحصّن الأمة عقيدة وديانة، ويزيدها وعياً وتفكيراً سليماً، ويحذّرها من الأضرار والأخطار، وهذا واجب جميع وسائل الإعلام أولاً، ثم رجال التربية والتعليم، ثم المسؤولين عن رعاية شباب الأمة الإسلامية؛ ليحصّنوها عقدياً وفكرياً وأخلاقياً ضد هذا الداء الخطير، حتى يكون إعلامنا إعلاماً صالحاً يخدم الخير ويدعو إليه، ويحذّر من الشرّ ووسائله، وإنّ لنا بتوفيق الله لأمل كبير في إعلام بلادنا أن يخطو الخطوة الأولى نحو الخير والصلاح؛ لتتبعه بقية وسائل إعلام الأمة الإسلامية، فتتضافر الجهود في سبيل تحصين العقيدة والأخلاق من أن يطرأ عليها ما يؤثّر عليها -لا سمح الله-.

حقيقة الإسلام

أمة الإسلام.. إن هذا الدين الإسلامي قول وعمل واعتقاد، فلابدّ من اعتقاد القلب ولابدّ من نطق اللسان وعمل الجوارح، هذا هو الإسلام النافع، هذا هو الإسلام المؤثّر، وكم نسمع من منتسبين إلى الإسلام وهم بعيدون عن

تعاليمه وعن قيمه وأخلاقه، يدّعون الإسلام وليس لهم بالإسلام صلة، فاحذروا ذلك يا عباد الله، وليكن إسلامكم إسلاماً صحيحاً قولاً وعملاً واعتقاداً وتمسكاً بهذا الدين وتحكيماً له.

نداء إلى حكام المسلمين وقادتهم للعود إلى الإسلام والتمسك به

يا قادة المسلمين.. يا حكام المسلمين.. اتقوا الله في أنفسكم، واتقوا الله في شعوبكم، أصلحوا أوضاعهم، عودوا إلى الإسلام عوداً صحيحاً، تمسّكوا بهذا الدين، حوّلوا النظم والقوانين إلى نظم الإسلام وتعاليمه؛ لتعيشوا أنتم وشعوبكم في رغد وأمان واستقرار، ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الأعراف:٩٦]، فلا عزّ لنا ولا استقرار لنا ولا أمان لنا إلا إذا كان هذا الدين دستور حياتنا ونظام حياتنا في كل قليل وكثير، وفّقَ الله قادة المسلمين جميعاً للتمسّك بهذا الدين والعمل به وتحكيمه والدعوة إليه.

نصيحة لدعاة الإسلام والصالحين

يا دعاة الإسلام.. اتقوا الله في أنفسكم، تمسّكوا بهذا الدين، واعملوا به واحذروا مكائد أعدائكم، فإنّ لأعدائكم مكائد عظيمة، احذروا مكائدهم، تمسّكوا بهذا الدين علماً وعملاً، واعرضوه كما جاء عرْضاً صافياً خالياً من الأغراض والأهواء، خالياً من البدع والشبهات، إن هذا الدين إذا عُرِض على الملأ بصورته الصادقة فالنفوس تقبله وتطمئنّ إليه، فاحذروا مكائد أعدائكم الذين ربما صوّروا الإسلام أنه المخرّب والمدمّر والمفرّق بين الشعوب، والمحدث البلبلة والاضطراب، احذروا مكائد أعدائكم، فلا تصغوا إليهم، وتمسّكوا بدينكم كما جاء عن ربكم ونبيكم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

حجاج بيت الله الحرام.. اليوم وقد انتظم عقدكم بهذا المكان المبارك، وحللتم تلك الديار المباركة، فاشكروا الله أولاً وقبل كل شيء على نعمته عليكم بالإسلام، ثم على نعمته بتبليغكم الوصول إلى هذه الديار المقدسة، فتلك نعمة عظيمة من الله، حللتم بهذه الديار فوجدتموها -ولله الحمد- آمنة مطمئنة موفر فيها كل خير، فالحمد لله على فضله وكرمه، وهذا بتوفيق الله ثم بتحكيم شرع الله وإقامة حدود الله وردع كل من تسوّل له نفسُه الإجرامَ والفسادَ، فهذه البلاد -ولله الحمد- تحكّم شرع الله، وتقيم حدود الله، فمحاكم الشرع واضحة، والأحكام كلها خاضعة لشرع الله، مطبّقة لأحكام الله على وفق كتاب ربنا وسنة نبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولهذا عاشت هذه البلاد -ولله الحمد- في أمان واستقرار وتعاون بين الأفراد والقادة، وارتباط وثيق قائم على مبدأ الإسلام، فالحمد لله على فضله وكرمه.

حجاج بيت الله الحرام.. إن الله افترض الحجّ على المسلمين، على كل مسلم في عمره مرة، فجعله فريضة العمر من أدّاه مرة فقد أدّى الواجب، وما زاد فهو تطوّع إن تيسّر، قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أيها الناس إن الله فرض عليكم الحج فحجوا»، فقال رجل: أكل عام يا رسول الله؟ فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لو قلت نعم، لوجبت، ولما استطعتم»، ثمّ قال: «ذروني ما تركتكم...»[(١٠)]، وهذا من فضل الله، فمن أدّى الحج في عمره مرة فقد أدّى الواجب وبرئت ذمّته.

هذا المؤتمر العظيم الذي تلتقي فيه الأمة الإسلامية رغم اختلاف اللون واللغة والبلاد على هدف واحد: أخوة الإسلام، ووحدة الإيمان، ﴿إِنَّمَا

ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ﴾ [الحجرات: ١٠].

هذا المؤتمر العظيم الذي دعا إليه رب العالمين ﴿لِّيَشۡهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمۡ﴾ [الحج:٢٨]، هذه المنافع العظيمة أصلها وأساسها انطلاق القلب إلى الله، وانجذابه إلى طاعته، حيث يفارق المسلم وطنه وأهله وبلده استجابة لنداء الله الذي فرض عليه ذلك، والتقاء المسلمين بعضهم ببعض، وتعارفهم وتآلفهم وسيلة قوية إلى قوتهم واستقامة حالهم، وَفَّقَ الله المسلمين لما يحبُّه ويرضاه.

حجاج بيت الله الحرام.. إن الله من فضله وكرمه جعل هذا البلد الأمين تحت قيادة أمينة بذلت كلّ غالٍ ونفيسٍ في سبيل توفير الراحة لحجاج بيت الله الحرام، وجهودها لا تزال متواصلة؛ فكلّ عام أفضل من ماضيه، وعلى مدار العام والخدمات متواصلة، والجهود والأفكار تتابع في سبيل إيجاد ما فيه راحة لحجاج بيت الله الحرام؛ ليؤدّوا نسكهم في يسر وسهولة، وعلى رأس الجميع خادم الحرمين وإمام المسلمين -وفقه الله ووليَّ عهده لما يحبّه ويرضاه ووفّقهم لكلّ خير وجزاهم عما فعلوا خيراً-، كلّ هذه الجهود المتواصلة إنما يبعث عليها طاعةُ الله والحرصُ على منفعة المسلمين؛ ليؤدوا نسكهم على الوجه المطلوب، فالحمد لله رب العالمين.

حجاج بيت الله الحرام.. حجّ نبيُكم صَلَّى اللهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ حجة واحدة، تُعۡرَف عند المسلمين بأنها حجّة الوداع، هذه الحجّة العظيمة أعلمهم فيها مناسك حجّهم، فما عمل عملاً إلا قال: «خذوا عني مناسككم»(١١)، وقال: «لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا»(١٢).

جاء لموقف عرفة فخطب الناس بوادي عرنة، خطبهم خطبة هدم فيها قواعد الشرك، وأعلن فيها قواعد الإسلام، وبيّن حرمة الدماء والأموال، وألغى مآثر الجاهلية وأعمالها السيئة، وبيّن ما للمرأة من حقوق وما عليها من واجبات، وأوصى الناس بالتمسك بكتاب الله وأخبرهم أنهم لن يضلّوا إن تمسّكوا به واعتصموا به، ثم استشهدهم على أنه بلّغهم، فأقرّوا جميعاً بأنه بلّغهم، وأنه أدّى الأمانة وبلّغ الرسالة، فاستشهد الله عليهم بذلك(١٣).

ثم صلّى الظهر والعصر جمعاً وقصراً بأذان وإقامتين، أذّن ثم أقام فصلّى الظهر ركعتين، ثم أقام فصلّى العصر ركعتين، وما صلّى قبلهما ولا بعدهما شيئاً.

ثم وقف بعرفة وقال لهم: «**وقفت هاهنا وعرفة كلها موقف**»(١٤)، ليبين أن ليس للوقوف في عرفة مكان معين، بل جميع حدود عرفة أيّ موضع وقف فيه المسلم أدّى الواجب، وفي هذا الموقف العظيم وقف يدعو راكباً على راحلته مفطراً، شكّ الصحابة هل كان مفطراً، فبعثوا إليه بقدح لبن فشربه والناس ينظرون إليه(١٥)؛ لأن المستحب للحاجّ بعرفة أن يكون مفطراً؛ ليتفرّغ للدعاء والذكر.

وهذا اليوم العظيم -أعني: يوم عرفة- يقول فيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الحج عرفة**»(١٦)، فهو ركن أساسي من أركان الحج، يبدأ هذا الوقوف من يوم عرفة وينتهي بطلوع فجر يوم النحر، فإنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**من جاء ليلة جمع قبل طلوع الفجر فقد أدرك الحج**»(١٧)، فمن لم يقف بعرفة إلا ساعة من نهار، ووقف بها إلى الغروب، أو أتاها بعد المغرب ووقف بها ولو قليلاً، فإنه قد أدى الركن العظيم من أركان الحج.

أيـها المسلمون.. وهذا اليوم العظيم كان نبيكم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مشغولاً فيه بدعاء الله والتضرع بين يديه، وكان يقول: «خير ما قلت أنا والنبيون من قبلي يـوم عرفة: لا إله إلا الله وحده لا شـريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قديـر»[١٨]، وأخبرهم أن خير الدعاء دعاء يوم عرفة[١٩]، فأكثِرُوا فيه من الدعاء، وتضرَّعوا بين يدي ربكم، وتوبوا إلى الله مما سلف من سيئات أقوالكم وأعمالكم؛ فإنّ الله تعالى يقبل التوبة ويعفو عن السيئات ويغفر لمن استغفره: ﴿قُلْ يَـٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥٣﴾ [الزمر:٥٣].

وجاء في الحديث يقول الله تعالى: «يا بن آدم، إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان فيك ولا أبالي، يا بن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي»[٢٠]، فتضرَّعوا بين يدي ربكم فهذا يوم عظيم، يوم يعتق الله فيه عبيده من النار، يقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبداً من النار من يوم عرفة، وإنه ليدنو ثم يباهي بهم الملائكة فيقول: ما أراد هؤلاء؟»[٢١]، وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ما رئي الشيطان يوماً هو فيه أصغر ولا أدحر ولا أحقر ولا أغيظ منه في يوم عرفة»[٢٢]، وأنه ينزل جلّ جلاله إلى سمائه الدنيا عشية عرفة نزولاً يليق بجلاله فيباهي بأهل الأرض أهلَ السماء ويقول: «انظروا إلى عبادي أتوني شعثاً غبراً ضاحين يرجون رحمتي ولم يروا عذابي، أشهدكم أني قد غفرت لهم»[٢٣].

قِفُوا بهذا الموقف إلى أن تغرب الشمس اقتداءً بنبيكم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،

فإنه وقف حتى غربت الشمس وذهبت الصفرة وغاب القرص، ثم انصرف بعد ذلك، وقال: «هدينا مخالف لهديهم»[٢٤].

وبعد غروب الشمس انصرفوا إلى مزدلفة اقتداء بنبيكم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ انصرف لما غربت الشمس من عرفة إلى مزدلفة وصلّى بها المغرب والعشاء جمعاً وقصراً، أذّن للأولى وأقام للأولى والثانية، فصلّى المغرب ثلاثاً والعشاء ركعتين بأذان وإقامتين، ولم يصلّ قبلها ولا بعدها.

وبعد مضي معظم الليل لا بأس بالانصراف من مزدلفة للضعفة والنساء، ومن سواهم عليه البقاء فيها إلى أن يصلي بها الصبح، ثم يدفع الحاج بعد ذلك إلى منى، ويبدأ أعمال يوم النحر برمي جمرة العقبة اقتداءً بنبيكم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فإنه صلّى الفجر بمزدلفة في أول وقت الفجر، ثم التقط حصى الجمار في طريقه من مزدلفة إلى منى سبع حصيات فلما وضعهنّ في يده قال: **«أمثال هؤلاء فارموا»**، ثم قال: **«يا أيها الناس إياكم والغلو في الدين»**[٢٥]، فرمى جمرة العقبة بسبع حصيات ثم نحر هديه ثم حلق رأسه.

وهذه أفعال يوم النحر: الرمي، ثم النحر ثم الحلق ثم الطواف والسعي، فمن استطاع ترتيبها كذلك فذلك خير، ومن قدّم بعضها على بعض فلا حرج عليه، فنبيكم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سئل يوم النحر قال له قائل: لم أشعر فنحرت قبل أن أرمي، قال: «ارم ولا حرج»، وقيل له: حلقت قبل أن أنحر، قال: «ارم ولا حرج»، وقيل له: حلقت قبل أن أنحر، قال: «لا حرج»، فما سئل يومئذ عن شيء قدّم ولا

أخر من هذه الأنساك الأربعة إلا قال: «افعل ولا حرج»(٢٦).

فإذا رمى المسلم جمرة العقبة، وقصّر أو حلق رأسه -والحلق أفضل- حلّ له كل شيء حرم عليه بالإحرام إلا النساء، فحلّ له الطيب ولبس المخيط؛ لأنّ نبيكم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تطيّب لإحرامه قبل أن يحرم، ولحلّه قبل أن يطوف بالبيت.

ورمي الجمار واجب يفعله المسلم بنفسه، فإن عجز لمرض أو كبر أو زحم دونها ونحو ذلك من الأعذار أناب عنه غيره، ولا بأس بذلك؛ قال جابر بن عبد الله رضي الله عنه: حججنا مع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومعنا النساء والصبيان، فلبينا عن الصبيان ورمينا عنهم(٢٧)، وهذا أصل في جواز النيابة في رمي الجمار لمن لم يكن مستطيعاً.

ثم طُفْ بالبيت طواف الحج، فإن كنتَ أخي الحاج قارناً أو مفرداً وسعيت مع طواف القدوم فلا تَسْعَ مع طواف الحج، وإن كنت متمتعاً فاسْعَ مع طواف الحج، فإن سعيك الأول إنما هو سعي العمرة.

ثم بتْ بمنى ليالي التشريق اقتداءً بنبيك صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فارمِ الجمار يوم الحادي عشر، الصغرى بسبع حصيات، ثم الوسطى بسبع حصيات، ثم جمرة العقبة بسبع حصيات، ثم اليوم الثاني عشر كذلك الصغرى ثم الوسطى ثم العقبة، ثم إن أحببت أن تتعجّل فاخرج من منى قبل غروب الشمس يوم الثاني عشر، وإن أحببت أن تتأخر فتبيت في منى وترمي الجمار الثلاث بعد الزوال يوم

الثالث عشر، فذلك خير، قال الله تعالى : ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِى يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة:٢٠٣]، وقبل مغادرة هذا البلد الطاهر -مكة شرّفها الله- طُفْ بالبيت طواف الوداع واسأل الله القبول والسداد...

إخوة الإسلام.. إن هنالك حقيقة لابدّ أن نتذكرها دائماً؛ إنها حقيقة الموت.. ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [آل عمران:١٨٥]، فتذكّر أخي المسلم حالتك عند الاحتضار، وكيف تعاني في تلك الساعة، وتذكّر أن الناس على قسمين، فمنهم من تزفّ له البشارة، ﴿أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [فصلت: ٣٠]، وهؤلاء أهل الإيمان، وغيرهم قال الله فيهم: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الأنعام:٩٣].

تذكّر أخي دخولك القبر وحلولك أوّل لحظة في أوّل منازل الآخرة، فإما روضة من رياض الجنة وإما حفرة من حفر النار، تذكر ذلك القبر الذي تودع فيه وحيداً فريداً خالياً بعملك، فإما عمل صالح تزداد به أنساً وسروراً، وإما عمل سيء تزداد به وحشة إلى وحشتك، تذكّر حال من يوسّع له في قبره مدّ بصره، ويُفتح له باب من الجنة فيأتيه من نعيمها ومن رَوحها؛ ما يتمنّى أن تقام الساعة لينتقل إلى ما هو خير من ذلك، وتذكّر حال من يضيّق عليه في قبره ويتحسّر بسوء عمله فيقول: ربي لا تُقِم الساعة[٢٨].

تذكّر حالنا يوم وقوفنا بين يدي الله حفاةً عراةً[٢٩]، في يوم كان مقداره

خمسين ألف سنة(٣٠).

ذكر بعض أهوال يوم القيامة

تذكّر دنو الشمس من الخلائق وتفاوتهم في العرق، فمنهم من يبلغ به العرق إلى عقبيه، ومنهم من يبلغ بـه إلى حقويه، ومنهم من يبلغ به إلى ثدييه، ومنهم من يُلجِمه العرقُ إلجاماً(٣١).

تذكّر وقوفنا بين يدي الله يوم عرْضنا على الله، يوم يكلّم الله كلاً منّا، فما منّا من أحدٍ إلا سيكلّمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان(٣٢).

تذكّر يوم نعطى صحائف الأعمال، فآخِذٌ كتابه بيمينه فيزداد فرحاً وسروراً، وآخِذٌ كتابه بيساره فيزداد حزناً وكآبة.

تذكّر أخي يوم مرورنا على الصراط، فناجٍ مسلّم، ومخدوش ناجٍ، ومكدوس في النار(٣٣).

تذكّر إذا دخل أهل الجنة الجنة، ونادى منادٍ: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ودخل أهل النار النار، ونادى منادٍ: يا أهل النار خلودٌ فلا موت(٣٤).

تذكّروا تلك الأهوال والمواقف العظيمة عسى أن تكون هادية لنا إلى التمسك بديننا والقيام بحق الله علينا، نسأل الله لنا ولكم الثبات على الحق والاستقامة على الهدى إنه على كل شيء قدير.

وجوب التحلي بأخلاق النبي صلى الله عليه وسلم، والتزام تقوى الله في الحج

أيها الحجاج.. اتقوا الله في حجكم، والزموا الأدب الإسلامي، تخلّقوا بالحلم والأناة والصفح والإعراض، ولتكن المحبة والتواصي بالحق سائدة بينكم، اتقوا الله في حجّكم، فهذه مشاعر الحجّ لا رفث ولا فسوق ولا جدال فيها، فالمشاعر يُذكَر الله فيها ويُتقرّب إليه بما يحبّ من الأعمال الصالحة، فاحذروا كل ما يفسد

الأعمال ويضعفها، زادكم الله توفيقاً وسداداً.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، ودمر أعداء الدين، وانصر عبادك الموحدين، اللهم اجعل هذا البلد آمناً مطمئناً وسائر بلاد المسلمين، اللهم آمنا في أوطاننا، وأصلح ولاة أمرنا، وولاة أمور المسلمين جميعاً، إنك على كل شيء قدير، اللهم وأبرم لهذه الأمة أمر رشد يعزّ فيه أهل طاعتك ويذلّ فيه أهل معصيتك ويؤمر فيه بالمعروف وينهى فيه عن المنكر فأنت على كل شيء قدير، ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر: ١٠]، ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾﴾ [البقرة: ٢٠١].

سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

أعاده الله عليّ وعليكم وعلى إمام المسلمين وسائر المسلمين باليمن والبركة والخير، وصلى الله وسلم وبارك على عبدالله ورسوله محمد، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

الهوامش

(١) سبق تخريجه في خطبة عام (١٤٠٢هـ)، الهامش (١).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، وسبق تخريجه في خطبة عام (١٤٠٢هـ)، الهامش (٢).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ١/ ١٣٤، كتاب: الإيمان، باب: وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد صلىٰ الله عليه وسلم إلىٰ جميع الناس ونسخ الملل بملته، ح(١٥٣).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: التمني، باب: الاقتداء بسنن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، (فتح الباري ١٣/ ٣١٠، ح ٧٢٨٠).

(٥) أورده ابن حجر في فتح الباري وعزاه إلىٰ الحسن بن سفيان، ووثق رجاله، وقال: صححه النووي في آخر الأربعين، وذكره التبريزي في مشكاة المصابيح، وسبق تخريجه وذكر نصوص أخرىٰ في هذا المعنىٰ، ونقل كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في خطبة عام (١٤٠٥هـ)، الهامش (٤).

(٦) أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما، وسبق تخريجه في خطبة عام (١٤٠٥هـ)، الهامش (٢).

(٧) أخرجه أحمد في مسنده ٤/ ١٣٠، وأبو القاسم الطبراني في مسند الشاميين ٢/ ١٣٧ .

(٨) أخرجه البيهقي في السنن الكبرىٰ ١٠/ ٢٠٩، كتاب: الشهادات، باب: الرجل من أهل الفقه يسأل عن الرجل من أهل الحديث فيقول: كفّوا عن حديثه لأنه يغلط أو يحدث بما لم يسمع أو أنه لا يبصر الفتيا،

ح(٢٠٧٠٠)، وأبو القاسم الطبراني في مسند الشاميين ١/ ٣٤٤، واللفظ له.

(٩) أخرجه الطبري في تفسيره ٩/ ٢٢٠، وابن كثير في تفسيره ٢/ ٣٠١.
وأورده الشيخ محمد بن عبد الوهاب في مختصر تفسير سورة الأنفال، تحقيق: د. ناصر بن سعد الرشيد ١/ ١٣، ولفظه: «**كان هذا الحي من العرب أذل الناس ذلاً وأشقاه عيشاً وأجوعه بطوناً وأعراه جلوداً وأبينه ضلالاً، من عاش منهم عاش شقياً، ومن مات منهم ردي في النار، يؤكلون ولا يأكلون، والله ما نعلم قبيلاً من حاضر أهل الأرض يومئذ كانوا شرّ منزلاً منهم، حتى جاء الله بالإسلام، فمكّن به في البلاد ووسّع به في الرزق وجعلهم به ملوكاً على رقاب الناس، وبالإسلام أعطى الله ما رأيتم، فاشكروا الله على نعمه، فإن ربكم منعم يحب الشكر، وأهل الشكر في مزيد**».

(١٠) أخرجه مسلم في صحيحه، وسبق تخريجه في خطبة عام (١٤٠٢هـ)، الهامش (٨).

(١١) أخرجه النسائي في السنن الكبرىٰ، والبيهقي في السنن الكبرىٰ، وأصله عند مسلم في صحيحه، وسبق تخريجه في خطبة عام (١٤٠٢هـ)، الهامش (١٠).

(١٢) أخرجه النسائي في السنن الكبرىٰ، وأصله عند مسلم في صحيحه، وسبق تخريجه في خطبة عام (١٤٠٢هـ)، الهامش (٩).

(١٣) جاء ذلك في الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما، وسبق تخريجه في خطبة عام (١٤٠٢هـ)، الهامش (١١).

(١٤) أخرجه مسلم في صحيحه، وسبق تخريجه في خطبة عام (١٤٠٦هـ)،

الهامش (٨).

(١٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الحج، باب: الوقوف على الدابة بعرفة، (فتح الباري ٣/ ٦٥٤، ح ١٦٦٢)، ومسلم في صحيحه ٢/ ٧٩١، كتاب: الحج، باب: استحباب الفطر للحاج يوم عرفة، ح(١١٢٣) عن ميمونة زوج النبى صلى الله عليه وسلم أنها قالت: إن الناس شكّوا فى صيام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم عرفة، فأرسلت إليه ميمونة بحلاب اللبن وهو واقف فى الموقف، فشرب منه والناس ينظرون إليه.

(١٦) أخرجه الترمذي في سننه، والنسائي في سننه، وابن ماجه في سننه، وأحمد في مسنده، وسبق تخريجه في خطبة عام (١٤٠٣هـ)، الهامش (١٢).

(١٧) أخرجه الترمذي في سننه ٣/ ٢٣٧، كتاب: الحج عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب: ما جاء فيمن أدرك الإمام بجمع فقد أدرك الحج، ح(٨٨٩)، والنسائي في سننه ٥/ ٢٥٦، كتاب: مناسك الحج، باب: فرض الوقوف بعرفة، ح(٣٠١٦)، وأبو داود في سننه ٢/ ١٩٦، كتاب: المناسك، باب: من لم يدرك عرفة، ح(١٩٤٩)، وابن ماجه في سننه ٢/ ١٠٠٣، كتاب: المناسك، باب: من أتى عرفة قبل الفجر ليلة جمع، ح(٣٠١٥).

(١٨) أخرجه الترمذي في سننه، ومالك في الموطأ، والبيهقي في السنن الكبرى، وسبق تخريجه في خطبة عام (١٤٠٢هـ)، الهامش (١٨).

(١٩) انظر: التخريج السابق.

(٢٠) أخرجه الترمذي في سننه ٥/ ٥٤٨، كتاب: الدعوات، باب: في فضل

التوبة والاستغفار وما ذكر من رحمة الله لعباده، ح(٣٥٤٠)، وأحمد في مسنده ٥/ ١٥٤، والدارمي في سننه ٢/ ٤١٤، كتاب: الرقاق، باب: إذا تقرب العبد إلى الله، ح(٢٧٨٨)، واللفظ للترمذي.

(٢١) أخرجه مسلم في صحيحه، وسبق تخريجه في خطبة عام (١٤٠٤هـ)، الهامش (١١).

(٢٢) أخرجه مالك في الموطأ، وعبد الرزاق في مصنفه، وسبق تخريجه في خطبة عام (١٤٠٢هـ)، الهامش (١٦).

(٢٣) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه، وابن حبان في صحيحه، وسبق تخريجه في خطبة عام (١٤٠٢هـ)، الهامش (١٥).

(٢٤) يعني: أهل الشرك والأوثان، والحديث أخرجه الشافعي في مسنده، والبيهقي في السنن الكبرىٰ، وسبق تخريجه في خطبة عام (١٤٠٥هـ)، الهامش (١٦).

(٢٥) أخرجه النسائي في سننه، وابن ماجه في سننه، وأحمد في مسنده، وسبق تخريجه في خطبة عام (١٤٠٩هـ)، الهامش (٢١).

(٢٦) أخرجه البخاري في صحيحه، ومسلم في صحيحه، وسبق تخريجه في خطبة عام (١٤٠٦هـ)، الهامش (٢١).

(٢٧) أخرجه ابن ماجه في سننه ٢/ ١٠١٠، كتاب: المناسك، باب: الرمي عن الصبيان، ح(٣٠٣٨)، والبيهقي في السنن الكبرىٰ ٥/ ١٥٦، كتاب: الحج، باب: حج الصبي، ح(٩٤٩٥)، وأحمد في مسنده ٣/ ٣١٤ .

(٢٨) جاء معنىٰ ذلك في الحديث الذي أخرجه أحمد في مسنده ٤/ ٢٨٧، بلفظ: **«... فتعاد روحه في جسده، ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هاه هاه**

لا أدري، فينادى مناد من السماء: أن كذب فافرشوا له من النار وافتحوا له باباً إلى النار، فيأتيه من حرّها وسمومها، ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه، ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب منتن الريح فيقول: أبشر بالذي يسوءك، هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول: من أنت؟ فوجهك الوجه يجئ بالشر، فيقول: أنا عملك الخبيث، فيقول: ربّ لا تقم الساعة».

(٢٩) جاء ذلك في الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما، وسبق تخريجه في خطبة عام (١٤٠٦هـ)، الهامش (١٤).

(٣٠) جاء ذلك في الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه ٢/ ٦٨٠، كتاب: الزكاة، باب: إثم مانع الزكاة، ح(٩٨٧).

(٣١) جاء ذلك في الحديث الذي أخرجه مسلم في صحيحه، وسبق تخريجه في خطبة عام (١٤٠٦هـ)، الهامش (١٣).

(٣٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الرقاق، باب: من نوقش الحساب فقد عذب، (فتح الباري ١١/ ٤٨٨، ح ٦٥٣٩)، ومسلم في صحيحه ٢/ ٧٠٣، كتاب: الزكاة، باب: الحث على الصدقة ولو بشق تمرة أو كلمة طيبة وأنها حجاب من النار، ح(١٠١٦)، ولفظ البخاري: عن عدي بن حاتم قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «ما منكم من أحد إلا وسيكلمه الله يوم القيامة ليس بين الله وبينه ترجمان ثم ينظر فلا يرى شيئاً قدامه ثم ينظر بين يديه فتستقبله النار فمن استطاع منكم أن يتقي النار ولو بشق تمرة».

(٣٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: التوحيد، باب: قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾، (فتح الباري ١٣/ ٥١٩، ح ٧٤٤٠)، ومسلم في صحيحه ١/ ١٦٩، كتاب: الإيمان، باب: معرفة

طريق الرؤية، ح(١٨٣)، ولفظ البخاري في حديث أبي سعيد الخدري: «... **ثم يؤتى بالجسر فيجعل بين ظهري جهنم؟**» قلنا: يا رسول الله وما الجسر؟ قال: «**مدحضة مزلة عليه خطاطيف وكلاليب وحَسَكة مُفَلطحَة لها شوكة عُقَيْفَاء تكون بنجْد يقال لها: السّعْدان، المؤمن عليها كالطرْف وكالبْرق وكالريح وكأجاويد الخيل والركاب، فناج مُسَلّم وناج مخدوش ومكدوس في نار جهنم حتى يمر آخرهم يسحب سحباً**».

(٣٤) جاء ذلك فيما رواه البخاري في صحيحه، وسبق تخريجه في خطبة عام (١٤٠٦هـ)، الهامش (١٧).

خطبة عام «١٤١١» الهجري

السَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ.

إِنَّ الْحَمْدَ للهِ نَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا فَمَن يَهْدِهِ اللهُ فَلا مُضِلَّ لَهُ وَمَن يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ(١).

أما بعد:

الوصية بتقوى الله عز وجل

أيها المسلمون.. اتقوا الله تعالى حق التقوى اتقوا ربكم فإن تقوى الله خير وصية أوصى الله بها الأولين والآخرين ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١] فاتقوا الله عباد الله فبتقوى الله تنالون السعادة في الدنيا والآخرة.

ذكر صفات أهل الإيمان ونقيضها من صفات أهل الكفر والنفاق

أمة الإسلام.. أمة القرآن: إن الله جل جلاله ضمّن كتابه العزيز صفات أهل الإيمان وأخلاقهم وصفات غيرهم من الكفار والمنافقين.

ذكر صفات أهل الإيمان في مقام المدح لهم والمدح لأعمالهم والحث عليها وبيان مآلهم، وذكر صفات غيرهم في معرض الذم لها والذم لمن تخلّق بها وبيان ما ينتهي إليه حالهم، ﴿كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ إِلَيْكَ مُبَـٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَـٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [ص: ٢٩]، ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾ [ق: ٣٧]، ﴿إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ

أَقْوَمُ﴾ [الإسراء:٩]، فمن تدبر كتاب الله رأى فيه الهدى والنور وقاده إلى كل خير وسعادة، ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾﴾ [طه:١٢٣].

أمة الإسلام.. يقول الله جل جلاله وهو أصدق القائلين: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [التوبة:٧١].

أمة الإسلام.. هذه أوصاف المؤمنين حقاً، فالمؤمنون هم أولئك الذين آمنوا بقلوبهم ونطقوا بألسنتهم وعملوا بجوارحهم بمقتضى هذا الإيمان الصادق الذي استقر في القلب فظهر أثره على الجوارح فاستقام العبد في أقواله وسلوكه، ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة:٧١]، هذا الإيمان ليس إيمان دعوى ولكنه الإيمان الصادق، يقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن الإيمان ليس بالتحلي ولا بالتمني ، إنما الإيمان ما وقر في القلب وصدقه العمل»[٢]، المؤمنون والمؤمنات أولياء بعض، هذه الولاية بين المؤمنين هي التي حققها الإيمان الذي وحّد القلوب وجمع الشمل، ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات:١٠]، ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [الأنفال:٦٣].

إن لهذه الولاية آثارها العظيمة، فمن آثار تلكم الولاية ما بين المؤمنين من محبة في ذات الله فالمؤمن يحب أخاه المؤمن في ذات الله يحبه لكونه مطيعاً لله،

من آثار ولاية المؤمنين بعضهم لبعض: الحب فيما بينهم في ذات الله

لكونه قائماً بشرع الله، لكونه مستجيباً لله ولرسوله يحبه محبة عميقة في قلبه؛ وهذه المحبة أثر من آثار الإيمان، يقول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ذكر السبعة الذين يظلهم الله تحت ظله يوم لا ظل إلا ظله: «ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه»[٣]. ويقول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وأن يحبَّ المرءَ لا يحبه إلا لله»[٤].

فهذه المحبة الصادقة التي دعا إليها الإيمان، محبة المؤمن لأخيه -وإن نأت الديار واختلفت اللغات والألوان، لكن جمعتهم أخوة الإيمان ووحدة الإسلام- هذه محبة لم تقم على أهداف مادية، ولكنها قامت على أساس العقيدة، فهي محبة باقية لا تَصَدُّعَ لِبِنَاها ولا انفصام لعُرَاها، بل محبة باقية إلى أن يلتقوا في دار كرامة الله، ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزخرف:٦٧].

ومن آثارها: الناصرة بين المؤمنين

ومن آثار تلكم الولاية نصر المؤمن لأخيه المؤمن، فالمؤمن ينصر أخاه ويدفع عنه ظلم الظالمين وعدوان المعتدين وبغي الباغين، فلا يسمح لأخيه أن تناله مظلمة من أي إنسان، يقف معه حتى يدفع الظلم عنه، ويحول بين الظالم وبين أن يعتدي عليه؛ لأنه وإياه كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر[٥]، وهو مع هذا كله ينصره إذا حصل منه ظلم على أحد فلا يرضى أن يَظلِم ولا أن يُظلَم، تحجزه عن الظلم وتمنعه عن الإجرام، قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً»، فقال رجل: يا رسول الله أنصره إذا كان مظلوماً أفرأيت إذا كان ظالماً كيف أنصره؟ قال: «تحجزه أو تمنعه من الظلم فإن ذلك نصره»[٣].

ومن آثار ولاية المؤمنين بعضهم لبعض أن المؤمن يفرح بكل خير ناله أخوه المسلم وبكل خير حصل عليه أخوه المسلم، ويغتمّ بكل سوء مسَّ أخاه المسلم، فهو يفرح لفرحه ويحزن لحزنه؛ لأنه كالجزء منه، فيرى كل خير نالـه أخوه المسلم كأنه واصل إليه، وكل أذى أو بلاء ناله أخوه المسلم فكأنما ناله ذلك البلاء.

ومن آثار تلكم الولاية محبة المؤمن الخير لأخيه وكراهة الشر لأخيه، فهو يحب له ما يحب لنفسه ويكره لـه ما يكره لنفسه، يقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**» (٧).

ومن آثار ولاية المؤمنين بعضهم لبعض أن أهل الإيمان أهل تواصٍ بالحق وتواصٍ بالخير وتعاونٍ على البر والتقوى وبُعْدٍ عن التعاون على الإثم والعدوان، فالمؤمن مرآة أخيه، المؤمن ينصحه ويوجهه ويهديـه الطريق المستقيم، كلما رأى من أخيه خللاً أصلح ذلك الخطأ، وأقام ما اعوجّ، وستر كل عيب، وأمدّ أخاه بالنصيحة الصادقة والعاطفة والتوجيه السليم، نصيحة انطلقت من قلب يحبّ الخير لأخيه ويكره الشرّ لأخيه، ينصحه نصيحة المحبّ المشفق عليه الذي يتمنى له كل خير وسعادة، ويكره له كل شـرّ وبلاء، إن أهل الإيمان كمّلوا أنفسهم بالإيمان والعمل الصالح، ثم سعوا في تكميل إخوانهم بذلك، ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾ [العصر:٣].

ومن آثار تلكم الولاية تراحم المؤمنين فيما بينهم فالمؤمن يرحم أخاه ويشفق عليه، ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح:٢٩].

ومن آثارها: حب المؤمن الخير لأخيه المؤمن

ومن آثارها: التواصي بينهم بالحق والتعاون على البر والتقوى، ومحبة الخير لأخيه المؤمن

ومن آثارها: التراحم فيما بينهم

ومن آثارها: بُعد المؤمن عن إيذاء أخيه

أيها المؤمنون.. وإن من آثار تلكم الولايـة أن المؤمن بعيدٌ عن أن يـصيب أخاه بـأذى، فالمؤمنون يـأمنون أخاهم على دمائهم وأموالهم لا يخشون غدره ولا يخشون خيانـته ولا يخشون ضرره ولا شرّه، بل هم في أمن على دمائهم وأموالهم، يقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «والمـؤمن من أمنه النـاس على دمـائهم وأموالهم»(٨)، فلا ترى المؤمن حقاً خائناً لأمانته، ولا مخلفاً لوعده، ولا تراه يكيد المكائد لإخوانه المؤمنين، ولا يسعى في إلحاق الضرر والأذى بهم، بل هو يتجنب ذلك ويبتعد عنه، ليس عوناً على إخوانه، ولكنه عوناً لهم ومساعداً لهم على الخير فلا يعين غيرهم عليهم، ولا يسعى بإلحاق الضرر بهم، يـقولـ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده»(٩).

إن المؤمن يرى أن كل ضرر وأذى لحق بأي فرد أو بأي مجتمع مسلم فإنما ذلك الأذى حاصل عليه ولاحِقٌ به، فهو يبتعد عن الأذى والضرر ويتجنب ذلك كله.

ومن آثارها: السعي في إصلاح ذات بينهم

ومن آثار تلكم الولاية أن المؤمنين يسعون في إصلاح ما بـينهم وحلّ مشاكلهم في إطار دينهم وإسلامهم؛ امتثالاً لقول الله تـعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡ﴾ [الأنفال: ١]، فأهل الإيمان يصلحون بين الناس ويقرّبون بينهم إذا تباعدوا ويبتغون بذلك وجه الله، فهم يسعون في الإصلاح وتأليف القلوب وجمع الكلمة ولمّ الشعث؛ لأن ذلك من مقتضى إيمانهم، فإيمانهم يدعوهـم إلى أن يكونوا جسداً واحداً، وأن يكونوا كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً ويـقوي

بعضه بعضاً(١٠).

هذه بعض آثار الإيمان الصحيح، فلنكن كما أراد الله لنا ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٧١﴾ [التوبة: ٧١].

الدعوة إلى الله خلق الأنبياء والرسل والتابعين لهم بإحسان

أمة الإسلام.. إن الدعوة إلى الله خُلق أنبيائه ورسله والتابعين لهم بإحسان، ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٠٨﴾ [يوسف: ١٠٨]، إن الدعوة إلى الله أمانة في أعناق الأمة الإسلامية التي فضَّلها الله وشرَّفها وجعلها خير أمة أخرجت للناس، ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ﴾ [آل عمران: ١١٠]، فالله الذي شرّف هذه الأمة وفضَّلها على الأمم وجعلها خير أمة أخرجت للناس، واجبُها أن تكون قائمة بالدعوة إلى الله، وأن تدعو العباد إلى الله وتهديهم منهج الله وصراطه المستقيم.

أمة الإسلام.. إن كثيراً من العالم ليتخبط في جهله وضلاله حائراً في أمره يلتمس داعياً يدعوه إلى الهدى مرشداً يرشده قائداً يقوده إلى الخير.

حاجة الناس إلى الدعاة المخلصين

لقد جرّب العالم شعارات وجرّبوا أفكاراً ومبادئ، ولكنها انحسرت وزالت، فالعالم متطلّع إلى دين قويم ودعاة مخلصين يصلحون القلوب والأعمال ويعرضون هذا الدين كما جاء عن الله وكما جاء به المصطفى محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ، فإن هذا الدين إذا عُرِض على القلوب السليمة كما جاء عن الله وكما دعا إليه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبلته، ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾ [الروم: ٣٠].

وصايا للدعاة

دعاة الإسلام.. إن الدعوة إلى الله سبيل الأنبياء والمرسلين، فلتكن دعوتكم خالصة لله تبتغون بها وجه الله والدار الآخرة، وتريدون إنقاذ البشرية من حيرتها، تريدون هدايتها إلى منهج الله، تريدون أن تستضيء بوحي الله ونوره كما استضأتم. فادعوا إلى الله على علم وبصيرة، أخلصوا لله دعوتكم وابتغوا بها وجه الله والدار الآخرة، واسلكوا بدعوتكم منهج نبينا محمد بن عبدالله صلوات الله وسلامه عليه، فهو أكمل الخلق دعوة وأحسنهم توجيهاً وإرشاداً.

التدرج في الدعوة من أهم أسس الدعوة الناجحة

فمن أراد لدعوته القبول فلينهج منهج النبي محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في وضوح دعوته ووضوح مبادئها وفي سلامتها في منهجها ومبدئها؛ فإن محمداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بدأ بعقيدة التوحيد قبل كل شيء، فأرسى عقيدة التوحيد في النفوس، مكث بمكة بضع عشرة سنة يدعو الخلق إلى تحقيق لا إله إلا الله، إلى العلم بها والعمل بمقتضاها، ويزيل كل مظاهر الشرك، حتى إذا ثبتت العقيدة في النفوس جاءت الأوامر والنواهي، فقبلت النفوس أوامر الله وابتعدت عن مناهي الله، فتربى الرعيل الأول هذه التربية الصادقة على هذا المنهج العظيم، فانطَلَقُوا بعد ذلك دعاةً إلى الله، فأصلح الله بهم البلاد والعباد، وأقاموا شرع الله

على معظم أرجاء المعمورة، وذلك لصدقهم مع الله وإخلاصهم وحسن دعوتهم وسلوكهم منهج محمد بن عبدالله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما يدعون إليه وفيما ينهون عنه.

إذن فالدعاة إلى الإسلام لابدّ أن يسيروا على هذا المنهج القويم، وليحذروا أن تكون دعواتهم مشبوهة أو مغرضة أو تخدم أهدافاً وأفكاراً وأموراً بعيدة عن حقيقة الدعوة إلى الإسلام، إن كثيراً من العالم أحياناً قد يتصور أن الإسلام مصدر قلق للشعوب ومصدر فتن وبلاء، وماذاك من الإسلام، ولكنه من سوء تصرّف بعض الدعاة إليه، الذين أخرجوا الدعوة إلى الإسلام عن منهجها، وساروا بها على غير طريقها.

أما الدعاة الصادقون المخلصون الذين سلكوا مسلك النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ساروا على كتاب الله وعلى منهج النبي محمد بن عبد الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فإن دعوتهم بتوفيق الله تكون لها الآثار الحميدة؛ لأنها دعوة صادقة صالحة ليس لها غاية ولا هدف سوى إصلاح الخلق وهدايتهم والأخذ بأيديهم إلى ما يحبه الله ويرضاه.

أمة الإسلام.. إن العالم الإسلامي في أواخر القرن الثالث الهجري دبّت إليه أفكار وآراء بعيدة ودخيلة على هذا الدين، حتى عمّ كثيراً من دول الإسلام، جهلٌ وبعدٌ عن هذا الدين، ولكن الله من فضله وكرمه أقام علماء هذه الأمة مقام

الأنبياء فيمن مضى، فإن الأنبياء لم يورّثوا ديناراً ولا درهماً وإنما ورّثوا العلم، والعلماء ورثوا الأنبياء(١١).

فقام دعاة إلى الله من هذه الأمة بواجبهم العظيم، وسجل لهم التاريخ كل خيروعمل صالح، فما قامت بدعة ولا ضلالة بأي قطر من أقطار الإسلام إلا هيأ الله لها من علماء الأمة من بَيَّنُوا الحق من الباطل فدحضوا الباطل وأقاموا حجة الله على العباد، فما خلا قطر ولا قرن من الزمن من داع يدعو إلى الله ويبصر عباد الله ويهديهم منهج الله ويعيدهم إلى المنهج الصحيح السليم.

ولكن هؤلاء الدعاة منهم من قيّض له من يحمي دعوته ويشدّ أزرها ويدافع عنها، ومنهم من لم يتهيأ له ذلك، وربك حكيم عليم، ولقد جرى على هذه الجزيرة ما جرى على غيرها من جهلٍ وبُعدٍ عن منهج الله وتنكّب للطريق المستقيم، حتى هدى الله رجلاً من أبنائها، وبصّره الله في كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ورأى ما بين واقع مجتمعه وما بين ما دلّ عليه الكتاب والسنة بُعْداً عظيماً، فقام داعياً إلى الله إلى كتاب الله وإلى سنة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإلى ما كان عليه سلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، إلى عبادة الله والتزام هذه الشريعة والعمل بمقتضاها، عرض دعوته على كثيرمن قومه وأهل زمانه إلى أن هيأ الله لها الإمام محمد بن سعود رحمه الله، فقام الإمامان العظيمان محمد بن عبدالوهاب ومحمد بن سعود قيام صدق وإخلاص لله، وتواكبَ العلمُ

والقوةُ حتى مكّن الله لهذه الدعوة، فنمت والتحمت الجزيرة العربية، وتوحّدت بعد فرقتها، وعادت إلى الحق والهدى، واستضاءت بدين الله.

وهذه الدعوة الصالحة -ولله الفضل والمنة- لم تقم لتخدم أهدافاً معينة ولا لأغراض سياسية، ولكنها دعوة صالحة على أساس من كتاب الله وسنة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وانتفع بها الفئام الكثيرة من الناس، فالحمد لله رب العالمين.

فإن هذه الدولة السعودية ولله الفضل والمنة انطلقت من هذا المنطلق، دعوة إلى الله وقيام دولة على أساس من كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتحكيم شرع الله والعمل بذلك، نرجو الله للجميع التوفيق والسداد وأن يوفق الله قادة الأمة الإسلامية للعمل بشرع الله وتحكيم دينه.

نصح لقادة المسلمين والحكام في الدول الإسلامية

قادة المسلمين.. اتقوا الله في أنفسكم، واتقوا الله في شعوبكم، واتقوا الله فيمن ولاكم الله عليهم، واعلموا أن الله سائلٌ كلَّ راعٍ عمّا استرعاه يوم القيامة، فاحذروا أن تلقوا الله وقد خنتم شعوبكم وأمّتكم، وغششتم وكذبتم عليهم، اتقوا الله في أنفسكم، يقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«كلكم راع وكلٌّ مسؤول عن رعيته»**[(١٢)]، ويقول: **«فما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرّم الله عليه الجنة»**[(١٣)].

فاتقوا الله في شعوبكم، وحكّموا فيهم شرع الله وأقيموا فيهم دين الله وطبّقوا

عليهم شريعة الإسلام؛ لتعيشوا أنتم وإياهم في سعادة وفي أمن واستقرار، يقول الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الأعراف:٩٦].

فما أصاب الأمة الإسلامية من ضعف وتفرق وتشتّت فإنما ذاك بسبب البعد عن الإسلام، فلنعد إلى الإسلام عوداً صحيحاً، ولنحكّم شرع الله، ولنُقِم دين الله، ولنحوّل جميع أنظمتنا لتوافق شرع الله؛ لنعيش الحياة السعيدة الطيبة، يقول عز وجل: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل:٩٧].

التعريج على أركان الإسلام الخمس وتوضيحها

أمة الإسلام.. إن الله تعالى بنى هذا الدين على أركان خمسة، أساسها تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، أن نعبد الله وحده مخلصين له الدين، وأن نصرف كل عباداتنا لربنا، نصرف دعاءنا وذبحنا ونذرنا ورجاءنا وخوفنا واستغاثتنا واستعاذتنا واستعانتنا لله وحده، فلا نعبد غيره، ولا نرجو سواه، ولا نستغيث إلا به، ولا نُؤمِّل في تفريج الكربات إلا هو سبحانه وتعالى وتَقدَّس، ونؤمن بمحمد بن عبد الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خاتم أنبياء الله ورسله عليهم السلام، وأن الله ختم بشريعته جميع الشرائع وبرسالته جميع الرسالات نؤدي الصلوات الخمس في أوقاتها نحافظ عليها، ونؤدي زكاة أموالنا، ونصوم رمضان، ونحجّ بيت الله الحرام، فهذه أركان الإسلام من حفظها وحافظ عليها سهل عليه المحافظة على ماسواها.

الحج ركن ومن فضائله

حجاج بيت الله الحرام.. إن الله افترض الحجّ على أمّة الإسلام، وجعله فريضة العمر من أدّاه في عمره مرة فقد أدّى الواجب وبرئت الذمة، ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾ [آل عمران:٩٧]. هذه الفريضة العظيمة التي افترضها على أمة الإسلام وجعلها ركناً من أركان هذا الدين، هذا الحج إلى بيت الله الذي عظّمه الله واختاره من بين بقاع الأرض، حرماً آمناً، وجعله أفضل البقاع وخيرها - زاده الله تشريفاً وتعظيماً-.

من فضل يوم عرفة والاجتماع

حجاج بيت الله الحرام.. أنتم اليوم تقفون على صعيد عرفات، اجتمع عقدكم في هذا المكان المبارك، فاشكروا الله على نعمته أن هيأ لكم الوصول إلى هذه البلاد العظيمة، وأثنوا عليه بما هو أهله، اشكروا ربّكم، ثمّ تأمّلوا نعمة الله عليكم بهذا الدين الذي جمع به بين قلوبكم ووحّد به بين صفوفكم، وجئتم من أقطار الدنيا تؤمّون بيت الله؛ استجابة لأمر الله وتلبية لنداء الخليل، ﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ﴾ [الحج:٢٧، ٢٨].

أجل إنها منافع نشهدها، اجتماع الأمة الإسلامية من أقطار الدنيا، من شرقها وغربها من أقاصي الدنيا جاءوا لغاية واحدة، جاءوا لطاعة الله، جاءوا ابتغاء مرضاة الله، جاءوا استجابة لأمر الله، جاءوا ليتقربوا إلى الله، هذه القلوب ما الذي جمعها وما الذي وحّدها؟ إنها تلتقي على هدف واحد، أخوة الإسلام

ووحدة الإيمان.

فاشكروا الله الذي جمعكم في هذا المكان وليكن هذا الاجتماع سبباً لتآلف القلوب، وتحسس المشاكل، وتعاون المسلمين بعضهم مع بعض فيما يحلّ مشاكلهم، ويساعد في جمع كلمتهم وتوحيد شملهم؛ فإنكم في يوم عظيم وفي مكان مبارك، فاحمدوا الله على هذه النعمة، واستغلّوا هذا الموقف العظيم وهذا المجتمع الكبير في التفاهم والتعاون فيما يعود عليكم وعلى مجتمعاتكم بالخير والسعادة والفلاح.

أمة الإسلام.. إن هذا اليوم يوم عظيم من أيام الله، ألا وهو يوم عرفة الذي يقول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عنه: **«الحج عرفة»**(١٤).

هذا اليوم العظيم اجتمع فيه يومان فاضلان: يوم الجمعة ويوم عرفة، عيد الأسبوع يوم الجمعة وعيد أهل الموقف يوم عرفة، فاجتمع فيه يومان عظيمان من أفضل أيام الله، وفيه الساعة المحققة للإجابة -أعني: في يوم الجمعة- وكذلك في يوم عرفة، يقول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في يوم الجمعة: **«فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو قائم يصلي يسأل الله تعالى شيئاً إلا أعطاه إياه»**(١٥).

اجتماع عيدين في يوم عرفة إذا وافق يوم الجمعة

وإن هذا اليوم ليوافق يومَ وَقَفَ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فنبيكم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقف بهذا المكان منذ ألف وأربعمائة سنة، وقف في هذا المكان، وقف الناس وصلى بهم صلوات الله وسلامه عليه، وهذا اليوم يوافق يوم إكمال الدين وإتمام الله النعمة على هذه الأمة الإسلامية؛ فإن نبيكم صَلَّى اللهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعدما صلى الظهر والعصر ووقف بعرفة أنزل عليه: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا﴾ [المائدة:٣].

كمال هذا الدين في نظمه ومبادئه وتشريعاته

أكمل الله هذا الدين، فليس فيه نقص يحتاج إلى إكمال ولا قصور يحتاج إلى زيادة، دين كامل في نظمه ومبادئه، أخلاقاً وعقيدةً ومنهجاً، أكمل الله الدين؛ فنالت هذه الأمة شرفاً وفضلاً عظيماً.

إن هذا اليوم يا عباد الله يوم يفرح به أهل الجنة، فهو يدعى في الجنة يوم المزيد، يجمع أهل الجنة في وادٍ أفيح ينصب لهم منابر من لؤلؤ ومنابر من ذهب ومنابر من زبرجد ومنابر من ياقوت على كثبان من مسك، فيطّلع الله عليهم، فينظرون إلى وجه ربهم عياناً، فما أعطي أهل الجنة نعيماً أفضل من ذلك النعيم(١٦).

إن هذا اليوم في عشيته ينزل ربكم إلى سمائه الدنيا فيباهي بأهل الأرض أهل السماء، يقول: «**انظروا إلى عبادي أتوني شعثاً غبراً ضاحين من كل فج عميق، أشهدكم أني قد غفرت لهم**»(١٧). وقال: «**ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبداً من النار من يوم عرفة وإنه ليدنو ثم يباهي بهم الملائكة فيقول: ما أراد هؤلاء؟**»(١٨).

التضرع بالدعاء والابتهال في هذا اليوم العظيم

فيا أمة الإسلام، ويا حجاج بيت الله الحرام.. الجأوا إلى الله في يومكم هذا، ومدّوا أكف الضراعة إلى ذي الجلال والإكرام، وتوبوا إليه مما سلف من أقوالكم وأعمالكم؛ فإنّ ربكم يفتح باب التوبة للتائبين، ﴿۞ قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ

جَمِيعًا إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الزمر:٥٣] .

أمة الإسلام.. إن نبيكم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أتى إلى هذا الوادي فخطب الناس خطبة عظيمة هدم فيها قواعد الشرك، وأقام فيها قواعد الإسلام، وألغى مآثر الجاهلية ومعاملتها الربوية، وبيّن ما للمرأة من حقوق وما عليها من واجبات، وأوصى الناس بكتاب الله، وأخبرهم أنهم إن تمسّكوا به لن يضلّوا بعده أبداً، واستشهدهم على أنه بلّغهم رسالات ربّهم فصدّقوا قوله وأقرّوا له، فاستشهد الله عليهم صلوات الله وسلامه عليه، ثم نزل فأمر المؤذن فأذّن فصلّى الظهر ركعتين، ثم أقام فصلّى العصر ركعتين جمعاً وقصراً جمع تقديم، فالسنة في هذا اليوم أن يصلّي الحجاج الظهر والعصر جمعاً وقصراً، الظهر ركعتين، والعصر ركعتين.

ثم إنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ انتقل إلى عرفة، فوقف بعرفة وقال للصحابة: **«وقفت هاهنا وعرفة كلها موقف»**[١٩]، وقال: **«وارفعوا عن بطن عرنة»**[٢٠]، يعني: أن الواقف في أي جزء من أجزاء عرفة فإنه يكون مؤدياً للواجب إذا كان وقوفه داخل حدود عرفة، وفي وقوفه هذا جاءه ناس من أهل نجد يسألونه عن الحج قال: **«الحج عرفة»**[٢١]، وقال: **«من شهد صلاتنا هذه ووقف معنا حتى ندفع وقد وقف بعرفة قبل ذلك ليلاً أو نهاراً فقد أتم حجه وقضى تفثه»**[٢٢].

وفي هذا المقام شكّ الصحابة هل كان صائماً أم مفطراً؟ فبعثت أمّ الفضل بقدح من لبن فشربه والناس ينظرون إليه[٢٣]، مما يدلّ على أن الحاج يستحبّ له الفطر، وأما غير الحاج فالصيام في حقهم هو الأفضل.

ذكر صفة حج النبي صلى الله عليه وسلم

ثم إن نبيكم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ استمرّ واقفاً يدعو الله ويتضرّع بين يديه حتى غربت الشمس واستحكم غروبها، وبعد ذلك انصرف إلى مزدلفة وقال: «هدينا مخالف لهديهم»[٢٤]. فلم ينصرف من عرفة إلا بعد غروب الشمس، فالواجب على الحجاج أن يبقوا في عرفة إلى أن يتأكدوا من غروب الشمس، ولا يحل لمسلم أن ينصرف منها قبل غروب الشمس.

ثم إن نبيكم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ انصرف من عرفة إلى مزدلفة وهو يحث الصحابة على السكينة والوقار في مشيهم وفي سيرهم[٢٥]، فإن رأى فرجة أسرع وإن رأى زحاماً تلبث قليلاً[٢٦]، وهكذا السنة للمسلمين أن لا يضايق بعضهم بعضاً ولا يؤذي بعضهم بعضاً في السير.

وصل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى مزدلفة وصلّى بها المغرب والعشاء جمعاً وقصراً، المغرب ثلاثاً والعشاء ركعتين بأذان وإقامتين، فهذه السنة للحاج أن يصلي المغرب والعشاء جمعاً وقصراً متى وصل إلى مزدلفة، وسواء وصل إليها في وقت المغرب أو وقت العشاء، جمع تقديم أو جمع تأخير.

بات بها صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ورخّص للضعفة من النساء في الانصراف منها بعد غياب القمر، أما هو صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فبات بها حتى صلّى بها الفجر في أول الوقت، وذكر الله عند المشعر الحرام، ثم انصرف إلى منى، وهذه هي السنة، والتقط حصى الجمار ما بين طريقه من مزدلفة إلى منى.

وصل صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى منى فابتدأ جمرة العقبة فرماها بسبع حصيات، ثم نحر هديه، ثم حلق رأسه، ثم طاف طواف الإفاضة بالبيت.

وهذه الأعمال يرتبها الحاج يوم النحر إن قدر على ذلك: رمي جمرة العقبة، ثم نحر الهدي، ثم الحلق أو التقصير والحلق أفضل، ثم الطواف بالبيت والسعي بعده إن لم يكن سعى مع طواف القدوم، أو كان متمتعاً فعليه سعي الحج غير سعي عمرته، وإن قدّم بعضها على بعض فنبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول لمن سأله أنه قدّم الحلق على الرمي أو النحر على الرمي يقول: «افعل ولا حرج»، فما سئل عن شيء يوم النحر قدّم ولا أخّر من أفعال يوم النحر إلا قال: «افعل ولا حرج»[٢٧].

ثم إنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رجع بعدما طاف طواف الإفاضة، فبات بمنى ليلة الحادي عشر، ثم رمى الجمار يوم الحادي عشر بعد الزوال: الأولى ثم الوسطى ثم العقبة، وكذلك في اليوم الثاني عشر، ومكث بمنىً ثلاثة أيام، فلم ينصرف إلا في اليوم الثالث عشر بعدما أكمل رمي الجمار.

فمن تعجّل في يومين فانصرف من منى يوم الاثنين بعدما يرمي الأولى والوسطى والعقبة، أو تأخر إلى اليوم الثلاثاء الثالث عشر، فإن الكلّ جائز قال الله تعالى: ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِى يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة:٢٠٣]، أي: من تعجّل في الدفع من منى في اليوم الثاني عشر فلا إثم عليه، ومن تأخّر فلم يدفع إلا في اليوم الثالث عشر فلا إثم عليه، فلا حرج عليه، ثم بعد ما يكمّل الحاج رمي الجمار يودّع بيت الله الحرام وقد تمّ حجّه بتوفيق الله.

أيها المسلمون.. اشكروا الله على نعمة الإسلام، اشكروه على هذا الفضل العظيم، اشكروه إذ بلغكم الوصول إلى بيت الله الحرام.

حجاج بيت الله الحرام.. هذا وقد اجتمعتم في هذا المكان المبارك، وشاهدتم ولله الفضل والمنّة ما نعمت به بلاد الحرمين من خدمات عظيمة وتسهيلات كبيرة، كم ذلّل من الصعاب وسهل من الأمور بتوفيق الله ورحمته، فإن المسؤولين في هذه البلاد -من أول مسؤول فيهم إلى آخره- بذلوا جهوداً مضنية وجهوداً جبارة، قاموا بواجب عظيم، سهّلوا لحجاج بيت الله الحرام كلّ المهمات، ذلّلوا أمامهم الصعاب، يشاهد المسلم تلك العناية العظيمة بالحرمين والطرق الموصلة إليها، وما تقوم به أجهزة هذه البلاد على اختلافها أمنية وصحية وغير ذلك من أجهزة الدولة التي تقوم بكلّ جهد وبكلّ عمل في سبيل راحة الحجيج.

إنّ هذه الأعمال إنما تقدمها هذه البلاد شكراً لله على نعمته أن جعلهم خدّام بيت الله الحرام، ورعاة هذا البلد الأمين، فهم يؤدّون هذه الأعمال انطلاقاً من مبدأ عظيم، طاعة الله وطاعة رسوله ومحبة الخير لهذه الأمة.

إن هذه البلاد ولله الفضل بما منَّ الله عليها بتحكيم شرع الله وإقامة حدود الله ورعاية الحرمين العظيمين هي أيضاً تنطلق في سبيل راحة المسلمين وتضميد جراحهم، وحلّ مشاكلهم، وإنهاء خصومتهم، وبذل كل جهد في سبيل ما يُسعد الأمة ويعينها من قريب أو بعيد؛ لأنها ترى ذلك واجباً إسلامياً عليها، محبة الخير للأمة والسعي في مصالحهم وجمع كلمتهم وتوحيد شملهم ومساعدتهم في كل كارثة تنزل بهم؛ لأن هذا من منطلق الإيمان، يقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً**»(٢٨). فوفّق الله حكومتنا لكل

خير، وهداهم سواء السبيل، ووفّق إمام المسلمين وولي عهده لما يحبه ويرضاه، وأخذ بأيديهم إلى كل خير.

حجاج بيت الله الحرام.. اشكروا الله على نعمة الإسلام، واحترموا بيت الله، واعلموا أن لهذه الأماكن حرمات عظيمة، فعظّموا حرمات الله كما أمركم بذلك ربكم، اشكروا الله على نعمته، وحافظوا على فرائض الإسلام وواجبات الإيمان، وليكن الحج سبباً في صلاحكم واستقامة أحوالكم، وليرجع الحاجّ بعد حجّه وقد فتح صفحة جديدة في إصلاح القلب والعمل؛ لأن الحج يهدم ما قبله، يقول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«من حجّ لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه»**[٢٩]، فاتقوا الله في أنفسكم واعملوا بشرع الله، وليكن التعاون والتفاهم والمحبة سائداً فيما بينكم؛ لأن هذا خُلُق الإسلام، وواجب أن يمتثله المسلمون.

اللهمّ أعزّ الإسلام، والمسلمين، وأذلّ الشرك والمشركين، ودمّر أعداء الدين، وانصر عبادك الموحّدين، اللهم اجعل هذا البلد آمناً مستقراً وسائر بلاد المسلمين يا رب العالمين، اللهم آمنّا في أوطاننا، وأصلح ولاة أمرنا، وأصلح ولاة أمر المسلمين عامة، إنك على كل شيء قدير، ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رؤف رحيم، ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، عباد الله، إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي، يعظكم لعلكم تذكرون، فاذكروا الله العظيم الجليل يذكركم، واشكروه على عموم نعمه يزدكم، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون.

الهوامش

(١) سبق تخريجه في خطبة عام (١٤٠٢هـ)، الهامش (١).

(٢) هذا قول الحسن البصري، أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، وبنحوه أخرج البيهقي في شعب الإيمان، وسبق تخريجه في خطبة عام (١٤٠٦هـ)، الهامش (٢).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الأذان، باب: من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد، (فتح الباري ٢/ ١٨٢، ح ٦٦٠)، ومسلم في صحيحه ٢/ ٧١٥، كتاب: الزكاة، باب: فضل إخفاء الصدقة، ح(١٠٣١).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: حلاوة الإيمان، (فتح الباري ١/ ٨٢، ح ١٦)، ومسلم في صحيحه ١/ ٦٦، كتاب: الإيمان، باب: بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان، ح(٤٣)، وطرفه: **«ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار»**.

(٥) أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما، وسبق تخريجه في خطبة عام (١٤٠٥هـ)، الهامش (٩).

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه (١٢/ ٤٠٠)، كتاب: الإكراه، باب: يمين الرجل لصاحبه إنه أخوه إذا خاف عليه القتل أو نحوه..، ح(٦٩٥٢).

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، (فتح الباري ١/ ٧٨، ح ١٣)، ومسلم في

صحيحه ١/ ٦٧، كتاب: الإيمان، باب: الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه من الخير، ح(٤٥)، واللفظ للبخاري.

(٨) أخرجه الترمذي في سننه ٥/ ١٧، كتاب: الإيمان عن رسول الله، باب: ما جاء في أن المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، ح(٢٦٢٧)، والنسائي في سننه ٨/ ١٠٤، كتاب: الإيمان وشرائعه، باب: صفة المؤمن، ح(٤٩٩٥)، وابن ماجه في سننه ٢/ ١٢٩٨، كتاب: الفتن، باب: حرمة دم المؤمن وماله، ح(٣٩٣٤)، وأحمد في مسنده ٢/ ٢٠٦ .

(٩) أخره البخاري ومسلم في صحيحيهما، وسبق تخريجه في خطبة عام (١٤٠٢هـ)، الهامش (١٧).

(١٠) جاء ذلك في الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما، وهو قول النبي صلى الله عليه وسلم: **«المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً»**، وسبق تخريجه في خطبة عام (١٤٠٤هـ)، الهامش (٣).

(١١) جاء ذلك في الحديث الذي أخرجه الترمذي في سننه ٥/ ٤٨، كتاب: العلم عن رسول الله، باب: ما جاء في فضل الفقه على العبادة، ح(٢٦٨٢)، وأبو داود في سننه ٣/ ٣١٧، كتاب: العلم، باب: الحث على طلب العلم، ح(٣٦٤١)، وابن ماجه في سننه ١/ ٨١، في المقدمة، باب: فضل العلماء والحث على طلب العلم، ح(٢٢٣) ولفظ الترمذي: **«إن العلماء ورثة الأنبياء، إن الأنبياء لم يورّثوا ديناراً ولا درهماً، إنما ورّثوا العلم، فمن أخذ به أخذ بحظ وافر»**.

(١٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الجمعة، باب: الجمعة في القرى والمدن، (فتح الباري ٢/ ٤٨٢، ح ٨٩٣)، ومسلم في صحيحه

٣/ ١٤٥٩، كتاب: الإمارة، باب: فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر والحث على الرفق بالرعية..، ح(١٨٢٩).

(١٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الأحكام، باب: من استرعى رعية فلم ينصح، (فتح الباري ١٣/ ١٥٨، ح ٧١٥١)، ومسلم في صحيحه ١/ ١٢٥، كتاب: الإيمان، باب: استحقاق الوالي الغاش لرعيته النار، ح(١٤٢)، واللفظ لمسلم.

(١٤) أخرجه الترمذي في سننه، والنسائي في سننه، وابن ماجه في سننه، وأحمد في مسنده، وسبق تخريجه في خطبة عام (١٤٠٣هـ)، الهامش (١٢).

(١٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الجمعة، باب: الساعة التي في يوم الجمعة، (فتح الباري ٢/ ٥٢٧، ح ٩٣٥)، ومسلم في صحيحه ٢/ ٥٨٣، كتاب: الجمعة، باب: في الساعة التي في يوم الجمعة، ح(٨٥٢)، واللفظ للبخاري.

(١٦) جاء ذلك في الحديث الذي أخرجه الترمذي في سننه ٤/ ٦٨٥، كتاب: صفة الجنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب: ما جاء في سوق الجنة، ح(٢٥٤٩)، وابن ماجه في سننه ٢/ ١٤٥٠، كتاب: الزهد، باب: صفة الجنة، ح(٤٣٣٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه في صفة سوق الجنة قال: أخبرني رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«أن أهل الجنة إذا دخلوها نزلوا فيها بفضل أعمالهم، ثم يؤذن في مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا فيزورون ربهم ويبرز لهم عرشه ويتبدى لهم في روضة من رياض الجنة، فتوضع لهم منابر من نور ومنابر من لؤلؤ ومنابر من ياقوت ومنابر من زبرجد ومنابر من ذهب ومنابر من فضة، ويجلس أدناهم وما فيهم من دني على كثبان المسك والكافور، وما يرون أن أصحاب**

الكراسي بأفضل منهم مجلساً»، قال أبو هريرة: قلت يا رسول الله وهل نرىٰ ربنا؟ قال: «نعم»، قال: «هل تتمارون في رؤية الشمس والقمر ليلة البدر؟» قلنا: لا، قال: «كذلك لا تمارون في رؤية ربكم..».

(١٧) أخرجه ابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما، وسبق تخريجه في خطبة عام (١٤٠٢هـ)، الهامش (١٥).

(١٨) أخرجه مسلم في صحيحه وسبق تخريجه في خطبة عام (١٤٠٤هـ)، الهامش (١١).

(١٩) أخرجه مسلم في صحيحه، وسبق تخريجه في خطبة عام (١٤٠٦هـ)، الهامش (٨).

(٢٠) أخرجه أحمد في مسنده، وابن خزيمة في صحيحه، والبيهقي في السنن الكبرىٰ، وسبق تخريجه في خطبة عام (١٤٠٦هـ)، الهامش (٩).

(٢١) أخرجه الترمذي في سننه، والنسائي في سننه، وابن ماجه في سننه، وأحمد في مسنده، وسبق تخريجه في خطبة عام (١٤٠٣هـ)، الهامش (١٢).

(٢٢) أخرجه الترمذي في سننه، والنسائي في سننه، وأبو داود في سننه، وابن ماجه في سننه، وقد سبق تخريجه في خطبة عام (١٤٠٩هـ)، الهامش (٢٠).

(٢٣) أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما، وسبق تخريجه في خطبة عام (١٤١٠هـ)، الهامش (١٥).

(٢٤) يعني: أهل الشرك والأوثان، والحديث أخرجه الشافعي في مسنده، والبيهقي في السنن الكبرىٰ، وقد سبق تخريجه في خطبة عام (١٤٠٥هـ)، الهامش (١٦).

(٢٥) جاء ذلك في حديث جابر الطويل في صفة حجة النبي صلى الله عليه وسلم الذي أخرجه مسلم في صحيحه ٢/ ٨٨٦-٨٩١، كتاب: الحج، باب: حجة النبي صلى الله عليه وسلم، ح(١٢١٨).

(٢٦) هذا معنى الحديث الذي أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الحج، باب: السير إذا دفع عن عرفة، (فتح الباري ٣/ ٦٦٠، ح ١٦٦٦)، ومسلم في صحيحه ٢/ ٩٣٦، كتاب: الحج، باب: الإفاضة من عرفات إلى المزدلفة..، ح(١٢٨٦)، عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما حين سئل كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير في حجة الوداع حين دفع؟ قال: كان يسير العنق، فإذا وجد فجوة نصّ.

والعنق -بفتحتين- أي السير السريع، وقيل: ما بين الإبطاء والإسراع فوق المشي، والنصّ فوق العنق، وهو تحريك الدابة حتى يستخرج به أقصى ما عندها.

انظر: فتح الباري ٣/ ٦٦١، عون المعبود ٥/ ٢٨٠ .

(٢٧) أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما، وسبق تخريجه في خطبة عام (١٤٠٦هـ)، الهامش (١٠).

(٢٨) أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما، وسبق تخريجه في خطبة عام (١٤٠٤هـ)، الهامش (٣).

(٢٩) أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما، وسبق تخريجه في خطبة عام (١٤٠٧هـ)، الهامش (٨) .

فهرس الآيات

الآيـــة	رقمها	الصفحة
﴿ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ﴾	٢٠٠	٣٦
﴿ فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا ءَاتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ ﴿٢٠٠﴾ ... ﴾	٢٠٠- ٢٠٢	٤٠، ١٣٦، ١٧٩، ٢٠٤
﴿ وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ ﴾	٢٠٣	١٧٨
﴿ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾	٢٠٣	١٥٧، ١٧٨، ٢٠٢، ٢٢٧
﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ ﴾	٢٠٤، ٢٠٥	٧١، ١٢٦، ١٤٧
﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَٰعُوا ﴾	٢١٧	١٩٢
﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ ﴾	٢٢٠	١٤٦
﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ ﴾	٢٢٢	٥٠
﴿ ۞ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ﴾	٢٥٣	١٨٤
﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ ﴾	٢٥٦	٨٤

الآيـــــة	رقمهـا	الصفحـة
وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾		١١٠، ١٥٠، ١٥١، ١٦٧، ١٩٢، ٢١٦
﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ ...﴾	١٣٥	٥٠
﴿ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (١٣٩) ﴾	١٣٩	١١٠
﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ ...﴾	١٦٤	٨٠
﴿ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ﴾	١٧٩	١٠٣
﴿.. كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾	١٨٥	٢٠٢
سورة النساء		
﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ ...﴾	٦٠، ٦١	١٠٨، ١٤٨
﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا (٦٥) ﴾	٦٥	١٨٦
﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾	٨٠	٨٥، ١٨٦
﴿ وَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا۟ فَتَكُونُونَ سَوَآءً ﴾	٨٩	٥٢، ٩٠، ١٠٦، ١٤٩، ١٦٧

الآيـــة	رقمها	الصفحة
﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾	٩٦	٩٠، ١١١، ١٣٤، ١٥٢، ١٩٥، ٢٢١
﴿ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾	١٥٧	٨٦، ١٨٩
﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾	١٥٨	١٨٥
سورة الأنفال		
﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ﴾	١	٢١٥
﴿ ۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ ... ﴾	٢٢، ٢٣	٨١
﴿ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ﴾	٢٦	١٩١
﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾	٥٣	٢٩
﴿ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ﴾	٦٣	٣٠، ١٤٤، ٢١٢
سورة التوبة		
﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ	٣٢	١٠٤

الآيـــة	رقمها	الصفحة
ـ أن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾		
﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾	٣٣	٢٨، ٥١، ١٩١
﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ﴾	٦٥، ٦٦	١٤٨
﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ ﴾	٦٧	١٤٩
﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ ... ﴾	٧١	١٤٩، ٢١٢، ٢١٦
﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ ﴾	١٠٥	١٦٨
﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ... ﴾	١٠٨، ١٠٩	١٢٦
سورة يونس		
﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾	٦٢- ٦٤	١٩، ٦٢، ١٠٢
سورة هود		
﴿ وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ ﴾	٢٧	١٤٧

الآيـــــة	رقمها	الصفحة
سورة النحل		
﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾	٣٦	٨٣
﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾	٨٩	١٦٣
﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ...﴾	٩٧	٣١، ٦٣، ٢٢١
سورة الإسراء		
﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾	٩	١٦٤، ٢١١
﴿ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ ﴾	١٤	٤٩
﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾	٨١	١٠٣
﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾	٨٨	١٦٢
سورة الكهف		
﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾	٢٩	٨٨
﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً	٤٩	٤٩

الآيـــــة	رقمهـا	الصفحـة
وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ﴾		
سورة مريم		
﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا وَّنَذَرُ ٱلظَّـٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ ﴾	٧١، ٧٢	١٠٢
سورة طه		
﴿ فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ ...﴾	١٢٣، ١٢٤	٦٥، ٢١٢
﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ ﴾	١٢٤-١٢٦	١٦٤
سورة الأنبياء		
﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَـٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ ﴾	١٨	١٠٣
﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾	٢٥	٢١، ٨٣
﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ۖ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَـٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾	٣٤، ٣٥	١٣٤
سورة الحج		
﴿ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾ ﴾	٢٥	١٢٩، ١٥٤
﴿ وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ ﴾	٢٦	١٦٩

الصفحة	رقمها	الآيـــــة
٢٢٢،٩٢	٢٧	﴿ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ ﴾
١١٢، ١٧٢، ١٩٧	٢٨	﴿ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ ﴾
١٢٧	٣٢	﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ ﴾
١٥٢	٤١	﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾
٨٢	٦٢	﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ ﴾
		سورة المؤمنون
١١٦	١٠٢-١٠٣	﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾
		سورة النور
١٤٨	٤٨، ٤٩	﴿ وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾
١٨٦	٥٠	﴿ أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓا۟ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾

الآيــــة	رقمهــا	الصفحـة
يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾		
سورة سبأ		
﴿ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ ﴾	١٣	٩٠، ١٥١، ١٦٨
﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾	٢٨	١٨٥
سورة فاطر		
﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ﴾	٦	٤٨
﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ ﴾	٨	١٤٧
﴿ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ﴾	٤٣	١٢٩
سورة يس		
﴿ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾	٦٥	٤٩
سورة الصافات		
﴿ إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾ ﴾	٣٥، ٣٦	٢٣، ٨٤
سورة ص		
﴿ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ ﴾	٥	٢٣، ٨٤
﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾	٢٩	٢١١

الآيـــــة	رقمهـا	الصفحـة
سورة العصر		
﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ۝٣ ﴾	٣	٢١٤
سورة الفيل		
﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ۝٥ ﴾	١ - ٥	١٧١
سورة قريش		
﴿ فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣ ﴾	٣	١٧٠

فهرس الأحاديث والآثار

الحديث أو الأثر **الصفحة**

الحديث أو الأثر | الصفحة

الحديث أو الأثر	الصفحة

الحديث أو الأثر	الصفحة

الحديث أو الأثر **الصفحة**

الحديث أو الأثر | الصفحة

الحديث أو الأثر	الصفحة

الحديث أو الأثر | الصفحة

فهرس مراجع الهوامش والتعليقات

١- القرآن الكريم.

٢- جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري): محمد بن جرير بن يزيد الطبري (ت٣١٠هـ)، دار الفكر، ١٤٠٥هـ، بيروت، لبنان.

٣- الجامع الصحيح (صحيح البخاري): أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت٢٥٦هـ).

٤- الجامع الصحيح (صحيح مسلم): أبو الحسين مسلم بن الحجاج ابن مسلم القشيري النيسابوري (ت٢٦١هـ) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث، بيروت، لبنان.

٥- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت٤٣٠هـ)، الطبعة الرابعة، ١٤٠٥هـ، دارالكتاب العربي، بيروت، لبنان.

٦- سنن أبي داوود: سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي (ت٢٧٥هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، لبنان.

٧- سنن ابن ماجة: أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت٢٧٥هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت، لبنان.

٨- سنن الترمذي (الجامع الصحيح): محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي (ت٢٧٩هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر

وآخرين، دار إحياء التراث، بيروت، لبنان.

٩- سنن الدار قطني: علي بن عمر الدارقطني (ت٣٨٥هـ)، تحقيق: السيد عبدالله هاشم المدني، دار المعرفة، ١٣٨٦هـ، بيروت، لبنان.

١٠- سنن الدارمي: عبد الله بن عبد الرحمن أبو محمد الدارمي (ت٢٥٥هـ)، تحقيق: فؤاد زمرلي، وخالد العلمي، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

١١- السنن الكبرى: أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (ت٤٥٨هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز، ١٤١٤هـ، مكة، السعودية.

١٢- السنن الكبرى: أحمد بن شعيب بن علي النسائي (ت٣٠٣هـ)، تحقيق: د. عبد الغفار سليمان البنداري، ود. سيد كسروي حسن، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

١٣- سنن النسائي (المجتبى): أحمد بن شعيب بن علي النسائي (ت٣٠٣هـ)، تعليق: عبد الفتاح أبو غدة، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ، مكتب المطبوعات، حلب، سوريا.

١٤- شعب الإيمان: أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (ت٤٥٨هـ)، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

١٥- صحيح ابن حبان: محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي (ت٣٥٤هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

١٦- صحيح ابن خزيمة: محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي النيسابوري (ت٣١١هـ)، تحقيق: د. محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، ١٣٩٠هـ، بيروت، لبنان.

١٧- عون المعبود شرح سنن أبي داود: محمد شمس الحق العظيم آبادي، الطبعة الثانية، ١٩٩٥م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

١٨- فتح الباري شرح صحيح البخاري: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

١٩- الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار: عبد الله بن محمد ابن أبي شيبة الكوفي (ت٢٣٥هـ)، تحقيق: كمال يوسف الحوت، الطبعة الثانية، ١٤٠٩هـ، مكتبة الرشد، الرياض، السعودية.

٢٠- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: علي بن أبي بكر الهيثمي (ت٨٠٧هـ)، دار الريان للتراث، ١٤٠٧هـ، القاهرة، مصر.

٢١- مجموع الفتاوى: شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ت٧٢٨هـ)، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤١٦هـ، المدينة المنورة، السعودية.

٢٢- مختصر تفسير سورة الأنفال: محمد بن عبد الوهاب (ت١٢٠٦هـ)، تحقيق: د. ناصر بن سعد الرشيد، الطبعة الأولى، مطابع الرياض، الرياض، السعودية.

٢٣- مسند الشافعي: محمد بن إدريس الشافعي (ت٢٠٤هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٢٤- مسند الشاميين: سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني

(ت٣٦٠هـ)، تحقيق: حمدي بن عبد الحميد السلفي، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الرياض.

٢٥- المسند: أحمد بن حنبل الشيباني (ت٢٤١هـ)، مؤسسة قرطبة، مصر.

٢٦- مشكاة المصابيح: محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الثالثة، ١٩٨٥م، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان.

٢٧- المصنف: عبد الرزاق بن همام الصنعاني (توفي٢١١هـ)، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان.

٢٨- المعجم الأوسط: سليمان بن أحمد الطبراني، (ت٣٦٠هـ)، تحقيق: عبدالمحسن بن طارق بن عوض الله الحسيني، دار الحرمين، ١٤١٥هـ، القاهرة، مصر.

٢٩- المعجم الكبير: سليمان بن أحمد الطبراني (ت٣٦٠هـ)، تحقيق: حمدي بن عبد الحميد السلفي، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ، مكتبة الزهراء، الموصل.

٣٠- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: يحيى بن شرف النووي (ت٦٧٦هـ)، الطبعة الثالثة، ١٤١٧هـ، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

٣١- الموطأ: مالك بن أنس الأصبحي (ت١٧٩هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث، مصر.

فهرس الخطب والعناصر

خطبة عام «١٤٠٢» الهجري

من الصفحة (١٩) إلى الصفحة (٤٦)

خطبة عام «١٤٠٣» الهجري

من الصفحة (٤٧) إلى الصفحة (٦٠)

خطبة عام «١٤٠٤» الهجري

من الصفحة (٦١) إلى الصفحة (٧٩)

خطبة عام «١٤٠٥» الهجري

من الصفحة (٨٠) إلى الصفحة (١٠٠)

خطبة عام «١٤٠٦» الهجري

من الصفحة (١٠١) إلى الصفحة (١٢٠)

خطبة عام «١٤٠٧» الهجري

من الصفحة (١٢١) إلى الصفحة (١٤١)

خطبة عام «١٤٠٨» الهجري

من الصفحة (١٤٢) إلى الصفحة (١٦٠)

خطبة عام «١٤٠٩» الهجري

من الصفحة (١٦١) إلى الصفحة (١٨٣)

خطبة عام «١٤١٠» الهجري

من الصفحة (١٨٤) إلى الصفحة (٢١٠)

خطبة عام «١٤١١» الهجري

من الصفحة (٢١١) إلى الصفحة (٢٣٤)